

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٠ - ذو الحجة ١٤٢٤هـ - فبراير ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 330 - FEB. 2004

- النمو السكاني المطرد والتنمية: تكامل أم تحد ؟!
- شجرة الخبز وثورة السفينة بونتي
- البحر الميت ومشروعات ربطه بالبحار المفتوحة





مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٠ - ذو الحجة ١٤٢٤هـ - فبراير ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 330 - FEB. 2004

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ دينارًا . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٣٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٢ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





الرقم المجاني: ٨٠٠١٢٤٠٠٢٨



النمو السكاني المطرد: تكامل أم تحدٍ؟

هناك علاقة تبادلية بين السكان والتنمية، إذ لكل منهما تأثير في الآخر، فالمتغيرات الديمغرافية كمعدل المواليد والخصوبة والوفيات، وهجرة السكان لها أثرها في المتغيرات الاقتصادية المختلفة كالدخل الفردي والاستهلاك والاستثمار والادخار.
وتؤثر العملية التنموية في حجم السكان ومعدلات النمو السكاني.
وعلى الرغم من الدراسات التي تناولت هذه العلاقة لا يزال هذا السؤال قائمًا: النمو السكاني المطرّد والتنمية: تكامل أم تحدٍّ؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



رسالة من العراق

يسرني ويسعدني أن أكتب إليكم رسالتي هذه محملاً تحياتي إليكم متمنيًا التوفيق والنجاح، وهناك ملاحظات حول المجلة آملاً أن تكون موضع اهتمامكم:

أولاً: المجلة لا تصل مكتبات العراق، وما يأتي منها يكون عن طريق السائقين بين عمان وبغداد، ولذلك تصل متأخرة شهرين من صدور العدد نرجو حلاً لمشكلة وصول المجلة إلى مكتبات بغداد، علمًا بأن هناك صحفًا سعودية، كعكاظ والرياض تصل يوميًا.

ثانيًا: نلاحظ أن تغيرًا واضحًا ظهر على المجلة، وقد اختلفت الموضوعات عن ذي قبل، فكانت هناك في الماضي زوايا رائعة مثلاً: دائرة المعارف، وقد تغيرت طبيعة المسابقة فكانت هناك ١٠ أسئلة، والإجابة عن ٨ أسئلة، وكان عدد الفائزين عشرين فائزًا، بالإضافة إلى غياب بعض التحقيقات والموضوعات الأدبية والاستطلاعات، لماذا توقفت؟ أتمنى أن تعود المجلة إلى سابق عهدها..

ثالثًا: أرجو توفير المجلة في مكتبات بغداد، وأسأل أين مجلة الفيصل العلمية؟ أرجو إرسال أحد أعدادها.

اقتراح:

أقترح أن يكون كوبون المسابقة فقط. الاسم ـ العنوان ـ رقم الهاتف، فلا حاجة إلى تمزيق الأسئلة وتشويه الصفحة، وبالمناسبة أذكر أنه قد قيل قديمًا: إن الكتاب يؤلف في مصر، ويطبع في لبنان، ويقرأ في العراق.

هل تعلمون أن عدد الصحف الصادرة في بغداد بحدود ١٢٠ صحيفة بين يومية وأسبوعية وشهرية، وكذلك المجلات لكننا نريد أن نطلع على ما يكتب في بلاد الخليج، نريد انفتاحًا ثقافيًا، ونتمنى اليوم الذي ينضم فيه بلدنا إلى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي. فالعراق جزء لا يتجزأ منه لولا ظروف مضت.

آملاً أن توفروا مجلة الفيصل لما فيها من متعة وفائدة.. صدقوني على الرغم من صعوبة الظروف الحياتية إننا نحب أن نقرأ ونتعلم، وحتى لو لم يكن هناك كهرباء نأمل أن تعلموا أن الشعب العراقي يحب الثقافة والاطلاع والتوجه نحو الحاضر والمستقبل الزاهر مع كل الظروف، لأنه شعب الحضارة والمعرفة.

أرفق كوبون المسابقة مع الحلول آملاً قبول المشاركة، وأعلمكم أني أكتب رسالتي هذه الساعة ١١ ليلاً على ضوء (اللالة) وذلك لانقطاع التيار الكهربائي.

عبدالكريم عبدان درويش

العراق ـ بغداد ـ الكاظمية

التحرير:

نشكر لك هذا التواصل مع مجلتكم على الرغم من الظروف التي نعلمها جميعًا، والتي ندعو الله أن يتجاوزها العراق الشقيق في أقصر وقت ممكن، وأن ينعم أهله بالأمن والرفاه، ونقدر لك هذه المشاركة، وقد سعدنا باقتراحاتك، وسنعمل على انتظام وصول المجلة إلى قرائنا الأفاضل في العراق الذين ظلوا دومًا يشاركوننا بالرأي والمقال.. وتقبل وافر التحية مع الأمنيات بأن تكون ضمن الفائزين بالمسابقة في أحد الأعداد القريبة.

صديقة قديمة

تحية عطرة أزفها لكل الفريق المشرف على إصدار «مجلة الفيصل».

إنها كثيرًا ما أثرت، وستثري بإذن الله ـ الساحة الثقافية العربية بمنتوج متميز يطل علينا كل شهر.

في الواقع، أنا قارئة دائمة لمجلة الفيصل منذ سنوات كثيرة، وخاصة الأعداد القديمة (فترة الثمانينيات)، فشاركت تلك الصديقة المعطاء بموضوعات متنوعة ساهمت كثيرًا في تكويني الفكري ونحن صغار، ولكن لأسباب أجهلها انقطعت مجلة الفيصل من الأكشاك في المدينة التي أقطنها منذ سنوات (نحو أربع سنوات)، ويشهد الله كم بحثت عنها بقصد اقتنائها، غير أن جهودي باءت بالفشل، ولكنني فوجئت منذ نحو أسبوع بعدد حديث بعض الشيء (عدد أغسطس ٢٠٠٠م) لدى أحد باعة الكتب القديمة، فاقتنيته دون تردد، وكانت فرحة طفولية لما بدأت مراجعة تلك الرفيقة الغالية فوجدتها كما تركتها

عظيمة على بساطتها وثرية على تواضعها وبساطتها.

وفي الأخير تحية حارة خالصة من قارئة وفية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إمان بن قارة محمد

٢٧ شارع معيزة محمد

حي الصنوبر - عين تبينت - سطيف - الجزائر

التحرير

نشكر لك رسالتك الرقيقة، واهتمامك باقتناء المجلة، وقد أشرنا من قبل إلى أننا نحاول أن نزيل العقبات التي تحول دون توزيع المجلة في عدد من البلدان، والجهود لا تزال مستمرة، ونأمل أن تكلل بالنجاح، لحرصنا على أن يدوم التواصل بين المجلة وقرائها في كل دول العالم، ولا سيما الدول العربية والإسلامية.

أصدقاء الفيصل

بين أيدينا الآن العدد (٣٢٨) من مجلة الفيصل الصادر في شوال ١٤٢٤هـ/نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٣م. فلله الحمد والشكر على هذه النعمة. وبذلك تكون مكتبتي قد احتوت على جميع أعداد مجلة الفيصل منذ العدد الأول الصادر في رجب ١٣٩٧هـ/يونيو ١٩٧٧م حتى العدد ٣٢٨، والله على ما أقول شهيد.

وإنني أستسمحكم في أن أقوم بإشهار رابطة تحت مسمى (رابطة أصدقاء مجلة الفيصل بمحافظة أسيوط). إذ إن قراء مجلة الفيصل وأصدقاءها لا يعرف بعضهم بعضًا، فأود أن أقوم بإشهار الرابطة، وأجمع الأصدقاء على محبة مجلة الفيصل «الغراء».

فتحي محمد سليمان محمد

مصر - أسيوط

أنبوب - شارع عثمان غزالي بجوار المخبز الآلي

التحرير:

نشكر لكم هذه المشاعر الفياضة، ونتمنى أن تكون المجلة عند حسن ظن جميع قرائها، وخير ترجمة لهذه المشاعر وروح الصداقة مشاركات القراء المقدرة، وحرصهم على التواصل مع المجلة بطرح الآراء والأفكار والاقتراحات، فلك كل التقدير، ولكل محبي المجلة في أسيوط وغيرها من مدننا العربية، ومدن العالم.

ردود سريعة

الأخ أحمد يوسف أبو حجر - طرابلس - ليبيا:

نشكر لك هذه المشاعر الفياضة تجاه مجلتك، وسوف تأتيك وجميع الإخوة المشتركين أعداد المجلة - إن شاء الله - مع مطلع كل شهر، وإذ نتمنى لك الفوز بإحدى جوائز المجلة، نطمئنك بأن مخاطبتك ستكون حسب ما أوضحت.

الأختان فاطمة إبراهيم وهبي - الخرطوم - السودان، وفاء محمد ماضي - المنوفية - مصر:

نشكر لكما ما أبديتما من مشاعر وحرص على أن تكون المجلة محققة لأهدافها في خدمة الثقافة العربية والإسلامية، ونرحب بأي مشاركات من جميع الإخوة القراء، علمًا بأن هناك لجنة لتحكيم المواد، وإجازتها للنشر، ونتمنى لكما التوفيق.

الأخ أحمد أديب شلباية - دقهلية - مصر:

نقدر لك حرصك على أن تكون مساهمًا بالكتابة في المجلة، ويصعب علينا الحكم على أي مادة ما لم تكن أمامنا حتى يمكن قراءتها، وتحديد مدى مناسبتها. لذا نأمل منك إرسال المادة التي تود نشرها لنوافيك برد المجلة.

الأخ محمد هادي - تعز - اليمن:

ترد المجلة على كتّابها في حالتي قبول المادة للنشر أو عدم إجازتها للنشر حرصًا على جهد الكاتب الذي من حقه أن ينشر مادته مادام يراها جديرة بالنشر، وما يناسب مجلة قد لا يناسب أخرى، لذا نأمل أن يتفهم ذلك من لا تجاز موادهم للنشر، ومرحبًا بكل الإخوة الكتاب وإسهاماتهم.

سكاكا: مشاه



...د من الواقع

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - السعودية

تعد مدينة سكاكا القاعدة الإدارية لمنطقة الجوف، وهي من أغنى مناطق المملكة بالمياه العذبة. ولقد تم تحليل مياه مدينتي سكاكا ودُومَة الجَنْدَل من قبل كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود سنة ١٣٩٤هـ وأثبتت التحاليل أن مياه دُومَة الجَنْدَل بالذات تفوق المياه المعدنية المستوردة (١).

والاهتمام التاريخي بمقر إمارة الجوف في الوقت الحالي قليل جداً، فجلّ ماكتبه الجغرافيون العرب الأوائل ينصب على دُوْمَة الجَنْدَل قاعدة البلاد في الزمن القديم. وتؤكد الأدلة الأثرية التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام أن مدينة سكاكا من المدن القديمة التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام (٢).

وقد سجلت المستندات الآشورية التي تضمنتها موسوعة نصوص الشرق القديم Ancient: Near eastern Texts أن الجوف كان خلال القرن السابع قبل الميلاد المقر الرئيس لدولة العرب الشمالية، وأن الإمبراطور الآشوري عندما حاول اقتحام الجوف، صدته الجيوش العربية بقيادة ملكة العرب (لاتي) (٣). كذلك تأكد وجود الأنباط في الجوف ذاتها بواسطة النقوش الصخرية، وإحدى العملات، والرقائق المزينة (٤). ويلاحظ على معظم نقوش الجوف احتواؤها على الألقاب العسكرية، وهذا يشير إلى تواجد عسكري نبطي كثيف في منطقة الجوف (٥).

وتقع مدينة سكاكا شمال شرق دُوْمَة الجَنْدَل حيث تبعد عنها نحو ٤٠كم بخط مستقيم، وشمال شرق مدينة تبوك على بعد ٩٠كم تقريباً.

لمحة تاريخية

قال ياقوت: سُكاكةُ: بضم أوّله، كما أورد في معجمه قول أبي منصور السكاك. وهو من رجال القرن الرابع الهجري: السُّكاك والسُّكاكة، الهواء بين السماء والأرض؛ والسكاكة: إحدى القريات التي منها دومة الجندَل وعليها أيضاً سور، لكن دومة أحصنُ وأهلها أجلدُ (٦). ويضيف صاحب كتاب معجم البلدان في موقع آخر: القريات: دومة وسُكاكة وذو القارة، فأما دومة فعليها سور يُتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له ماردٌ، وهو حصن أُكَيْدر الملك بن عبد الملك (٧). وعند حديث آل كريع عن الكهوف المسكونة ذكر أن هناك بقايا سور طويل بقوله: حول المساكن نشاهد بقايا سور من اللبن، وأعتقد أن بقايا هذا السور يمتد مسافة ٢٢ كيلو متراً حتى قلعة قيدار (قُدير) (٨).

والسُّكاكَة كما يذكرها ابن منظور: الهواءُ بين السماءِ والأَرض، وقيل الذي لا يلاقي أَعْنان السماء؛ كما يضيف في موقع آخر: وضربوا بيوتَهم سِكاكاً أَي صفّاً واحداً.

كذلك أشار صاحب كتاب القاموس المحيط إلى السُّكاكَة بقوله: السُّكاكَةُ كثُمامةٍ: الصغيرُ الأُذُنِ ,والهَواءُ المُلاقي عَنانَ السماءِ. كما أورد سِكاكا حين قال: وضَرَبوا بُيوتَهُم سِكاكاً ,بالكسر: صَفّاً واحداً. وأخَذَ الأمرَ بِسِكّتِهِ: في حينِ إمْكانِهِ (٩).

وأشارت الكاتبة الليدي آن بلنت الإنجليزية - التي زارت بلاد الجوف عام ١٨٧٩م - إلى هذه البلاد، ووصفت بلدة

سكاكة فقالت: إن سكاكة مع انها ليست مقر حكومة جوهر، مدينة أكبر من الجوف (١٠). كما بيّن الجاسر - رحمه الله - حسن التخطيط في سكاكة فقال: لوقوع المدينة في متسع من الأرض تهيأ لها من حسن التخطيط وسعة الشوارع وطولها، وتباعد البيوت ما لم أر مثله في مدن المملكة إلاَّ النبك قاعدة القريات وقبل هاتين مدينة بريدة (١١).

المشاهدات الميدانية

قلعة زعبل

تقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة سكاكة، وهي قلعة صغيرة مشيدة في أعلى قمة أحد التلال بمدينة سكاكا.

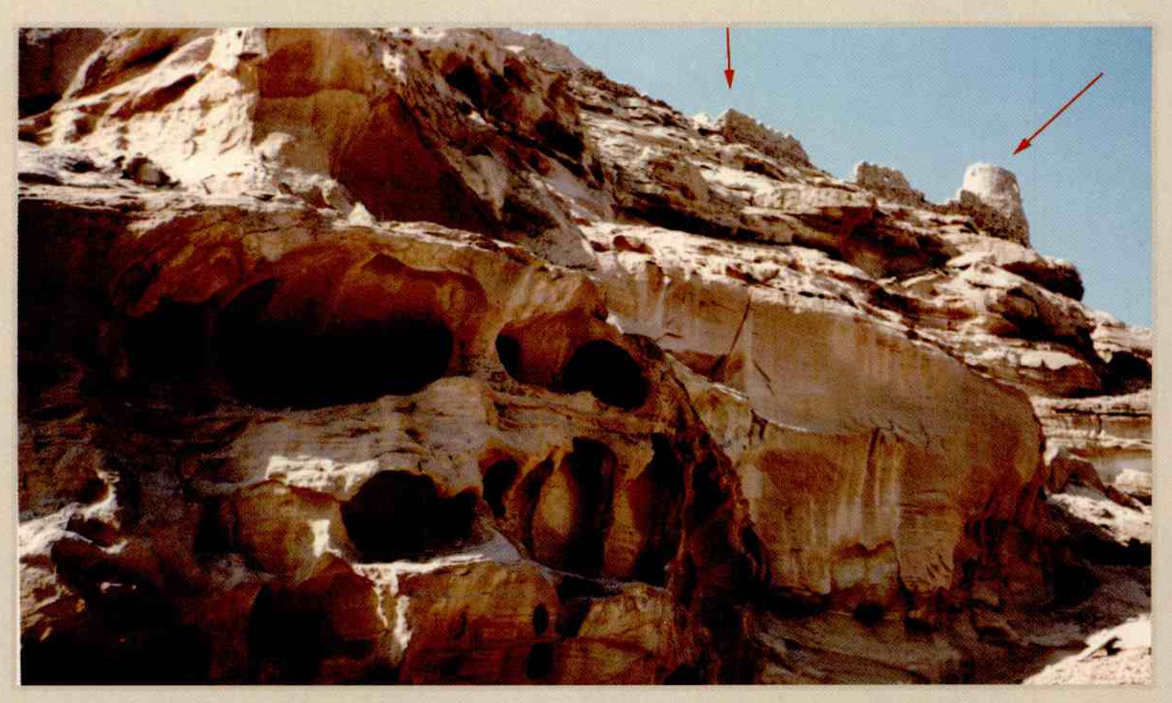
تحتل قلعة زعبل المرتبة الثانية من حيث الأهمية الحربية بعد قصر مارد، وبعد الرجوع إلى بعض المصادر لم أجد من أشار إليها، ولا يوجد تاريخ محدد لبناء هذه القلعة، أما القول بأنها شيدت قبل ١٦٠سنة تقريباً فذلك مجرد أقاويل، ومن المحتمل أنها رممت قبل ١٦٠سنة، وقد أكد الجاسر عدم وجود ذكر في المصادر لهذه القلعة بقوله: هذا الحصن لم نجد له ذكراً فيما بين أيدينا من مصادر، وآثاره تدل على أنه قد بني قبل الإسلام (١٢).

كما أشار ابن جنيدل إلى بناء هذا الحصن فقال: أما بناؤه القائم الآن فإنه بناء حديث ما عدا الجذور الحجرية المتبقية من البناء القديم، وبناؤه الجديد مُشَيَّد بالحجارة والطين، وهو بناء ضعيف. كما حدثني بعض الأهالي الساكنين بجواره، وقد رافقني في أثناء صعودي إليه أنّ بَنَاءهُ القائم ابتناه أهل البلدة في أثناء حروبهم الأخيرة مع ابن رشيد وابن شعلان (١٣).

كذلك بيَّن آل كريع وجود تجديدات متعددة بقوله: يمكن للإنسان أن يشاهد التجديدات المتعددة التي يعود آخرها إلى زمن آل الشعلان في مئة السنة الأخيرة (١٤).

كما تحدثت الكاتبة الإنجليزية الليدي عن هذه القلعة مبيّنة أنها تسيطر على البلدة حين قالت: سُكاكة، كالجوف:





يظهر في أعلى الصورة جهة اليمين جانب من قلعة زعبل، وتظهر من أسفل الصورة آثار التعرية الجوية في الصخور الرسوبية

ذات قلعة قديمة تجثم على مرتفع يبلغ علوّه نحو مائة قدم، وتسيطر على المدينة. كذلك تكلم عن هذا الحصن الرحالة الفنلندي جورج فقال: سكاكة فيها حصن خرب يعرف بزَعبَل (١٥).

وقال صاحب كتاب (هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف) عند حديثه عن زعبل: أعتقد أن هذا الاسم محرف من (ذو عبيل) والعبيليون سكان الجزيرة العربية الذين عمروا يثرب وحصونها، وهم الذين عمروا دومة الجندل (١٦).

ووصف قلعة زعبل أحد الشعراء المعاصرين بقوله:

وزعبل رابض والعين شاخصة

يقص ما لا يقص الناس والكتب

يحكي لنا من قديم كل مفخرة

فيها العراقة فيها الفتية النجب

إذا نسى (برنس) (١٧) في الحال ذكَّره

أو جف ريق فـ (سيسار) (١٨) له رطب

وعثر في المنطقة المحيطة بالقلعة على بقايا كسر فخارية تعود إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد (١٩).

كما حدثني الأخ فهد بن زيد الدّخيّل أحد سكان بريدة، أنه خلال زيارته للقلعة في سنة ١٤١٢هـ شاهد حوضًا حجريًا ومجموعة قطع كبيرة لجرار من الفخار، وبعض البقايا الآثارية، وأكد أن هذه المعثورات موجودة قبل الترميم، وزودني مشكوراً بصور فوتوغرافية لتلك المعثورات وللقلعة. كذلك عثر غرب قلعة زعبل على نقش نبطي، ويقرأ النص كالآتي: سَلِم، ومن المؤسف أن الصخرة المكتوب عليها هذا النقش تحطمت مما أدى إلى فقدان جزئه الأخير (٢٠).

وتكمن أهمية هذه القلعة في موقعها، فهي تقع في قمة تل صخري ذي سفوح شديدة الانحدار؛ مما أكسبها مناعة



السهمان العلويان يشيران إلى أبراج أسطوانية الشكل في زوايا القلعة، والأسهم الخضراء تشير إلى كوات للمراقبة، وفي يمين الصورة غرفة، أما في وسط الصورة فتظهر فتحة الخزان المحفور في أرضيتها

طبيعية يصعب الوصول إليها ومهاجمتها إلاَّ عن طريق واحد. ومما يزيد من أهمية هذه القلعة وقوعها في منطقة مرتفعة تشرف على المدينة كالحارس، وعندما صعدتُ إلى قمة هذا التل شاهدتُ مدينة سكاكا ومسافات طويلة من كل اتجاه، ومن يصل إليها يستطع مشاهدة هذا المنظر الرائع لمدينة سكاكا ومزارعها الخضراء.

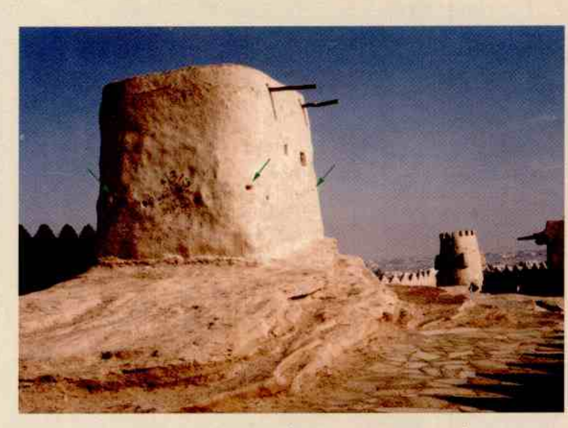
هذه المشاهدات تشبه ما شاهدتُه عند صعودي أبراج المدن، مثال على ذلك برج بريدة، والقاهرة، والكويت.

كما أن هذه القلعة لا يصعد إليها إلاَّ عن طريق واحد عرضه متر واحد، وبعض عتبات هذا الطريق عمل من الحجارة، ومن المحتمل أن بعضها الآخر كان منحوتًا في الصخور الرسوبية، وللقلعة أيضاً باب واحد تبلغ أطواله ١,٧× ١,٢ تقريبًا، وقمة التل شبه مستوية ذات شكل بيضوي بقطر ٣٠م تقريباً، يحيط بهذه القمة سور يبلغ ارتفاعه ٢م، أسفله مبني بالصخر ومطلي بالطين، أما الجزء العلوي فهو مبني من الطين الخالص وطوب من الطين تزينه شرفات تحيط بالقلعة من كل جانب، أما الجهة الشمالية من القلعة فقد لفت نظري فتحة صغيرة في هذا السور بقطر متر واحد تقريباً، يبدو أنها باب للطوارئ أو لغرض نجهله.

وللقلعة أربعة أبراج أسطوانية الشكل في كل زاوية برج



في وسط الصورة باب القلعة من الداخل ويظهر في يمين الصورة جانب من الغرفة الملاصقة لسور القلعة، وفي يسار الصورة أحد أبراج القلعة



الغرفة الرابضة بأعلى منطقة في التل الصخري، والأسهم تشير الى فتحات تستخدم عند إطلاق الرصاص

واحد، يبلغ قطر الواحد منها ٣م وبارتفاع ٥م تقريباً، كما تحوي هذه الأبراج المُشَرَّفَة أبواباً صغيرة تأخذ شكلاً مستطيلاً بعضها قريب من الشكل المربع، طول ضلعه متر واحد، كما توجد فيها كوات للمراقبة، وفتحات صغيرة أقطار بعضها ١٠سم، يبدو أنها كانت تستخدم عند إطلاق الرصاص على العدو، كذلك تظهر في هذه الأبراج فتحات على شكل نوافذ تأخذ أشكالاً مربعة طول ضلع الواحد منها نحو ٣٠سم. وقد تم اختيار مواقع هذه الأبراج بكل دقة وعناية، ويدل ذلك على فطنة أهل المنطقة وذكائهم وتخطيطهم العسكري، فكل برج يكشف جهتين كما يؤدي دوراً آخر وهو حماية الأبراج المقابلة، بحيث يحمي كل برج الآخر، ويبدو لي أن الغرض من أحد الأبراج هو الإشراف على ممر هذه القلعة.

وفي وسط القلعة توجد غرفة صغيرة لها باب صغير يبلغ ارتفاعه وعرضه مترًا واحدًا تقريباً، وإن صدق حدسي فإن الغرض من هذه المنشأة هو التحصن بها إذا ما قدر أن استطاع العدو أن يقتحم سور القلعة، ذلك أنها تقع في أعلى منطقة في القلعة، بل من يتفحص شكلها يتبين له أنها على شكل حصن صغير رابض على صخرة كبيرة، به فتحات صغيرة بقطر ٨سم وعلى ارتفاع متر واحد، الغرض منها إخراج قصبة البارود للدفاع عن هذا الحصن الصغير عند هجوم العدو ومحاولة دخوله القلعة الكبيرة، أما في حال وجود العدو خارج القلعة فإن هذا الحصن الصغير لا يقوم بدور مهم، فأسوار القلعة تحول بين المدافع والمهاجم.

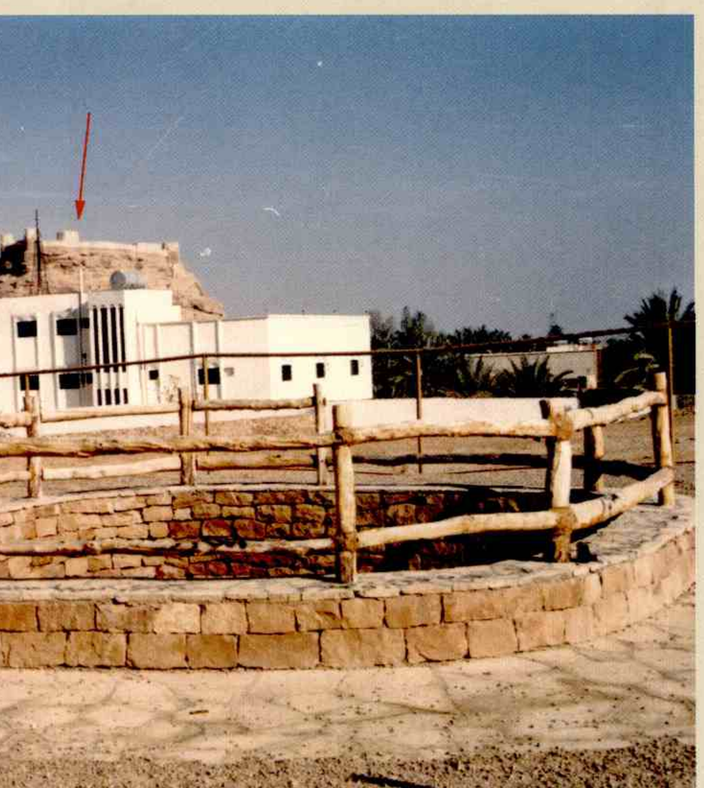
كما توجد غرفة أخرى في الجهة الغربية عند باب القلعة تحديداً، تبلغ أبعادها ٤،٥م× ٣،٥م بارتفاع ٣م تقريباً، فتحات أبوابها ونوافذها وشكلها العام يشبه غرف المنازل الطينية، و بجوار هذه الغرفة من الجهة الشرقية تظهر حفرة منحوتة في الصخر، تأخذ شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعادها ٨٠ سم × ١،٥م تقريباً، ويبدو أنها حوض ماء، أو لغرض آخر نجهله مثلاً: ممر سري أو فتحة بئر، أو فتحة قناة لجلب المياه.. أما في الجهة الجنوبية من هذه الحفرة، وتحديداً قرب فتحة طريق الصعود والنزول إلى القلعة تظهر حفرة أخرى منحوتة في الصخور الرملية بشكل شبه بيضوي، وهي مطمورة بالرواسب ولا يظهر منها سوى حافتها.

المقبرة

تقع في الجهة الشمالية من قلعة زعبل، شرق الطريق المؤدي إلى هذه القلعة مباشرة، وتحديداً قبيل الصعود إليها عن طريق السلم المنحوت في الصخر،



حوض حجري كان يربض بإحدى الغرف في قلعة زعبل



بئر سيسرة وتظهر في أعلى الصورة قلعة زعبل

وتقع في مرتفع من الأرض على مساحة تقدر بـ ١٥م ×١٥م، وشواهد قبورها تؤكد أنها مقبرة إسلامية.

بئر سيسرة

تقع في الجهة الشمالية الغربية من قلعة زعبل، وتبعد عنها قرابة ٢٠٠م، وأشارت الدراسات السابقة لهذه البئر أنها تعود إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، لكن استخدامها خلال العصر النبطي محتمل جداً خاصة مع وجود أدلة الاستيطان النبطي في سكاكا (٢١).

أما في كتاب مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية فقد ذكر مانصه: يُعْتَقد أنها نبطية (٢٢).

وسيسرة بئر منحوتة في الصخور الرسوبية (صخور رملية)، شكلها مستطيل مستدير الزوايا، تبلغ أبعادها نحو ٩م × ٨م وعمقها الظاهري١٥م، وقد رأيتُ في إحدى جهاتها سُلماً يصل إلى قاع البئر، نحتت أعتابه في الصخر بعرض متر واحد تقريباً، يبدو أنه يستخدم عند النزول والصعود للصيانة - أو لغرض نجهله - خصوصاً أن هناك في أسفل البئر فتحة ربما أنها باب سري يربط بين الحصن والبئر.

وعندما زار الجوف عالما الآثار البروفيسور وينيت وزميله ريد في عام ١٩٦٢م، قالا: إن هذه البئر تشبه (٢٣) تماماً بركة للماء موجودة في (الجيب) في فلسطين، والمعروف أن بعض المناطق المنخفضة في سكاكا المحيطة بالبئر من الجهة الشرقية والجنوبية كانت تسقى من ماء البئر بواسطة أنفاق تحت الأرض، وكذلك بواسطة قنوات توجد على سطح الأرض منحوتة في الصخر. وقد اكتشفت بعض أجزاء هذه القنوات بالمصادفة بعد

أن كانت مطمورة بالرمل (٢٤).

قال آل كريع: بين تل أبي زعبل وتل ساعي النبي يوجد وادٍ ضيق، تحيط به التلال ويظهر أن المياه التي تجري فيه كانت تجمع في حفر لاستغلالها في وقت الصيف، ثم تطورت هذه الحفر وعمقت فأصبحت الآبار الموجودة حالياً، وبئر سيسرة إحداها. وبعد أن عمقت الآبار حفرت (الأسراب) بينهما فأصبح في البلد قناتان قديمتان تجمعهما آبار كثيرة، تقطع البلدة من الغرب إلى الشرق، الأولى تمتد من الوادي الكائن بين تل أبي زعبل وتل ساعي النبي وتسمى (سيسرة). والثانية تمتد بين تل ساعي النبي وتلال الطوير. والأولى تمر بجوار الضلع بحي المعاقلة تسقي أراضيهم حتى نفود فيما يسمى اليوم بالمنطقة الصناعية (٢٥).

وخلال زيارتي الميدانية وجدتُ هذه البئر جافة، ويبدو أن المياه نضبت منها منذ زمن طويل خصوصًا أن د. مفضي أشار إلى ذلك بقوله: بها نفق في الجهة الشرقية من قاع البئر يغذي المزارع التي تقع في مكان منخفض من المدينة على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً. وقد جفت البئر منذ زمن قديم، ولم يعاصر جريانها أي من السكان الحاليين.

المراجع والهوامش

١- عارف، مفضي، الجوف، سلسلة هذه بلادنا (١٨)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض، مطابع جامعة الملك سعود ١٤٠٨هـ، ص٧٤.
٢- خليل، المعيقل، وسليمان، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الطبعة الأولى، الرياض ١٤١٧هـ، ص٤٦.
٣- أحمد، شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص٣٢.
٤- أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الأول، إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية ١٣٩٧هـ، ص ٤٣.
٥- خليل، المعيقل، وسليمان، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، الرياض، ص١٠.
٦- ياقوت، الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج٣، ص٢٢٩٤، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٧.
٧- عبدالرحمن بن عطا الشايع، آل كريع، هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ، ج٢، ص١٠.
٨- جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلد ١٠، ص٤٣٩.
٩- أبو طاهر مجدُ الدين محمدُ بنُ يعقوبَ بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، الفيْروزآبادي، القاموس المحيط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، باب الكاف، فصل السين، السَّكُ ١٤١٣هـ.
١٠- سعد بن عبدالله، ابن جنيدل، بلاد الجوف، أو دُومة الجنْدل، الطبعة الأولى، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ، ص ٥١ ـ ٥٢.
١١- حمد، الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، الطبعة الأولى، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٠هـ، ص١٠٧ (وانظر ابن جنيدل، بلاد الجوف، ص٥٤).
١٢- المصدر نفسه، ص١٤٧.
١٣- ابن جنيدل، بلاد الجوف، ص ٥٥ ـ ٥٦.
١٤- آل كريع، هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، ج٢، ص١١.
١٥- ابن جنيدل، بلاد الجوف، ص ٥٦.
١٦- آل كريع، هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، ج٢، ص١١.
١٧- تل صغير مجاور للحصن.
١٨- بئر منقورة في الصخر مجاورة للحصن.
١٩- خليل، المعيقل، وسليمان، الذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الطبعة الأولى، الرياض ١٤١٧هـ، ص٢٥.
٢٠- المصدر نفسه، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
٢١- المعيقل، والذييب، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، ص٤٧.
٢٢- مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ص٨٥.
٢٣- يبدو أنه يجوز التذكير والتأنيث في (البئر)، أما المؤلف فهو يميل إلى التأنيث، قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾. الحج: الآية ١٤٥.
٢٤- عبدالرحمن بن أحمد، السديري، الجوف ـ وادي النفاخ، شركة ماكميلان لما وراء البحار المحدودة، المملكة المتحدة، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية.، ص٩٢.
٢٥- آل كريع، هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، ج٢، ص١١.

من خلال ثلاث وثائق تاريخية

ظروف حج المسلـ



ـمين الروس

يافعة يوسف جميل

سان بطرسبرج ـ روسيا

اعتمدنا في بحثنا هذا على ثلاث وثائق في الأرشيف الحكومي الروسي التأريخي في سانت بطرسبورغ. تقع الوثيقة الأولى المؤرخة عام ١٩٠٥م في ٣٨ صفحة وعنوانها: "قوانين وشروط حج المسلمين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة". وتقع الوثيقة الثانية المؤرخة عام ١٩٠٨م في ٦ صفحات وعنوانها "نقل حجاج المسلمين". أما الوثيقة الثالثة المؤرخة عام ١٩٠٨م فتقع في ٢٣ صفحة وعنوانها: "تقرير سعيد غني عظيمبايف عن حركة الحجاج المسلمين إلى مكة المكرمة عام ١٩٠٨م".

سنحاول في مقالنا هذا عرض كل وثيقة من هذه الوثائق الثلاث مؤكدين الوثيقة الأولى، وذلك لما فيها من معلومات مهمة، مع أن أغلبها ذو طابع سلبي.

ولكن السلبيات المذكورة في وثائق هذا البحث، عالجها الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - في سنوات حكمه عندما وحّد الجزيرة العربية المترامية الأطراف، فشاع فيها الأمن وعمرت في خدمة حجاج بيت الله الحرام الذين أصبحوا يلهجون بالدعاء للملك العظيم؛ لأنه وفّر لهم الأمن والعلاج والماء والراحة (١).

الوثيقة الأولى (٢)

تقرير مفصل عن موعد وصول الحجاج المسلمين إلى مكة المكرمة. «يوقت الحجاج المسلمون وصولهم إلى مكة المكرم في بداية شهر ذي الحجة في عيد الأضحى الذي يوافق ١٠ و ١١ و١٢ من ذي الحجة، مع العلم أن توافد الحجاج يكون كثيرًا جدًا كل سبع سنوات عندما يصادف اليوم الأول من عيد الأضحى يوم الجمعة، ويجتاز جميع الحجاج القادمين من الجنوب حجرًا صحيًا لمدة عشرة أيام» (١ ـ ص ١٩٥ ظهر).

يزور الحجاج المدينة المنورة أيضًا فيقصدها من يصل منهم قبل وقت الحج عبر ينبع، ومن هناك يذهبون إلى مكة المكرمة إما عن طريق البحر عبر ينبع وجدة، وإما عن طريق البر «ان المسافة بين ينبع والمدينة ٢٣٠ فرسخًا(٣) تجتازها القافلة عادة في خمسة أيام، ولكن غالبًا ما يقطع البدو هذه الطريق عندما لا تدفع لهم الحكومة التركية المعونة الموعودة» (لقد أغلق البدو هذه الطريق عام ١٨٩٧م لمدة ٨ أشهر) (١ ـ ص ١٩٥ ظهر).

وما إن يصل الحجاج إلى جدة حتى يستولي الوكلاء المرافقون لهم على محفظاتهم حال نزولهم إلى الشاطئ، ويحاول كل وكيل استمالة أكبر عدد من الحجاج لسيده. وفي أغلب الأحيان يحاول الوكلاء استمالة الحجاج وهم بعد في روسيا.

وصف موجز لمدينة جدة

عدد السكان في جدة ٢٠ ألف نسمة، وفي ينبع خمسة آلاف نسمة، وكان سكان ينبع يقاسون من شح المياه في المقام الأول، لذا كان يجلب الماء في بعض الأحيان من جدة في علب من الصفيح. إن الماء في جدة غالٍ جدًا، لذا يشتري الحجاج الفقراء مياه الآبار

الواقعة في ضواحي جدة، وهي آبار تمتلئ بالماء مرة واحدة في السنة، مع العلم أن الماء عرضة للتلوث و العفونة. «ويمكننا أن نستدل على مدى العناية بهذه الآبار من كلمات القنصل السابق الدكتور نيكيتينوف الذي شاهد في إحداها جثة إنسان. إن نظام إمداد جدة بالماء سيّئ جدًا، فليس من حمامات في المدينة كلها، وهذا مثال على شظف العيش في مدينة شرقية. كما أن المدينة ذاتها قذرة جدًا». (١ - ص١٩٦).

يُوزّع الوكلاء الحجاج قبل أن يتوجهوا إلى مكة المكرمة على أماكن تسمى «التكايا» بمعدل نحو ٣٠ شخصًا في غرفة صغيرة واحدة. وهناك أربع تكايا تبرّع بها الروس للحجاج القادمين من بخارى وتركستان، وهي شديدة القذارة والضيق فيبقى الكثيرون منهم خارج هذه التكايا. ويقيم القسم الآخر من الحجاج في بنايات مؤلفة من طابقين. يستخدم الطابق الأول فيها مخزنًا للبضائع، وأما الطابق الثاني فقوامه متاهات من الغرف يسكن فيها الحجاج، وتقع هذه البنايات قرب السوق، مزودة بإضاءة ضعيفة وتهوية بالغة السوء، وهذا ما يجعلها بؤرة للأوبئة.

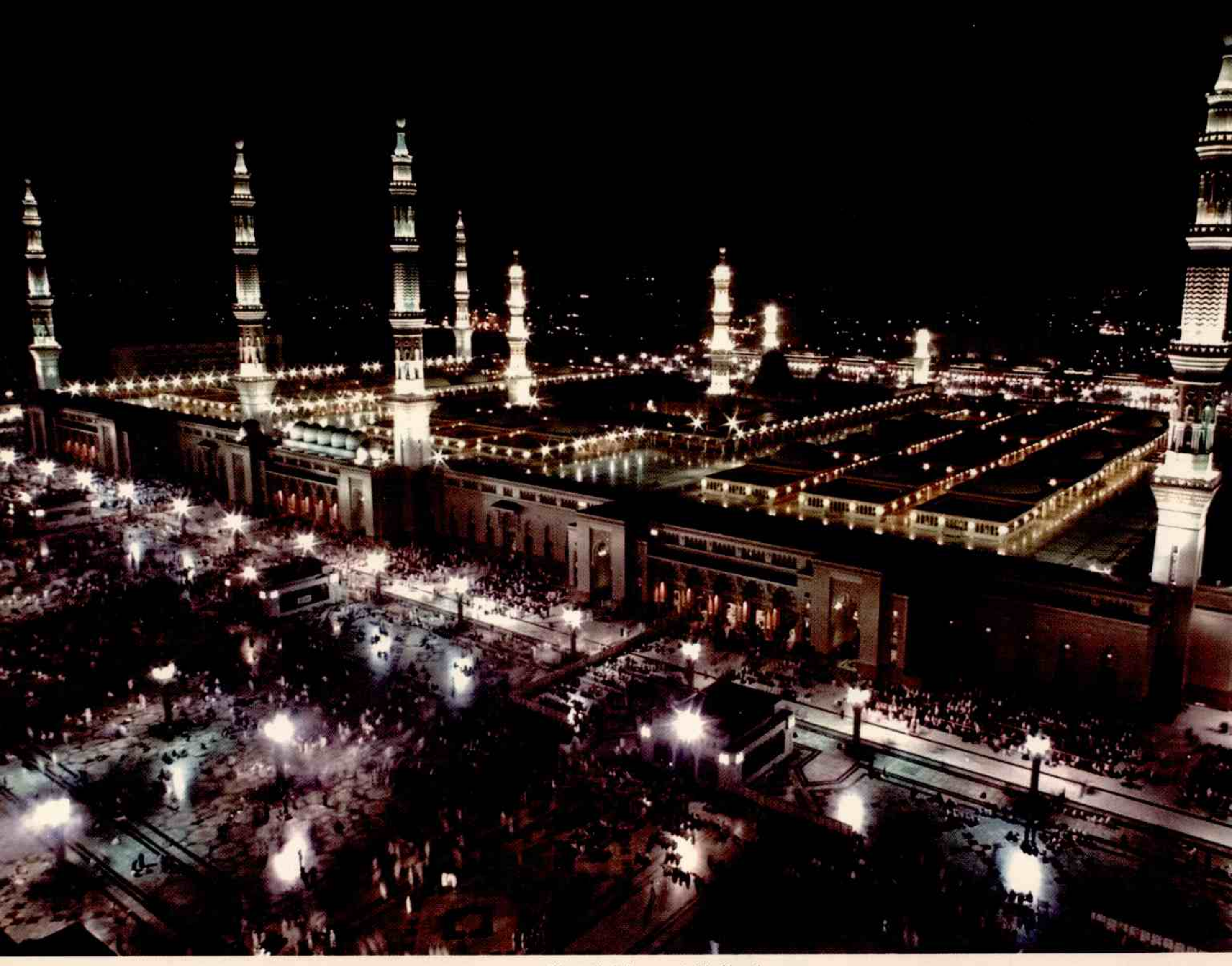
وليس هناك أي مساعدة طبية للمرضى من الحجاج، ويقول الدكتور نيكيتينوف: على الرغم من وجود مستشفى تركي في جدة، فلا يراجعه أحد من هؤلاء المرضى أبدًا، وذلك لظروفه الصحية السيئة جدًا.

ويتحدث الدكتور سوكولوف الموفد إلى مستشفى جدة عام ١٨٩٨م قائلاً: «إن مستشفى البلدية سيّئ المظهر جدًا من الخارج، أما من الداخل فإنه يعطي انطباعًا يقبض النفس، إنه مبنى صغير ذو طابق واحد مؤلف من غرفتين، ويفصلهما ممر صغير من دون أبواب، وتنوب فيها قضبان خشبية عن النوافذ. أما الجدران والأسرة فقذرة جدًا. وعلى الأسرة حشايا نتنة فيها كثير من الطفيليات...» (١ - ص١٩٧).

وتفصّل هذه الوثيقة كيف يتصرف الحجاج الروس بأموالهم عندما يتوجهون إلى مكة المكرمة للحج إذ لا يأخذون معهم من المال إلا ما يكفي لقضاء حاجاتهم فقط. منهم من يترك نقوده عند أشخاص يستلمون أموال الحجاج كأمانة ووديعة خلال فترة الحج. ولكن بعض هؤلاء المؤتمنين يحاول الاستيلاء على قسم من الأموال المودعة لديهم، ومنهم من يستولي على أموال الحجاج الذين توافيهم المنية خلال الحج. وبعد أن حاولت القنصلية الروسية منذ تأسيسها عام ١٨٩١م إقناع الحجاج الروس بإيداع أموالهم لديها نجحت في جعل الحجاج يستجيبون، فوصل مبلغ الودائع ١٧,٥٠٠ روبل عام ١٨٩٦م، ولكن كما جاء في هذه الوثيقة «انخفض مبلغ الوديعة وللأسف في القنصلية الروسية ثانية عام ١٨٩٧ إلى ٤,٧٧١ روبلاً، و٩ كوبيكات، وما تزال أكثر الودائع في أيدي أشخاص غير رسميين» (١ - ص ١٩٧ ظهر) يستأجر الحجاج جمالاً للسفر إلى مكة المكرمة من وكلاء متعاونين مع شريف مكة يتقاسمون الأرباح بينهم وبينه (٤). ويضمن حداة الإبل الأمن لأنفسهم على الرغم مما يقع من حوادث السرقات والقتل في الطريق من جدة إلى مكة المكرمة، ومن مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وذلك بسبب طاعتهم المطلقة لشريف مكة.وعند وصول الحجاج إلى مكة المكرمة يُعهد بهم إلى مرشدين ويقسمونهم إلى فئات حسب بخلهم وكرمهم (٥).

وتضمن هذا التقرير وصفًا لمناسك الحج وظروفه من الناحية الصحية، بما في ذلك الطواف والسعي، الركنان الأساسيان من أركان الحج، وأيضًا وصفًا موجزًا للكعبة وقت الحج.

وأورد هذا التقرير قصة خروج آدم وحواء من الجنة، ولقاءهما الأول على جبل عرفات، وفي (ص١٩٩ ظهر) من هذه الوثيقة قصة إبراهيم عليه السلام، والمكان الذي وقعت فيه.



الحرم المكي الشريف بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين

يضاف إلى ذلك وصف لمنى، كما جاء على لسان شخص زارها فوصفها يوم الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٨٩٨م قائلاً: «لم يكن الشارع الرئيس شديد القذارة، ولكن كانت الأرض بين الجبال والبنايات مملوءة بعظام يكسوها لحم أسود متفسخ، لأن الحجاج يُعدّون الطعام لأنفسهم من الأجزاء الطرية فقط من اللحم المجفف، مخلفين باقي الأجزاء تتفسخ على الطرقات، وهناك عدد من جثث الخراف المنتفخة. بينما غطى البعر كل الأماكن قرب الجدران، وانتشرت النفايات والفضلات في كل مكان والقذارة فظيعة، والرائحة الكريهة في كل مكان وخاصة قرب المرافق العامة التي لم تطمر، وآلاف الحيوانات المذبوحة بدأت تتفسح ملقاة على الأرض قرب الحفر» (١ ـ ص٢٠١).

وبسبب الظروف الصحية السيئة المذكورة أعلاه فإن الأمراض والوفيات بين الحجاج عند جبل عرفات وخاصة في منى أكثر بكثير مما هي عليه في مكة المكرمة.

وفي مساء الثاني عشر من ذي الحجة يرجع جميع الحجاج إلى مكة المكرمة، ويبدؤون بتجهيز أنفسهم لطريق

العودة، ولكنهم يقومون بطواف الوداع قبل رجوعهم.

«تلك هي مناسك الحج التي يجتمع مئات الآلاف من المسلمين من جميع أنحاء العالم لتأديتها. ولا نرى في هذه الشعائر شيئًا يذكر بالإسلام أو نبيه، بل إن كل هذه المناسك هي من شعائر العبادة القديمة عند العرب وقد أدخلوها بأكملها في المذهب الجديد» (١ ـ ص٢٠١ ظهر).

علاقة شريف مكة بالحجاج

يجب على الحاج أن يدفع مبلغًا كبيرًا من المال للحصول على حق الدخول إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة وضواحيها. وتترأس قبائل عربية مشهورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة بالوراثة وإلى الأبد، وتكسب منها أرباحًا طائلة تحت قيادة شريف مكة وحمايته الذي يقتطع نسبة معينة من هذه الأرباح لنفسه. وكذلك يعيش الكثير من أقرباء الشريف بصورة مباشرة أو غير مباشرة من أرباح الحجاج.

وبشهادة من الدكتور طلعت: أن شريف مكة كان يتقاسم أرباحه الكثيرة مع الموظفين المحليين من الأتراك، ومع أتباع السلطان في القسطنطينية، وحتى مع رأسماليين أوربيين أغنياء ومع قناصل أوربيين أيضًا، وتحت قياة الشريف يقوم هؤلاء باستغلال الحج والحجاج لمصلحتهم الشخصية بكل معنى الكلمة.

وبعد أداء أهم مناسك الحج أي بعد عودة الحجاج من منى إلى مكة المكرمة، يعتقد القسم الأكبر من الحجاج بوجوب زيارة الأماكن المقدسة في المدينة المنورة التي تدوم الرحلة عن طريق البر إليها ذهابًا وإيابًا ٢٥ يومًا والرحلة متعبة وخطيرة جدًا. لذا يفضل الكثير من الحجاج الرجوع إلى جدة لينتقلوا منها إلى ينبع، ومن هناك إلى المدينة المنورة بواسطة القوافل.

ولكن شريف مكة يحاول بشتى الطرائق عرقلة هذه الرحلات ويرغم الحجاج على السفر برًا؛ لأن سفر

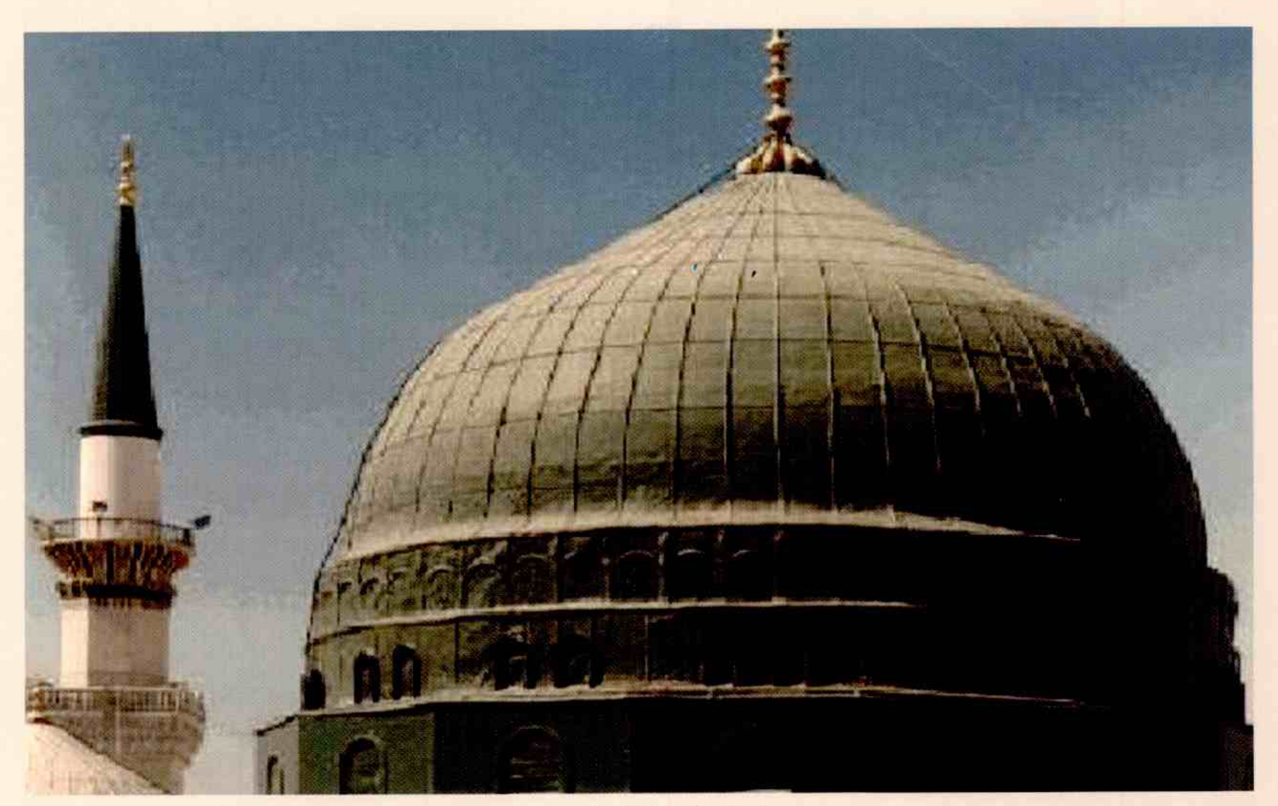
لم تمنع الحكومة الروسية المسلمين الروس المقيمين في مختلف مناطق روسيا من الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وأقامت الحكومة منظمات ومنشآت خاصة لهم وتصدت للنصابين أمثال السماسرة اليهود وعظيمبايف

الحجاج عن طريق البر يجلب له أرباحًا طائلة. ولقد احتكرت قبيلة من قبائل الشريف إدارة أعمال القوافل المتوجهة إلى المدينة المنورة، ومُنع بقية العرب من نقل الحجاج إلى المدينة المنورة عن طريق البر. «مع العلم أن القافلة في مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تتألف عادة من ١٥ ـ ٢٠ ألف جمل، وهذا بحد ذاته دليل على ضخامة أرباح تجلبها هذه الرحلة للشريف ولشركائه» (١ ـ ص٢٠٣ ظهر).

«ولما أصر الحجاج عام ١٨٩٦ على السفر بحرًا إلى المدينة المنورة، ومنها توجهوا إلى جدة بقافلة خاصة، سلبهم ونهبهم البدو بأمر من الشريف»، (١ ـ ص٢٠٣ ظهر).

كثيرًا ما تتعرض القوافل وهي في طريقها من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة للسلب والنهب والقتل من قبل البدو وحتى من قبل الحداة. جاء في تقرير القنصل في جدة السيد براندت: «لقد سرقت ونهبت القافلة عام ١٨٩٥م، وهي بطريقها من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة من قبل الحداة، وعلى الرغم من سقوط مئات القتلى، فقد أكد قائم مقام جدة للقنصل تخلصًا من التحقيق بأن القافلة أصيبت بكوليرا فظيعة كانت السبب في وفاة هؤلاء المئات من الناس» (١ ـ ص٢٠٤).

يتكرر السلب والنهب كل عام ويبدو أن كل هذا يحاط بصمت وموافقة السلطات التي لا ترسل ما يكفي



الحرم النبوي الشريف قبل التوسعة

من الحراس مع القافلة تاركة الحجاج تحت رحمة البدو كليًا. ويقول عارفون: إن السلطة المحلية تشترك بأخذ حصتها من الأشياء المسروقة أيضًا.

نادرًا ما تصل المعلومات عن حوادث سرقات الحجاج إلى أسماع القنصلية الروسية؛ لأن الحجاج يخافون

يجب على الحاج أن يدفع مبلغًا كبيرًا من المال للحصول على حق الدخول إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة وضواحيها. وتترأس قبائل عربية مشهورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة بالوراثة

السلطات التركية، والقنصلية لا تستطيع أن تساعدهم بشيء دون علم السلطة.

وفضلاً عن سلب الحجاج ونهبهم في الصحراء بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فهناك الكوليرا وغيرها من الأمراض التي تودي بحياتهم. ولقد وصف أحدهم الطريق قائلاً: «كانت درجة الحرارة مرتفعة جدًا، وكان الحجاج يصابون باضطراب في المعدة فيقضون نحبهم بسرعة. ولا يهتم أحد أبدًا بالمرضى، وكل واحد يهتم بنفسه فقط. وحدث أن الحجاج أنفسهم كانوا يرمون برفاقهم الضعفاء على قارعة الطريق ليموتوا موتًا بطيئًا» (١ ـ ص٢٠٥).

وقال شاهد عيان آخر: «بلغ عدد من ألقي بهم على قارعة الطريق نهارًا فقط ٧٠٠ مريض، ولكنه لم يستطع أن يحدد عدد من ألقي بهم على قارعة

الطريق ليلاً» (١ ـ ص٢٠٥).

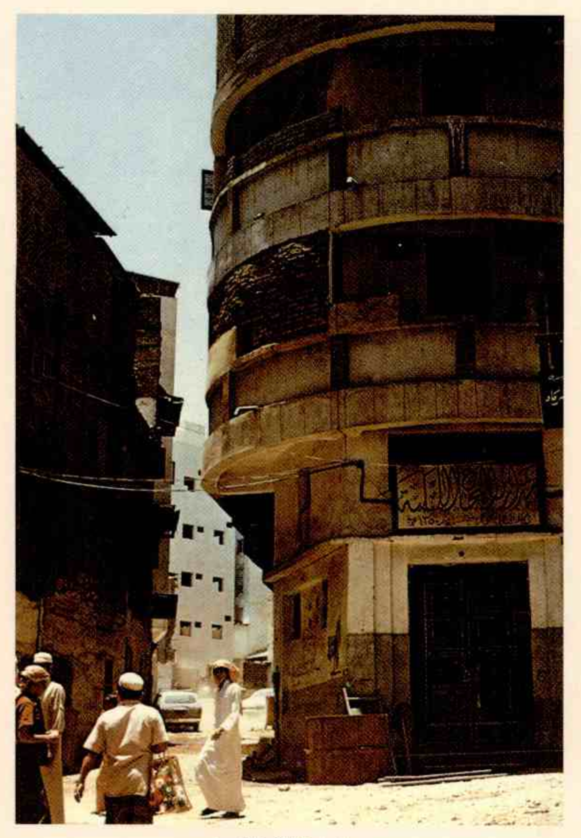
يلقى الكثير من الحجاج حتفهم في الحجاز قبل وصولهم إلى المدينة المنورة، وذلك بسبب عدم توافر وسائل الراحة الضرورية من مسكن وماء ومساعدات طبية. فالوضع الصحي سيّئ جدًا يؤدي إلى وفاة ٢٠٪ من الحجاج، وفي السنوات المشؤومة يصل عدد الوفيات بينهم إلى ٥٠٪.

إن الأمراض السارية التي تنتشر بين الحجاج كوباء الكوليرا والطاعون معروفة في جزيرة العرب منذ القدم. إن الأوبئة تأخذ بالانتشار من عرفات تدريجيًا، وتبلغ ذروتها دائمًا في منى، وغالبًا عن طريقة الحجاج الهنود.

وكان يصل الوباء ذروته في سنوات الحج الأكبر، عندما يتزامن الحج مع فصل الحر. «وهناك قناعة بأن الكوليرا تنتشر عادة عندما يغطي الضباب الشعاب المحيطة بجبل منى ويزداد الوباء انتشارًا مع ازدياد كثافة الضباب» (١ ـ ص٢٠٦).

إن الوباء الأكبر والأفظع الذي انتشر في تلك الأعوام، هو وباء الكوليرا الذي انتقل من الهند عام ١٨٣١م، وأودى بحياة ثلاثة أرباع الحجاج، ثم اجتاح الوباء جميع أنحاء أوربا، وعاد ثانية عام ١٨٣٧م وعام

حاول شريف مكة بشتى الطرائق عرقلة هذه الرحلات وأرغم الحجاج على السفر برًا؛ لأن سفر الحجاج عن طريق البر يجلب له أرباحًا طائلة. وقد احتكرت قبيلة من قبائل الشريف إدارة أعمال القوافل المتوجهة إلى المدينة المنورة، ومُنع بقية العرب من نقل الحجاج إلى المدينة المنورة



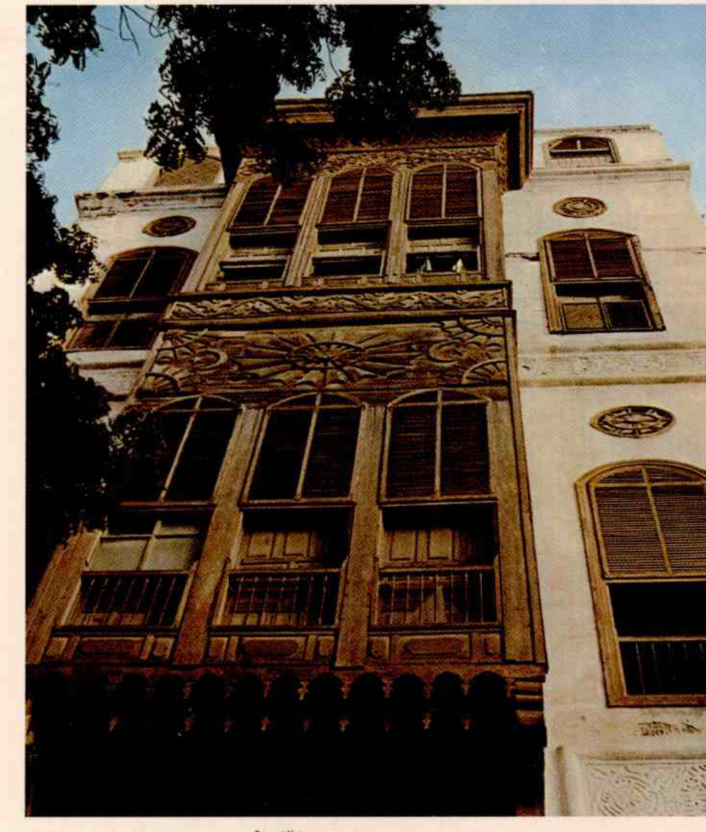
من أحياء مكة المكرمة القديمة

١٨٤٠م. وبعد ذلك اجتاحت الكوليرا البلاد خمسة أعوام متتالية من عام ١٨٤٦م إلى عام ١٨٥٠م.

واشتهر وباء عام ١٨٩٥م بشدته، إذ انتقل من الهند، واستمر عامين، واتصف بالقسوة أيضًا وباء عام ١٨٨٣م، ووباء الكوليرا عام ١٨٩٣م اللذان أوديا بحياة أعداد لا تحصى من الضحايا.

وقال شهود عيان: «إن هذا الوباء يشبه وباء عام ١٨٦٥م، بدأ عند جبل عرفات بصورة طفيفة، وانتشر في منى في مساء اليوم الأول من وصول الحجاج إليها، وسرعان ما شمل مكة المكرمة وجدة، ولكنه لم يخرج عن نطاق الحجاز بفضل الحجر الصحي» (١ ـ ص٢٠٧).

كما اشتهر عام ١٨٩٥م بانتشار وباء الكوليرا واشتداده عند سفر الحجاج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.



من جدة القديمة

وفي عام١٨٩٧م انتشر وباء الطاعون بين الحجاج وبدءًا من شهر مايو/أيار حتى بداية يوليو/ تموز. والأرجح أن هذا الوباء انتقل عن طريق الحجاج من اليمن وحضرموت إذ إن شواطئ جزيرة العرب على اتصال دائم بموانئ الهند في كراتشي وبومبي، المصابة بالطاعون، والتي كان الاتصال بها يتم عن طريق المراكب الشراعية التي يصعب مراقبتها صحيًا. كان اليمنيون يشترون بضائع مختلفة من الهند، ويتوجهون من مسقط إلى الحجاز لبيعها، وكانوا يأخذون الحجاج أيضًا على مراكبهم الشراعية. كانت تجوب البحر الأحمر سفينة تقبض على المراكب الشراعية التي تقوم بتهريب الحجاج، ولكنها كفت عن العمل منذ عام ١٨٩٦م، لذا كانت حركة تهريب الحجاج تجري من دون عائق، وكان يحاول

كان سكان ينبع يقاسون من شح المياه في المقام الأول، لذا كان يجلب الماء في بعض الأحيان من جدة في علب من الصفيح. فالماء في جدة كان غالياً جدًا، وكان الحجاج الفقراء يشترون مياه الآبار الواقعة في ضواحي جدة

أصحاب هذه المراكب إخفاء جنسية الركاب ووجهتهم.

بعدها انتشر وباء الطاعون في عامي ١٨٩٨ و١٨٩٩م. وانتقل الوباء عام ١٨٩٩م من الهند عبر حجاج وصلوا إلى الحجاز عن طريق التهريب، وكان أول من أصيب بالطاعون في هذا العام امرأة هندية.

وما إن وصلت الأخبار عن أولى ضحايا الطاعون في جدة حتى أمر المجلس الصحي العالمي في القسطنطينية بعزل جدة ومنع الحجاج من زيارتها، وفرض الحجر الصحي حول جدة مما أدى إلى سخط الحجاج وسكان جدة وتذمرهم من الإجراءات التي اتخذها المجلس الصحي، وهذا بدوره أدى إلى حدوث فتنة بين السكان في الثامن عشر من فبراير/ شباط فاخترقوا الحجر الصحي حول جدة بالقوة وهدموا الكثير من الدكاكين، وسلبوا ونهبوا جميع الحجاج الموجودين في أجنحة المستشفى.

ولتهدئة الاضطرابات بين سكان جدة وتجنب تجمع الحجاج في المدينة ألغى المجلس قرار الحجر الصحي من حول جدة، في ٢٣ فبراير/ شباط ١٨٨٩م، شريطة تنفيذ التعليمات الصحية والتمسك بها في جدة وكذلك في مكة المكرمة. وعُدّ الحج في هذا العام خطرًا بسبب وباء الطاعون، وكان على العائدين من مكة المكرمة والمدينة المنورة أن يمروا بالحجر الصحي مدة ١٠ أيام.

وصف موجز للمدينة

عـدد سكان المدينة المنورة ٤٠ ألف نسـمـة، ويقـيم الحجاج الروس في ٥ تكيات مخصصة لهم؛ أو في شقق خـاصــة أو في المدارس. يجلب الماء من آبار تقع على مسافة ٥ فراسخ خارج المدينة المنورة، وهناك مستشفى تركي فيه ٣٠ سريرًا وطبيب واحد، وهو تابع للأوقاف ويعمل كمستوصف لعلاج المرضى، ويقدم لهم الأدوية مـجـانًا. تعيش في المدينة المنورة ٣١ عـائلة من التـتـر الروس الذين هاجروا إلى هذه المدينة في فترات مختلفة ولأسباب مختلفة. بنى هؤلاء التتر في ضاحية الشيخ (٦) «مـسـجـدًا»(٧) صـغـيـرًا يـتـرأسـه مـهـاجـر من محـافظة استرخان هو عبدالستار الذي هاجر إلى المدينة المنورة قبل ٤٠ عامًا. وتقع جميع نفقات هذه الجالية على عاتق الحجاج التتر الروس.

قبل ٢٠ عـامًا بدأ عبدالستار المذكور أعلاه بجمع أموال في روسيا لإقامة مدرسة ومسجد في المدينة المنورة. في البداية كان عبدالستار يسافر بنفسه إلى روسيا لجمع التبرعات، ولكن بعد ذلك، وعندما منع من الدخول إلى روسيا بدأ يرسل الرسائل مع مساعديه المقربين إليه، وبهذه الطريقة جمع ٥٠ ألف روبل، وبنى بهذا المبلغ مدرسة فيها ٤٠ حجرة صغيرة ومسجد صغير و ٦ بيوت لجباة التبرعات.

وبهدف نشر سيطرته وزيادة عدد أنصاره جرب عبدالستار والمقربون منه جميع الطرق لإقناع التتر بالهجرة إلى دولة إسلامية أي تخضع لحكم إسلامي، لأن هذا من أهم واجبات المؤمن. ولكن دعوته هذه أخفقت بسبب الظروف الجوية الصعبة، وارتفاع نسبة الوفيات بينهم، ولأن الرجال التتر الذين يفقدون زوجاتهم يتوجهون إلى روسيا ليتزوجوا هناك ثانية وليجلبوا معهم نساء لأولادهم وإخوتهم وأقربائهم؛ لأنهم لا يحبون الاقتران بالنساء العربيات، لأنهن حسب قولهم صارمات، ولا يطعن أزواجهن.

حدثت اضطرابات بين الحجاج المسلمين في خان الحجاج، وطالبوا بإرسال سفينة إلى جدة، وتخفيض تذاكر السفن وغيرها، وكذلك حدثت اضطرابات ثانية على متن سفينة "كيف"

يوجد في المدينة المنورة ١٧ مدرسة تابعة للأوقاف التركية، وفيها ما يقارب ٢٥٠ طالبًا. وهناك مدارس مماثلة في مكة المكرمة أيضًا. وتصرف هذه المدارس من المبلغ السنوي الذي تستلمه من الأوقاف رواتب المعلمين والموظفين الذين يعملون فيها ونفقات معيشة الطلبة أيضًا.

وفي الحاشية على صفحة (٢١١ ظهر - ٢١٢) من الوثيقة رقم١ وصف للمدارس في المدينة المنورة.

إن مدرسة المحمودية هي أغنى مدرسة في المدينة المنورة، ويستلم الطالب فيها ليرة تركية واحدة في الشهر (أي ما يقارب ٣ روبلات و ٥٠ موبيك) وأما الطلاب الذين يعيشون في المدرسة القازانية فإن نفقات معيشتهم على حسابهم الخاص.

يدرس في مدارس المدينة المنورة طلبة من جميع القوميات (ما عدا السكان الأصليين) وطلبة من جميع الأعمار وعلى عدد الأماكن المخصصة للسك. وعدد سنوات الدراسة غير محدد (يعيش بعض الطلبة في هذه المدارس حتى سن العشرين) يُفصل الطالب من المدرسة إذا قام بعملٍ مخالف وغير لائق ونادرًا ما يحدث هذا، وكذلك يُفصل الطالب إذا تزوج.

اشتهر الأساتذة بالمدينة المنورة بتفسير القرآن الكريم وتفسير الأحاديث النبوية الشريفة. ويقصد الكثيرون المدينة المنورة مدة سنة أو سنتين ليدرسوا

كانت ظروف الحج صعبة جدًا، وليست لمصلحة الحاج، يتخللها السلب والنهب والأمراض والأوبئة والوفيات التي كان يتعرض لها الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة وبالعكس

القرآن والحديث على أيدي هؤلاء الأساتذة.

كان عدد الطلبة من روسيا عام ١٨٩٨م في جميع مدارس المدينة المنورة ٤٢ طالبًا، يدرس أكثرهم في المدرسة القازانية، وذلك لوجود غرف فارغة دائمًا. لقد ازداد عدد الطلبة في مدارس المدينة المنورة في السنوات الأخيرة ازديادًا كبيرًا؛ وذلك بسبب انتقال عدد كبير من الطلبة من مدارس القاهرة والقسطنطينية إلى مدارس المدينة المنورة (٨)، وذلك؛ لرغبتهم بالاستماع إلى محاضرات الأساتذة في المدينة المنورة، ولكن الأهم من ذلك هو تلك الحياة الرغيدة التي يعيشها الطالب بفضل التبرعات التي تجمع من الحجاج والمواطنين، وكذلك استلام مبالغ مجزية للقيام بالحج نيابة عن شخص آخر. وقال أحد الوكلاء الذين زاروا المدينة المنورة عام ١٨٩٨م: إن المسلمين الشباب الذين يدرسون في المدينة المنورة يختلفون اختلافًا شديدًا عن إخوانهم المسلمين الذين يدرسون في مدارس بخارى، فلا تلاحظ عندهم ذلك التعصب الأعمى والاستخفاف بكل شيء لا يدخل في نطاق الشريعة واحتقار كل من لا يطبق قوانين الشريعة بصرامة. إن طلبة مدارس المدينة المنورة واسعو الفكر ولهم وجهات نظر ناجعة، ويهتمون بكل شيء.

إن للسيد علي زاهر المدرس المشهور في الحجاز تأثيرًا كبيرًا في الشباب. فهو شخص متقد الذكاء، شاهد الكثير في حياته، وله وجهة نظر ليبيرالية، وهذا نادرًا ما نشاهده بين العلماء. وإن هذا المدرس المحترم هو من أنصار روسيا، وكان دائمًا يحدث طلابه عن زياراته إلى موسكو، ويحدثهم عن جميع معالمها التي شاهدها بالتفصيل، وكثيرًا ما يمدح أنظمتها قائلاً: «الإيمان حقًا، هذا مما لا شك فيه، ولكن العدل غير موجود في الدول الإسلامية، ويجب أن نبحث عنه عند الروس» (١ - ص ٢١٢ ظهر).

وصف طريق عودة الحجاج

يبدأ الحجاج عند رجوعهم إلى جدة وينبع بجمع حاجياتهم للرجوع إلى بلدانهم، وهنا تبدأ بلاياهم. يُفلس الحجاج ذوو الدخل المحدود عند العودة، ولا يبقى عندهم المبلغ الكافي للرجوع إلى وطنهم؛ لذا يحاولون محاصرة القنصلية الروسية ومراكز الشرطة في جدة مطالبين بإرجاعهم إلى وطنهم مجانًا. ونادرًا ما يرجع الأغنياء أيضًا من مكة المكرمة من دون خسائر. وقد قال الدكتور طلعت إن رجلاً صينيًا وزوجته توفيا جوعًا في السنوات الأخيرة في مكة المكرمة مع أنهما كانا يحملان عشرات الآلاف من الليرات التركية (أي ما يقارب مئات الآلاف من الروبلات).

وفي تلك السنة نفسها خسر أحد الحجاج من مالي أمواله، وكان قد وصل إلى مكة المكرمة ومعه مبلغ كبير من المال، واستقبله شريف مكة بطلقات مدفعية، وكانت عربة الشريف واقفة طوال فترة الحج قرب باب هذا الحاج، ويرافقه ٢٠ شخصًا من حرس الشريف. وعند انتهاء الحج أُرسل الحاج المالي إلى وطنه بمبلغ جُمع له.

تتجمع في جدة وينبع سفن من كل الدول تقريبًا لحمل الحجاج إلى وطنهم. وهذه السفن التي تستعمل لنقل الحجاج سيئة جدًا ولا تصلح لنقل أي شيء حتى للاستعمال إلا ما ندر، وأسوأ السفن هي السفن التركية، ومع ذلك فإن عددًا كبيرًا من الحجاج يجدون أنفسهم

مراحل من التوسعة شهدها الحرم المكي الشريف في العهد السعودي

على هذه السفن بالذات، وذلك تحت ضغط سلطات الشواطئ التي تصل وقاحتها إلى حد إبعاد السفن التابعة لشركات أخرى عن المدينة بما في ذلك بعض السفن الروسية. وبكل وقاحة طلب قائممقام جدة من القنصل الروسي إبعاد هذه السفن دون ذنب اقترفته.

تجبر الشرطة مكاتب شركات السفن التي تعمل إلى ساعة متأخرة من الليل على أن تغلق أبوابها عند الغروب في الأوقات العصيبة، مع العلم أن مكاتب الشركات



التركية تبقى مفتوحة. وكانت تعلق دائمًا إعلانات كاذبة تقول إن السفن التركية ستغادر جدة أولاً. ويحدث هذا على الرغم من أوامر السلطان التي تنص بثلاث لغات على أن الحجاج أحرار باختيار السفن والقوافل وغيرها من وسائل النقل.

ويحاول قباطنة السفن العديمو الذمة أن يجمعوا أكبر عدد من الحجاج دون التفات إلى العدد المسموح به لكل سفينة. ونتيجة لذلك تمتلئ السفينة إلى درجة لا يستطيع الركاب معها الجلوس من شدة الازدحام، وتبيع بعض السفن تذاكر لأماكن على قوارب الانقاذ المعلقة. وبما أن قبطان السفينة لا يملك الحق بالتلاعب بثمن التذاكر يقوم بعض أصحاب السفن بجمع ثمن التذاكر على حدة، وثمن المكان على حدة. ويقوم الكثيرون من أصحاب السفن برفع أسعار التذاكر في بداية موسم عودة الحجاج. وفي بعض الأحيان تدفع الدناءة بعض أصحاب السفن إلى بيع تذاكر تزيد على عدد الركاب الذين تستطيع أن تتحمله سفينتهم فتغادر السفينة الميناء تاركة الركاب الزائدين على الشاطئ ليتوجهوا بشكواهم إلى من يريدون.

وخلافًا للقرارات الصحية التي تفرض على السفن التي تنقل الحجاج بأن يكون متنها مغطى بواقٍ من الشمس فإن الكثير من السفن لا تلتزم ذلك، فيتعرض الحجاج طوال الوقت للشمس الحارقة التي تجعل من البحر الأحمر جحيمًا حقيقيًا. زد على ذلك أن الماء على متن السفينة رديء جدًا ويباع بأسعار باهظة.

وعلى الرغم من أن القواعد الصحية التي أقرّها المجلس الصحي في القسطنطينية تؤكد وجود طبيب وصيدلية على متن السفينة التي تقوم بنقل الحجاج فإن النتائج العملية لهذا القرار نعرفها من كلمات الدكتور فيراري المفتش الصحي في السويس: «كثيرًا ما أستلم قرارات من قباطنة السفن وأطبائها بأن الوضع الصحي للحجاج جيد جدًا، ويتبين عند التفتيش الصحي أن المرضى ينازعون الموت على متن السفينة وهم مستقلون على قاذوراتهم ومن دون أي مساعدات طبية» (١ - ص٢١٣ ظهر).

وفي العادة يحمل كل حاج معه هدايا كبيرة الوزن من التمر المحلي وماء زمزم في علب صفيح خاصة إضافة إلى السُبح المحلية وسجادات الصلاة، والخواتم الفضية وغيرها.

ويعود كل حاج ومعه ملابس الإحرام التي كان يرتديها وقت الحج وقطع من الأقمشة المبللة بماء بئر زمزم لتكون أكفانًا له ولأصحابه، وتوضع كل هذه الأشياء في صناديق وتسلم لسمسار ليوصلها إلى القسطنطينية.

وخلاصة ما جاء في هذه الوثيقة أن ظروف الحج في تلك السنوات إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت صعبة جدًا، وليست لمصلحة الحاج، يتخللها السلب والنهب والأمراض والأوبئة والوفيات التي كان يتعرض لها الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة وبالعكس.

الوثيقة الثانية (٩)

تقرير من المكتب الرئيس لنقل الحجاج المسلمين إلى جدة. وهو مرسل إلى المكتب الرئيس للجمعية الروسية للملاحة والتجارة. ويذكر فيه تأسيس «مكتب لنقل الحجاج المسلمين «للمرة الثانية وفق أسس قوانين نقل الحجاج، وحسب تعليمات قسم الملاحة التجارية: «على الرغم من النجاح الشامل الذي حققته هذه الجمعية تبين أنّ من الضروري:

- حماية المدينة من انتقال الأوبئة والأمراض المعدية إليها مثل: الكوليرا والطاعون وغيرهما.
- اتخاذ إجراءات قانونية إضافة إلى منع السماسرة والسفن الأجنبية من عرقلة الجمعية في تحقيق هدفها الرئيس، وهو بيع التذاكر للحجاج إلى جدة» (٢ - ص١٤٩).

ولكن على الرغم من اهتمام المكتب الرئيس بجمع الحجاج المسلمين في أوديسا والعناية بهم صحيًا وتسجيلهم، فإن جماعة من السماسرة واليهود يلجؤون إلى الحيلة والمراوغة لإقناع الحجاج بشراء تذاكر إلى جدة فقط مع حرص المكتب الرئيس على بيع التذاكر إلى جدة وبالعكس. كما حاول هؤلاء السماسرة سرًا صرف الحجاج عن أوديسا وإرسالهم عبر نهر الراين ورومانيا إلى القسطنطينية حيث يكون قد انتهى موعد بيع تذاكر المكتب الرئيس للملاحة والتجارة فلا يبقى أمامهم إلا السفر إلى جدة فقط.

كان كثير من أعضاء الجمعية التعاونية في المكتب الرئيس يتعاونون مع هؤلاء السماسرة، ويأخذون البقشيش من الحجاج، ولكنهم كان يُطردون مباشرة من الجمعية ويدفعون غرامة، فيفرون إلى أصحاب السفن التركية التي جاءت لنقل جموع من الحجاج، ولكنها، وبسبب انتهاء موسم الحج، كانت تكتفي بنقل مجموعات صغيرة قد تصل إلى بضع مئات من الأشخاص. إن الشيء المهم هنا هو اجتذاب الحجاج الذين استعدوا للسفر عن طريق وكلاء المكتب الرئيس للملاحة.

إن الجنرال محافظ الولاية المؤقت والمفتش الصحي للمحطات البحرية أقام بناية عظيمة مجانية في ميناء أوديسا لنقل الحجاج المسلمين إلى جدة. وخصص المكتب الرئيس الروسي للملاحة والتجارة قرضًا بمقدار ٥٠ ألف روبل وعمولة لسعيد غني عظيمبايف لكي يقوم بخدمة السفن التي تنقل الحجاج وبناء مكاتب لنقل الحجاج، ولكن عظيمبايف استخدم القرض والبنايات ووسائل النقل لمصلحته الشخصية، لذا طلب المكتب الرئيس تحويل جميع البنايات، وبأسرع وقت إلى محطات للحجاج، وطالب باستعمال الأسطول الطوعي، وخصص لهذا الغرض قرضًا بمقدار ٥٠ ألف روبل.

لقد اختصرنا المادة المذكورة في هذه الوثيقة بثلاث نقاط هي:

- لم تمنع الحكومة الروسية المسلمين الروس المقيمين في مختلف مناطق روسيا من الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.
- أقامت الحكومة منظمات ومنشآت خاصة للحجاج المسلمين من بنايات وخانات، وأمّنت لهم الرقابة الصحية ووسائل النقل وغيرها.
- تصدت الحكومة الروسية للنصابين أمثال السماسرة اليهود وعظيمبايف.

الوثيقة الثالثة (١٠)

تقع في ٢٣ صفحة وقفنا في بحثنا هذا على بعض المعلومات التي جاءت فيه وهي ردّه على آراء الصحافة وانتقاداتها. وعلى الصفحة ١٣ من هذه الوثيقة جاء على لسانه أنه في البداية لم يكن هناك أي اهتمام به ولا بعمله سواء من قبل الصحف الروسية أو من قبل الصحف الإسلامية، ولكن ظهرت بعد ذلك مقالات تنتقد عمله. وتحدثت الوثيقة عن أسعار التذاكر الغالية التي كانت تباع للحجاج المسلمين، وعن جباية رسوم وضرائب إضافية منهم. وأضاف قائلاً: إن هذا النقد كان يمس محطة واحدة فقط من محطات الحجاج المسلمين وهي محطة أوديسا وخان الحجاج، مع العلم أن الحجاج كانوا يتعرضون للسرقة والنهب والخداع طوال طريقهم الصعب إلى مكة المكرمة، في شبابيك قطع التذاكر، ومن قبل المرافقين، ومن أصحاب السفن وغيرهم. ويمضي عظيمبايف قائلاً: إنه لا يريد أن يسوّغ موقفه وخاصة بعد أن بدأ باستلام رسائل شكر كثيرة من المسلمين يعبرون فيها عن أهمية عمل عظيمبايف، ولقد استلم هذه الرسائل كل من وزير الداخلية ووزير المواصلات.

في سبتمبر / أيلول عام ١٩٠٨م حدثت اضطرابات بين الحجاج المسلمين في خان الحجاج، وطالبوا بإرسال سفينة إلى جدة، وتخفيض تذاكر السفن وغيرها.

يعود كل حاج ومعه ملابس الإحرام التي كان يرتديها وقطع من الأقمشة المبللة بماء بئر زمزم لتكون أكفانًا له ولأصحابه، وتوضع في صناديق وتسلم لسمسار ليوصلها إلى القسطنطينية

وعندما هدأت الاضطرابات تبين أنه انتشرت إشاعات بين الحجاج بوصول سفينة أوديسا لنقلهم بأسعار مخفضة، ولكن عظيمبايف يعيق سفرهم على هذه السفينة؛ لأن هذا يتضارب مع مصلحته الشخصية، ولكن تبين بعد تحريات طويلة أن بعض المترجمين الذين رفضهم عظيمبايف بسبب عملهم المتهاون دخلوا متنكرين بهيئة حجاج إلى خان الحجاج وبدؤوا بنشر إشاعات أدت إلى وقوع هذه الاضطرابات.

وكذلك حدثت اضطرابات ثانية على متن سفينة «كييف» بسبب الإفراط في اتخاذ إجراءات صحية إضافية. ولكن المفاوضات مع الحجاج ورئاسة السفينة هدّأت الاضطرابات، واستمرّ قائلاً: لقد توصلت إلى نتيجة فحواها أن الحج الأخير مرّ بسلام بالنسبة إلى الحجاج وإلى الحكومة الروسية، ولقد ساعدت وأعطيت فرصة لنحو ٧ آلاف حاج ليقوموا بالحج دون عقبات وصعوبات، وكانت جميع وسائل الراحة متوافرة لهم، ولذلك لم أصرف كوبيكا واحدًا من خزينة الدولة. ولقد ساعدني على عملي بعض موظفي الدولة. وينشر الأعداء إشاعات بأنني أصبحت غنيًا، وربحت الملايين بسبب الحج والحجاج المسلمين، ولكني في الواقع تحملت الخسائر فقط؛ لأنني قدمت أموالي، وصرفت طاقتي في هذا العمل. وأملي - وبعون الله تعالى - أن أقوم بمهمتي هذه لخدمة الحكومة الروسية ولمصلحة المسلمين.

إن عظيمبايف بتقريره هذا يحاول أن يعلل موقفه وينفي عنه التهمة الموجهة إليه في الوثيقة رقم «٢».

المراجع

١. مجلة الوثيقة، التحقيق في تأريخ أو توقيت حروب الملك عبدالعزيز لتوحيد الجزيرة العربية بمقارنة المصادر المطبوعة بالوثائق المخطوطة، د. علي عبدالرحمن أبا حسين، ٢٠٠٠م، العدد ٣٧ ص١٤ - ٥٥.

٢. الوثيقة الأولى:
قوانين وشروط حج المسلمين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ١٩٠٥م، الإضبارة ١٢٠٢، القائمة ٨، الملف ٨٢١، صفحة ١٩٥ - ٢١٤.

٣. فرسخ = ١٠٦٠ مترًا.

٤. «أجر الجمل من جدة إلى مكة المكرمة يساوي ٥ مجيدي (نحو ٨ روبلات و٦كوبيكات) يستلم منها شريف مكة ٢ مجيدي، وأما الثلاثة الباقية فتقسم ما بين صاحب الجمل والمرشد وقائد الجمل، فيحصل صاحب الجمل على أقل حصة» (١ - ص ١٩٧ ظهر).

٥. «للحجاج الروس في مكة المكرمة ثلاثة مرشدين، أحدهم للحجاج من القفقاز، والأخر للحجاج من القرم، والمرشد الثالث للحجاج من الأماكن الأخرى» (١ - ص١٩٨).

٦. ملاحظة المترجم. ضاحية الشيخ - جاءت في النص الأصلي ضاحية الراهب ولكننا ترجمناها ضاحية الشيخ.

٧. مسجد - جاءت في النص الأصلي كنيسة صغيرة ولكننا ترجمناها مسجد.

٨. بقي في نهاية عام ١٨٩٧م سبعة طلاب روس في القاهرة وخمسة عشر طالبًا روسيًا في القسطنطينية فقط.

٩. الوثيقة الثانية:
نقل الحجاج المسلمين ١٩٠٨م، الإضبارة ١٨٤٩، القائمة، الملف ١٠٧، صفحة ١٤٩ - ١٥٢.

١٠. الوثيقة الثالثة:
تقرير سعيد غني سعيد عظيمبايف عن حركة الحجاج المسلمين إلى مكة المكرمة عام ١٩٠٨م، الإضبارة ١٥٥، القائمة ٣، الملف ٩٨، صفحة ١ - ٢٣.



شجرة الخبز وثورة السـ



سمير عطا

القاهرة ـ مصر

نحصل على الخبز .. أو بمعنى آخر .. الدقيق الذي نصنع منه الخبز، من القمح، والذرة والشعير. وبعض الشعوب تستعين بالأرز أو جذور نباتات إفريقية تشبه البطاطا أو حتى بعض أنواع الموز ذي الحجم الكبير. غير أن هناك نباتًا آخر ينتج الخبز أو يحصل الإنسان منه على الخبز لا عهد لنا به في الشرق الأوسط، ولا يعلم عنه الناس الكثير رغم ارتباطه بأشهر قصة تمرد بحري في التاريخ، وهو التمرد الذي حدث على السفينة الإنجليزية باونتي Bounty في أواخر القرن الثامن عشر. كما أن بعض سكان الجزر في المحيط الهادي الباسيفيكي Pacific Ocean والبحر الكاريبي Caribbean Sea يعتمدون عليه اعتمادًا كليًا في صنع غذائهم الرئيس .. الخبز.

وهذا النبات لا ينتمي إلى الفصيلة العشبية كالذرة والقمح والأرز، وإنما هو نوع من الشجر الباسق ارتفاعه يراوح بين ٣٠ و٦٠ قدمًا وهو من العائلة التوتيّة، ويطرح نوعًا من الثمار الكروية الشكل غالبًا التي تبلغ الواحدة منها في حجمها عند النضج رأس طفل صغير، وقد يزداد نمو بعضها فتبلغ حجم البطيخ. والاسم العلمي الذي أطلقه عالم النبات «بلينوس على هذه الثمار Artocarpus incisus» أي «فاكهة الخبز» كما سميت الشجرة نفسها باسم «شجرة الخبز».

البحث عن غذاء رخيص

وفي أواخر القرن الثامن عشر كانت جزر الهند الغربية في البحر الكاريبي بالقرب من أمريكا الوسطى أكبر منتج للسكر في ذلك الوقت. ولم تكن تجارة الرقيق قد ألغيت بعد .. ووجد أصحاب المزارع أن من الأفضل لهم أن يستوردوا المواد الغذائية للعبيد والزراع من أن يستزرعوها حتى لا تتأثر زراعة قصب السكر. وكان استيراد هذه المواد سهلا عندما كانت المستعمرات الأمريكية الثلاث عشرة في أمريكا الشمالية تابعة للإمبراطورية البريطانية. غير أنه بعد حرب الاستقلال الأمريكية والاعتراف بالولايات المتحدة دولة مستقلة عن الإمبراطورية البريطانية، وجد أصحاب المزارع في جزر الهند الغربية أن من الضروري البحث عن مصدر للمواد الغذائية يجنبهم الرسوم والضرائب التي فرضتها الدولة الجديدة على صادراتها من هذه المواد.

لذلك فكر منتجو السكر في فاكهة الخبز التي طالما ذكرها الرحالون البحريون من زمن طويل، وأشاروا إلى وجودها في جنوب المحيط الهادي، وإن لم تلفت النظر تمامًا إلى أهميتها إلا عندما ذكرها عالم النبات السير جوزيف بانكس Joseph Banks الذي صحب الكابتن جيمس كوك James Cook الرحالة البريطاني الشهير في رحلته إلى جنوب المحيط الهادي (الباسيفيكي) عام ١٧٦٩م.

ووصف بانكس هذا النبات بأنه ينمو على شجرة سامقة تتفرع عند قمتها إلى أغصان ممتدة على الجانبين يبلغ طول بعض أوراقها الخضراء الدكناء من اثنتي عشرة إلى ثماني عشرة بوصة وهي مقعرة في المنتصف..

والثمرة لها قشرة جلدية ونواة صغيرة، ولحم الثمرة الذي يوجد بين القشرة والنواة هو الذي يؤكل مقددًا أو يجفف ويطحن دقيقًا. وذكر بانكس كما ذكر جيمس كوك أن هذه الثمرة هي الغذاء الرئيس لسكان جزر جنوب الباسيفيكي. وما أثار اهتمام منتجي السكر في جزر الهند الغربية المزايا الكثيرة التي تتصف بها شجرة الخبز فهي يمكن أن تصبح المورد الرئيس لغذاء السكان طوال فصل الإثمارالطويل الذي يبلغ ثمانية أشهر كل عام.. فضلاً عن أنها ليست بحاجة إلى استزراع إذ تنمو بالطبيعة (شيطاني) ولا يكف جمع الثمار مشقة غير تسلق الشجر لالتقاطه وجمعه.. وإذا أراد الإنسان استزراع هذا الشجر فإن شخصًا واحدًا يمكنه استزراع عشر أشجار خلال ساعة واحدة دون مجهود حيث يضمن بها موردًا دائمًا للغذاء الرئيس له ولأسرته بلا أي نفقات سواء في الوقت أو الجهد.. وكان ذلك حلاً مثاليًا لأصحاب مزارع السكر في جزر الهند الغربية.

موطن الشجرة

كانت جزيرة أوتاهيتي Otaheite التي سميت فيما بعد «تاهيتي» وهي إحدى جزر مجموعة سوسايتي Society بالمحيط الباسفيكي من أشهر الجزر التي تنمو فيها هذه

ظل المتمردون ورفاقهم من مواطني تاهيتي يعيشون في جزيرة بنكارين بمنأى عن العالم الخارجي طوال تسعة عشر عامًا. أما أولئك الذين فضلوا البقاء في أوتاهيتي فقد قبض عليهم بالفعل وأعدموا بعد محاكمة طويلة

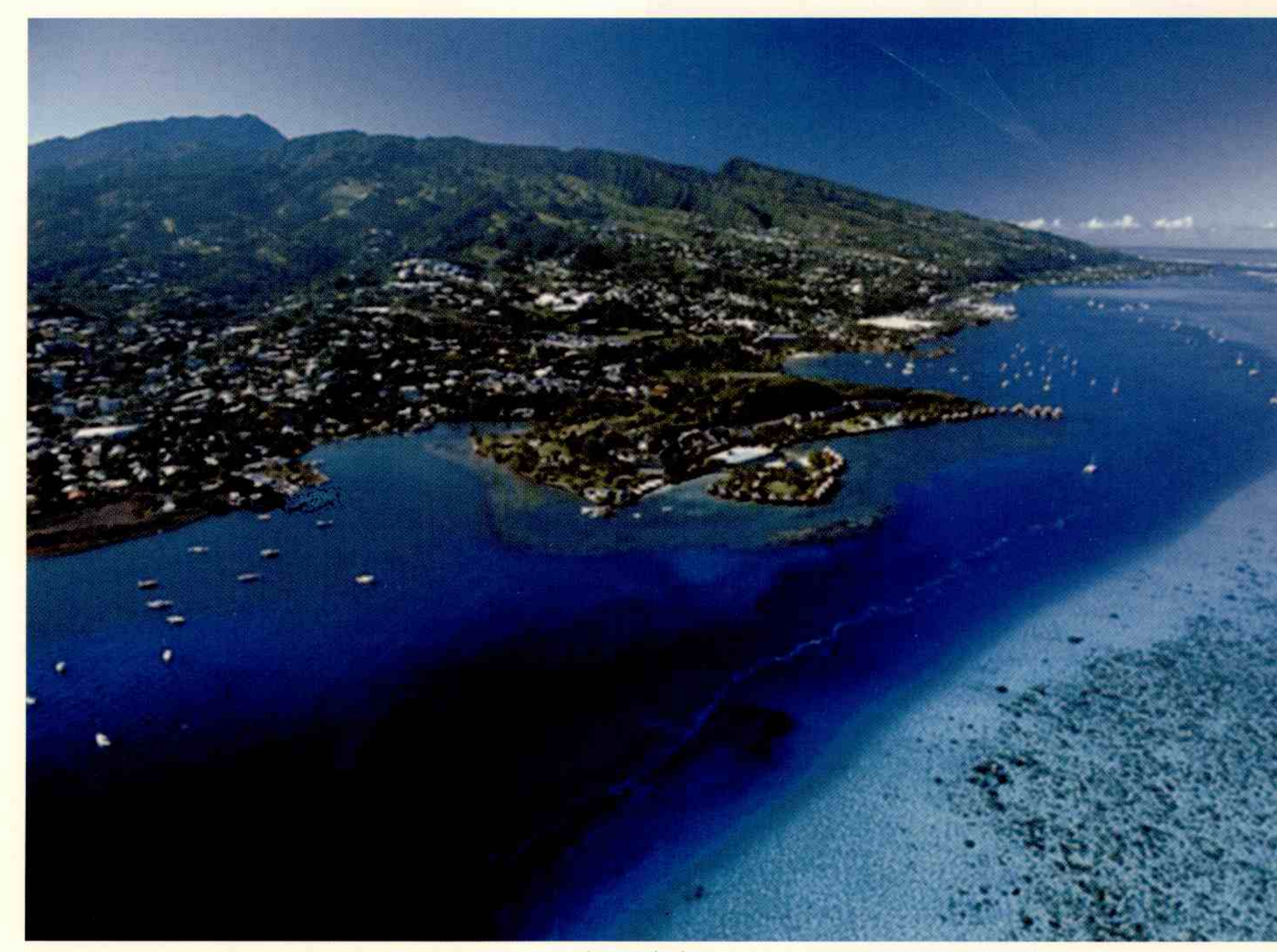
نجح الكابتن بلاي في كسب صداقة سكان جزر تاهيتي بما قدمه من هدايا رخيصة كان المستعمرون كثيرًا ما يخلبون بها ألباب سكان البلاد التي يستكشفونها

الشجرة، وقيل: إنها «تنمو من ذاتها» بمعنى أن جذور الشجر القديم حين تمتد قرب الأرض تعود فتنمو شجرًا جديدًا. غير أن أهالي جزر ساندويتش Sandwich دأبوا على استزراعها فأتت بمحصول أوفر وإن كانت مقادير الأشجار بها أقل مما ينمو في جزيرة أوتاهيتي.

ولأن جزر ساندويتش تقع على خط العرض الجغرافي نفسه للهند الغربية (جزر الكاريبي) والمناخ يتشابه بينهما فقد بدا منطقيًا أن شجرة الخبز يمكن أن تنمو في الكاريبي لو أن بعض نبتاتها وصلت في حالة جيدة على الرغم من طول الرحلة التي تبلغ آلاف الأميال وما يعتورها من مشاق ومصاعب طوال هذه المسافة وخلال درجات حرارة متفاوتة قد لا تلائمها.

بداية الجهود

لكن هذه المخاوف لم تحل دون المضي في المحاولة.. فاجتمع عدد من منتجي السكر في لندن، وجمعوا مبلغًا من المال للإعداد لرحلة بحرية لهذا الغرض، ولدفع أجور السفن التي يمكن أن تساهم في هذا المشروع، وطلبوا من السلطات المسؤولة أن تتدخل لدى قباطنة كل السفن المتجهة إلى خليج بوتاني Botany وتكليفهم بحمل بعض نباتات شجرة الخبز في طريق عودتهم من مناطق وجودها على أن يتركوها في الكاب Cape (رأس الرجاء الصالح) وسانت هيلينا St. Helena وجزر الرأس الأخضر



منظر عام لجزيرة تاهيتي

Cape Verde وكناريا Canaries وجزر ماديرا Madeira أو تسليمها لأي سفن قد تقابلها في طريق العودة وتكون متجهة إلى «الوست أنديز» (جزر الهند الغربية). وقد حددت هذه البقاع؛ لأنه لم يكن من اليسير إحضارها إلى إنجلترا ثم إعادة تصديرها إلى «الوست انديز»..

ولما كان ستيفين فولر Stephen Fuller أحد المسؤولين في مستعمرة جامايكا Jamaica من أصحاب المزارع، وعلى صلة ببعض السياسيين المعروفين في إنجلترا ، فقد قام بدور كبير في إقناع وزير الداخلية لورد سيدني Sydney بالفكرة بعد أن جمع له كل ما يريد من معلومات حول هذه الشجرة مما ذكره عنها الرحالون الذين أشاروا إلى أماكن وجودها في جزر باتافيا Batavia وأمبونيا Ambonia ومولوكا Mollucca وسوسايتي. وسرعان ما أصدر لورد سيدني تعليماته إلى قباطنة السفن بجمع أكبر عدد ممكن من البذور الصالحة للاستزراع بعد أن تكون قد أصبحت شتلات توضع في أصص وتترك في طريق العودة في رأس الرجاء الصالح وسانت هيلينا وجزر سواحل إفريقية الغربية. وقام أصحاب المزارع بإغراء


ثمرة شجرة الخبز

قباطنة السفن بعرض مبالغ مناسبة لمن يساهم في هذا المشروع، ولكنَّ أحدًا لم ينجح في الحفاظ على شتلات الشجرة، ومن ثم لم ينجح المشروع.

السفينة بونتي

عندئذ اتجه منتجو السكر إلى شراء السفينة التي عرفت في التاريخ باسم «بونتي» وأعيد تجهيزها وإعدادها طبقًا للتصميم الذي وضعه السير جوزيف بانكس رئيس الجمعية الملكية وعالم النبات المعروف ومساعد الكابتن كوك؛ وذلك لتحويل السفينة إلى بيت مؤقت للمزروعات الاستوائية.. فغطى سطح المركب بالقصدير ومدت أنابيب الماء المتسرب من الأصص عند ري الشتلات حتى لا يضيع هباء، كما جهزت فتحات معينة للتهوية وأشعة الشمس.

وفي أغسطس/ آب عام ١٧٨٧م عين الملازم بلاي William Bligh لقيادة السفينة ومعه طاقم بحارة من ثلاثة وأربعين رجلاً واثنين من البستانيين مهمتهما اختيار الشتلات والعناية بها في رحلة العودة. وكانت خطة بلاي هي الدوران حول رأس الرجاء الصالح ثم الاتجاه فورًا إلى جزر سوسايتي ليأخذ أكبر كمية ممكنة من شتلات الأشجار ثم يعود إلى الوست أنديز عن طريق مضايق اندفور Endeavour والساحل الشرقي والشمالي لجاوة Java ورأس الرجاء الصالح.

قسوة بلاي قائد السفينة وطغيانه، هما اللذان حركا عوامل التمرد الكامنة في نفس البحارة، ومنها كراهيتهم للعمل بالأسطول عمومًا، وقلة مرتباتهم

ولما لم يكن من الممكن التكهن كم من هذه الشتلات يمكن أن تصل سالمة أو في حالة جيدة بعد هذه الرحلة الطويلة، فقد تلقى بلاي تعليمات بأن يتجه في العودة أولاً إلى سانت فينسنت St.Vincent حيث يترك هناك نصف ما معه من شتلات أيًا كان عددها على أساس أنه إن نجحت زراعة هذه الشجرة هناك فيمكن بعد ذلك إعادة توزيعها على منطقة أوسع في جزائر وندوورد Windward ومن سانت فينسنت يمكن أن يبحر إلى جامايكا حيث يسلم المتبقي معه من شتلات لمندوب الحاكم هناك، وبذلك تتم بونتي مهمتها ورحلتها.

غير أن رحلة بونتي تأخرت لعدة أسباب، ولم تتأهب للإبحار إلا أواخر العام، وهو وقت يكون الإبحار فيه حول رأس الرجاء الصالح خطرًا.

وفي ٢٣ ديسمبر/كانون الأول عام ١٧٨٧م غادرت السفينة بونتي ميناء سبيت هيد Spithead وقطعت في تسعة أشهر مسافة ٢٧٠٨٦ ميلاً بحريًا بمتوسط ١٠٨ أميال كل ٢٤ ساعة.. وأخيرًا وصلت إلى أوتاهيتي في ٢٦ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٧٨٨م. وهناك مكث

الذي أثار اهتمام منتجي السكر في جزر الهند الغربية المزايا الكثيرة التي تتصف بها شجرة الخبز فهي يمكن أن تصبح المورد الرئيس لغذاء السكان طوال فصل الإثمار الطويل

البحارة ٢٣ أسبوعًا قضوا منها شطرًا في إقناع الأهالي بمهمة البعثة، وهي جمع شتلات شجرة الخبز. ونجح الكابتن بلاي في كسب صداقة سكان الجزيرة وحاكمها المسمى «تيناه Tinah» بما قدمه من هدايا عبارة عن بعض المرايا التي سرت الحاكم كثيرًا وبعض عقود الخرز والأساور والأجراس وقطع القماش وغير ذلك من الهدايا الرخيصة التي كثيرًا ما كان المستعمرون يخلبون بها لب سكان البلاد التي يستكشفونها ثم يخضعونها لحكمهم فيما بعد. وطبقًا لما أفاد به الأهالي فقد كان

السفينة بونتي



هناك ثمانية أنواع من هذه الشجرة يختلف بعضها عن بعض في شكل الأوراق بل وفي شكل الثمرة نفسها، فهناك المستديرة تمامًا وهناك المستعرضة.. وكانوا يعتقدون أنه لا يمكن استزراع الشجرة أو استنباتها من بذورها.. بل لا بد من إعادة الشتلة نفسها على النمو الذاتي نفسه ولا يتم ذلك إلا في فصل الأمطار حيث تكون الأرض مندأة ورطبة.

ومع أن ذلك كان مهمة البستانيين الاثنين اللذين رافقا البعثة، غير أن البحارة جميعهم شاركوا في عملية نقل الشتلات إلى المركب ووضعها وترتيبها حسب الأوضاع التي هيئت المركب لها من أجل هذا الغرض. وكان أهم ما يخشونه ويعملون له حسابًا هو مواجهة عملية نمو هذه الشتلات في الأصص واحتمال امتداد جذورها بما يهدد الأصص بالكسر. وقد استغرق البحارة في إعداد الشتلات وترتيبها عدة شهور ولم ينتهوا من ذلك إلا في مارس/ آذار عام ١٧٨٩م. وفي النهاية تمكنوا من جمع ٧٧٤ أصيصًا في ٢٤ صندوقًا يربطها ٢٩ أنبوبة مياه وتضم ١٠١٥ شتلة أشجار الخبز إلى جانب بعض النباتات النادرة الأخرى. وأبحر المركب من أوتاهيتي في ١٤ أبريل/ نيسان عام ١٧٨٩م.. وبعد وقت قصير حدث التمرد الشهير من بعض البحارة.

عوامل التمرد

وتذكر الروايات التي أرخت لهذا الحادث الذي أثار ضجة كبيرة في ذلك الوقت أن قسوة بلاي قائد السفينة وطغيانه، هما اللذان حركا عوامل التمرد الكامنة في نفس البحارة، ومنها كراهيتهم للعمل بالأسطول عمومًا، وقلة مرتباتهم التي لم تتغير منذ عهد «كرمويل Crmowell»، وأن معظم هؤلاء البحارة قد دفعوا إلى العمل بالبحر دفعًا عن طريق عصابات الخطف التي كانت تعرف آنذاك باسم



تنمو ثمرة الخبز بالطبيعة ومن دون جهد

Press Gangs، والتي كانت تزاول عملها - قانونًا - بخطف الناس من الشوارع والزج بهم في السفن.. ولم يكن يسمح لمعظمهم في الغالب بالعودة إلى بلده فترة طويلة ربما طوال حياته. لذلك كان الأسطول البريطاني يضم أكبر قوة بحرية في ذلك الوقت.. فقد كان عدد الأفراد العاملين فيه يبلغ ١٢٩ ألف بحار في الوقت الذي كان تعداد السكان لا يزيد على ١٠ ملايين نسمة. كذلك من العوامل التي كانت تثير نفوس البحارة في ذلك الوقت ظهور المنافسة بين السفن التجارية والحربية وفروق المرتبات بين العاملين عليها فضلاً عن سوء ما يقدم للبحارة من طعام وانعدام الرعاية الطبية في كثير من الأحيان.

أما الكابتن بلاي نفسه - وقد كان معروفًا بتصرفاته الحمقاء المستبدة وعقده النفسية الكثيرة - فإنه كان حاد الطبع كما ظل عدة سنوات برتبة ملازم حتى وهو يقود بونتي. لذلك كان من المهم عنده أن تنجح السفينة في رحلتها، وأن يعود بشجر الخبز بأقصى سرعة حتى ينال الترقية التي يطمح إليها مما ألجأه إلى التعنت في



فرض النظام والطاعة العمياء، وعلى الرغم من ذلك فلم يزد عدد من جرؤوا على التمرد عليه بقيادة كرستيان فلتشر «Christian Fletcher» ضابطه الأول عن نصف بحارة السفينة.. أما الباقون فقد خشوا مغبة هذا التمرد وانضموا إلى جانب قبطانهم الذي أنزل هو وأتباعه إلى قارب صغير، وتركوا تحت رحمة الأمواج حيث قطع بهم القارب ٤٠٠٠ ميل بحري فوق سطح المحيط حتى وصلوا بعد رحلة تعد من المعجزات البحرية إلى جزيرة تيمور Timor، ومنها عادوا إلى إنجلترا حيث قص بلاي على المسؤولين ما حدث لسفينته.

على الرغم من الإحباط الشديد الذي قوبل به بلاي بعد عودته إلى إنجلترا إلا أن مجلس جمعية جامايكا قدم له مكافأة لجهوده التي بذلها، وإن كانت قد باءت بالفشل

حياة المتمردين

أما المتمردون فقد عادوا بسفينتهم إلى أوتاهيتي بعد أن ألقوا بأصص شجر الخبز إلى الماء وبقوا هناك عدة أشهر كانت تفيض بالسعادة واللهو. ثم خشي كرستيان فليتشر مغبة ما فعل هو ورفاقه وخاصة إذا ما نجا بلاي وبحارته وعادوا إلى إنجلترا فإنه سوف ينجح في إثارة السلطات البريطانية لكي تقرر إرسال سفينة أخرى إلى أوتاهيتي للقبض على المتمردين، لذلك قرر مغادرتها هو ورفاقه ومعهم عدد من رجال ونساء تاهيتي وأبحروا إلى جزيرة بتكارين Pitcaren وهي جزيرة نائية مهجورة لكنها وافرة المياه والثمار.

هكذا ظل المتمردون ورفاقهم من مواطني تاهيتي يعيشون في تلك الجزيرة بمنأى عن العالم الخارجي طوال تسعة عشر عامًا حتى رست إحدى السفن التجارية الأمريكية عام ١٨٠٨م على شاطئ الجزيرة بحثًا عن الماء فعثرت على رجل واحد منهم هو الذي بقي: على قيد الحياة ومعه عدد كبير من الأطفال المخلطين والنساء. أما أولئك الذين فضلوا البقاء في أوتاهيتي فقد قبض عليهم بالفعل - كما توقع فلتشر - ورحلوا إلى إنجلترا حيث أعدموا بعد محاكمة طويلة.

كان من المهم عند بلاي أن تنجح السفينة في رحلتها، وأن يعود بشجر الخبز بأقصى سرعة حتى ينال الترقية التي يطمح إليها مما ألجأه إلى التعنت في فرض النظام والطاعة العمياء.


جوزيف بانكس

بلاي يحاول من جديد

وفي الجانب الآخر من العالم كان أصحاب مزارع السكر ينتظرون وصول بونتي بحمولتها التي تشكل أملاً لهم لتوفير غذاء رخيص للعبيد والزنوج الذين يعملون في مزارعهم. ولكنهم بدلاً من أن يستقبلوا السفينة وشتلات شجرة الخبز، استقبلوا بدهشة شديدة أنباء التمرد الذي حدث، ومن ثم لم تصل شتلات الشجر. وعلى الرغم من الإحباط الشديد الذي قوبل به بلاي بعد عودته إلى إنجلترا في مارس/آذار عام ١٧٩٠م بوصفه مسؤولاً عما حدث إلا أن مجلس جمعية جامايكا قدم له مكافأة لجهوده التي بذلها وإن كانت قد باءت بالفشل. وعندما تقرر إرسال بعثة جديدة لتكرار المحاولة، وكان بلاي قد رقي إلى رتبة كابتن، عين قائدًا للبعثة الجديدة أيضًا وقبطانًا للسفينة برفيدنس Providence التي ستقوم بالمهمة ابتداء من يونيو/حزيران عام ١٧٩١م. وجرى إعداد السفينة وتهيئتها، كما حدث مع بونتي، لتصلح لنقل شجيرات الخبز في رحلة طويلة، وروعي أن تكون السفينة أضخم وأكبر من بونتي مع عدد من البحارة يبلغ الضعف.. وتشير تقارير السفينة إلى أنها كانت حمولة ٤٢٠ طنًا وعدد البحارة نحو المئة واثنين من علماء النبات للإشراف على انتقاء الشتلات ورعايتها. ثم تقرر أخيرًا أن يصحب السفينة مركبان صغيران مساعدان حمولة كل منهما مئة طن..

وبدأت الرحلة متأخرة شهرين عما قدر لها أي في أغسطس/آب عام، ١٧٩١م ووصلت إلى أوتاهيتي في أبريل/ نيسان عام ١٧٩٢م، وتم جمع ٢١٢٦ شتلة أي ضعف ما سبق جمعه في بونتي بالإضافة إلى ٥٠٨ شتلات لأشجار ذات أهمية أخرى. وفي شهر يوليو/ تموز بدأت السفن تستعد للعودة عن طريق جزر فرندلي Friendly . جزر الصداقة. ثم جزر فيجي Fiji ثم مضيق توريس Torres بين هولندا الجديدة وغينيا الجديدة حيث ووجهت بعاصفة قضت على نحو مئتين من الشتلات، وواصل بلاي رحلته حول رأس الرجاء الصالح ثم إلى جزيرة سانت هيلينا في منتصف ديسمبر/ كانون أول عام ١٧٩٢م حيث ترك عشر شتلات استزرعت هناك. ومن سانت هيلينا توجه إلى فينسنت فوصلها في ٢٣ يناير / كانون الثاني ١٧٩٣م وترك ٥٥٤ شتلة من أشجار الخبز. ومن سانت فنسنت بدأ بلاي الجزء الأخير من رحلته فوصل إلى «بورت رويال Port Roy-al في ٥ فبراير / شباط عام١٧٩٣م، وتم تفريغ ما تبقى من الحمولة وهي في حالة جيدة.. وقدم مجلس جمعية جامايكا إلى بلاي هدية مناسبة إذ أتم بنجاح هذه الرحلة الثانية.. الغرض الذي كان يطمح إليه أصحاب مزارع السكر وكان حلمًا بالنسبة إليهم. وكما قدر هؤلاء من قبل لم تحتج هذه الأشجار إلى كثير من الرعاية أو العمل إذ سرعان ما أصبحت موردًا رخيصًا جيدًا لغذاء العبيد والزنوج ثم غيرهم من أهالي الوست انديز فيما بعد.

كان أصحاب مزارع السكر ينتظرون وصول بونتي بحمولتها التي تشكل أملاً لهم لتوفير غذاء رخيص للعبيد والزنوج الذين يعملون في مزارعهم



جيمس كوك



النمو السكاني المطرد والتنمي

...ة: تكامل أم تحدٍ؟!

عبدالله بن محمد المالكي

الرياض ـ السعودية

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن النمو السكاني في المملكة العربية السعودية. فالبعض يرى أن المجتمع السعودي اليوم ليس بذلك المجتمع الذي عهده منذ سنوات قليلة ماضية إذ بدأت تطفو على السطح بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية التي ينسبها الكثير إلى الزيادة المطردة في عدد السكان. وقبل أن نخوض في بعض تفاصيل هذه الظاهرة على المستوى المحلي فالأحرى أن نعمم الحديث ليشمل الدول التي تتشابه إلى حد كبير مع المملكة من حيث الهيكل الاقتصادي والمستوى التعليمي والثقافي والفكري والاجتماعي وغير ذلك أو بمعنى آخر مع الدول التي تقع في دائرتها وتشترك معها في التصنيف الدولي وهي ما تعرف بالدول النامية.

علاقة تبادلية

تعدّ العلاقة بين السكان وعملية التنمية علاقة تبادلية إذ إن كل منهما يؤثر في الآخر من خلال تأثير المتغيرات الديمغرافية المختلفة مثل معدل المواليد ومعدل الخصوبة ومعدل الوفيات وهجرة السكان على المتغيرات الاقتصادية المختلفة مثل الدخل الفردي والاستهلاك والاستثمار والادخار، كما أن العملية التنموية من خلال الوسائل التكنولوجية المتقدمة والحديثة للعلاج والتحسن في مستوى الغذاء والمستوى المعيشي بشكل عام تؤثر في حجم السكان ومعدلات النمو السكاني وغيرها (١).

ويُرجع الكثيرون أسباب الزيادة الكبيرة في عدد السكان في الدول النامية إلى الانخفاض الكبير في معدل الوفيات، وارتفاع معدل المواليد، وتحسن المستوى الصحي، والقضاء على الأمراض والأوبئة التي كانت تهدد الحياة البشرية في الماضي، فقد أدى التطور في الرعاية الصحية وصناعة الدواء جنبًا إلى جنب مع برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى انخفاض مطرد في معدلات الوفيات مع بقاء معدلات المواليد مرتفعة في معظم دول العالم (٢)، ففي عام ١٩٧٠م بلغ عدد سكان العالم ٣ مليارات نسمة وارتفع إلى ٤ مليارات في عام ١٩٧٦م وإلى ٥ مليارات عام ١٩٨٥م وإلى ٧ مليارات تقريبًا في عام ٢٠٠٢م، مما أدى إلى اتساع الهوة بين المواليد والوفيات ومن ثم ارتفاع معدلات الزيادة في السكان (٣).

آراء مختلفة

وعند الحديث عن ظاهرة الزيادة السكانية وأثرها في التنمية في الدول النامية نجد أن هناك آراء مختلفة في هذا الشأن (وجدل مستمر إلى اليوم بين مؤيد ومعارض) فهناك من يرى أن زيادة السكان عن المعدل الطبيعي تمثل عائقًا أمام العملية التنموية، وهناك من يرى العكس، وتنطلق آراء الفريق الأول (معظمها في الأصل آراء غربية تعود جذورها إلى المدرسة المالثوسية الجديدة) من أن الزيادة المطردة (السريعة) في عدد السكان تؤدي إلى (٤):

- انخفاض الدخل الفردي، والدخل الفردي يساوي

الدخل القومي مقسومًا على إجمالي عدد السكان؛ وذلك لأن معدل النمو السكاني ينمو بمعدل أكبر من معدل نمو الدخل القومي، وهنا تكمن المشكلة.

- أن هناك تأثيرًا عكسيًا غير مباشر لزيادة عدد السكان في الادخار (زيادة السكان تؤدي إلى انخفاض الدخل الفردي مما يعني انخفاض الادخار ومن ثم انخفاض معدل تكوين رأس المال ومن ثم انخفاض الاستثمارات أو رؤوس الأموال المتاحة للتنمية أي أن نصيب الفرد من رأس المال ينخفض أو يكون قليلاً).

- حدوث تأثير عكسي في الموازنة العامة للدولة من حيث زيادة الطلب على الخدمات المختلفة التي تقدمها الدولة، مثل: (التعليم، والصحة، والنقل، والماء.. إلخ) وكذلك الخدمات الأخرى مثل الإسكان، والطاقة، والغذاء؛ وذلك لأن الزيادة في الموارد الاقتصادية (رأس المال والموارد الطبيعية) المتوافرة في المجتمع أقل من الزيادة في عدد السكان ومن ثم سيكون ذلك على حساب مشروعات تنموية أخرى ضرورية تعمل على زيادة الناتج القومي الإجمالي GNP، هذا من جانب، ومن جانب آخر سيساعد ذلك على الإخلال بالتوازن البيئي من حدوث تلوث ونفايات وغيره (٥).

يرى بعض المهتمين بمشكلات التنمية من أبناء الدول النامية أن الدول المتقدمة أعطت المشكلة السكانية حجمًا وهالة أكبر مما تستحق بهدف جعل الدول النامية في حالة تبعية لها بشكل مستمر

يُرجع الكثيرون أسباب الزيادة الكبيرة في عدد السكان في الدول النامية إلى الانخفاض الكبير في معدل الوفيات، وارتفاع معدل المواليد، وتحسن المستوى الصحي، والقضاء على الأمراض والأوبئة

ـ ارتفاع نسبة السكان المعالين (٣٥٪ ـ ٤٦٪) غير المنتجين (في الفئة العمرية تحت ١٥ سنة، وكبار السن).

ـ أن هناك تأثيرًا سلبيًا لزيادة السكان السريعة في العمالة إذ إنها تجعل هناك تضاربًا في تحقيق أهداف التنمية وخططها في الدول النامية، إضافة إلى أنها ستؤدي إلى زيادة البطالة مثل البطالة المقنعة في قطاع الخدمات والقطاع الزراعي بالإضافة إلى الأنواع الأخرى التي تعانيها الدول، مثل: البطالة الظاهرة والبطالة الموسمية.

ـ عدم المساواة في توزيع الدخول مما يؤدي إلى سوء الأوضاع أو المستويات المعيشية والفقر بين أفراد المجتمع.

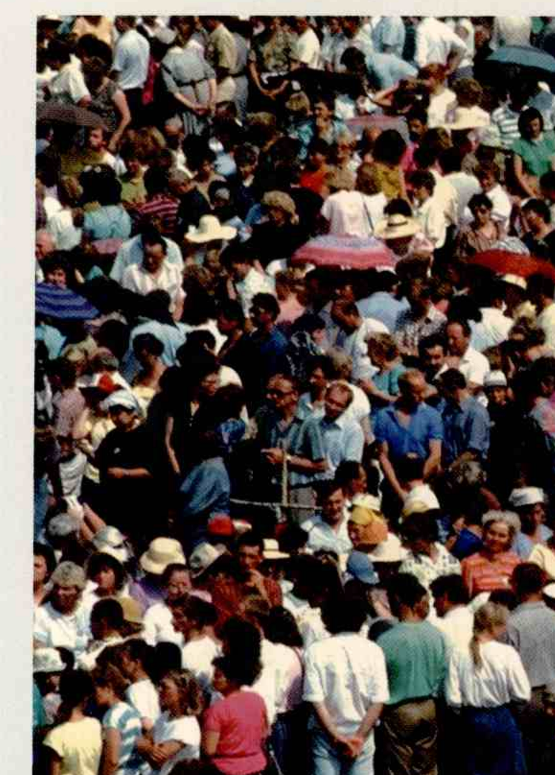
ـ حدوث مشكلات (خلل) في ميزان المدفوعات بسبب زيادة الواردات من السلع الغذائية مما يؤدي إلى إحداث ضغوط على النقد الأجنبي المتوافر في خزانة الدولة.

أما بالنسبة إلى الآراء المؤيدة لزيادة عدد السكان، فيرى بعضهم مثل: ألبرت هيرشمان Hirschman، وكلارك Clark، وبوسرب Boserup أنه من الخطأ أن تعدّ الزيادة المطردة في السكان بالنسبة إلى الدول عائقًا للعملية التنموية، بل يرون أن هذه الزيادة تعمل على إيجاد قوة ضاغطة تؤدي إلى مضاعفة الجهد من قبل السكان أنفسهم لتحسين مستوياتهم المعيشية مما يسرع العملية التنموية.

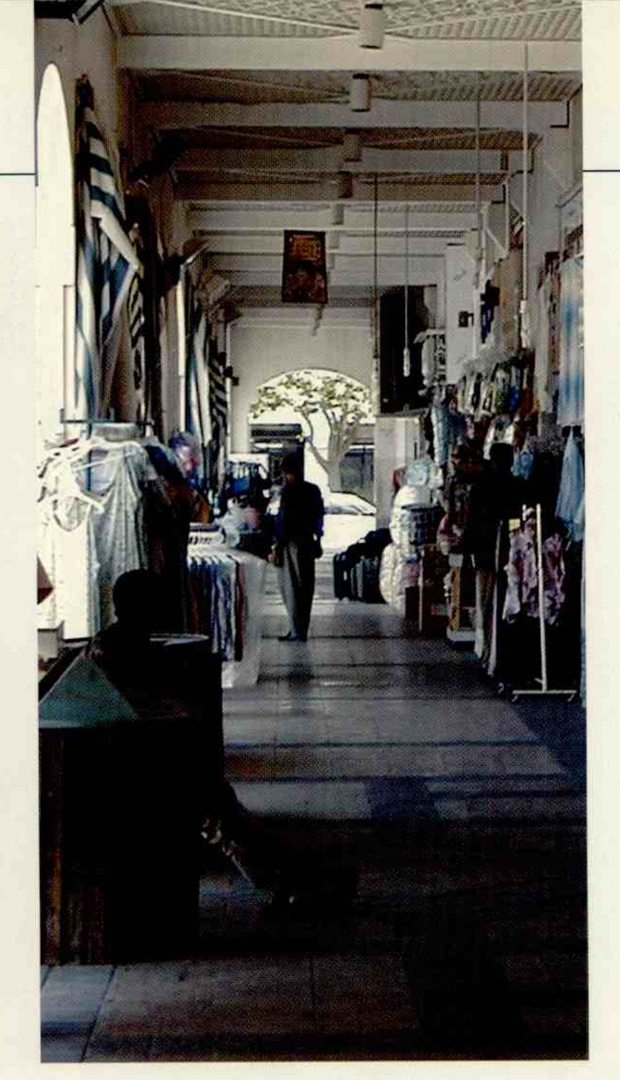
تباين في الأوضاع

ويرى بعض المهتمين بمشكلات التنمية من أبناء الدول النامية أن الدول المتقدمة أعطت المشكلة السكانية حجمًا وهالة أكبر مما تستحق بهدف جعل الدول النامية في حالة تبعية لها بشكل مستمر، وأن مشكلة التخلف تعود إلى أسباب ومشكلات أخرى اقتصادية واجتماعية وسياسية، وليس بسبب النمو المطرد في عدد السكان، وبذلك فإن المشكلة السكانية سوف تحل في حالة تغلب هذه الدول على هذه المشكلات المختلفة. ويرى آخرون أن سوء توزيع الموارد الاقتصادية بين دول العالم سبب من أسباب التخلف في الدول النامية. ويرى فريق رابع أن هناك سوابق تاريخية يمكن الاستدلال بها على أن الزيادة السكانية لا تمثل عائقًا أمام العملية التنموية. فالدول المتقدمة في الوقت الحاضر عاصرت زيادة في أعداد سكانها في فترات

يصعب الحكم على مدى تأثير النمو السريع للسكان في التنمية



نموها، ولم تعمل هذه الزيادة على تخلف تلك الدول بل العكس هو الذي حدث إذ إن تلك الزيادة ساعدت على تطورها، وجاءت فترات كان الانخفاض في عدد السكان سببًا في مشكلات اقتصادية واجتماعية كبيرة، كفترة الكساد الكبير من عام (٢٩ ـ ١٩٣٣م). وقد رُد على هؤلاء بأن هذه التجارب التاريخية لا تنطبق على وضع الدول النامية في الوقت الحاضر إلى حد كبير. كما تجب ملاحظة أن معدلات النمو السكاني الحاصل في الدول النامية في الوقت الحاضر لم تشهدها الدول المتقدمة أكثر من قرن ونصف القرن. وكذلك معدلات الإعالة لم تصل إلى ما وصلت إليه الدول النامية الآن، إضافة إلى ذلك فإن الهجرات التي حدثت بين أوربا وأمريكا الشمالية كانت كمنظم للزيادة السكانية في أوربا، وهذا لم يتح للدول النامية، كما أن توافر طبقة المنظمين (الرواد) في الدول المتقدمة في فترات نموها ساعد كثيرًا في قيام المشروعات الإنتاجية التي أوجدت فرص العمل الكثيرة ولم تظهر البطالة، كما هو حاصل الآن، في الدول النامية، مما ساعد على تطوير هذه الدول ونموها، وهذه الطبقة قلما توجد في الدول النامية في الوقت الراهن. وأخيرًا فإن الزيادة السكانية في الدول النامية في الوقت الحاضر حدثت نتيجة للانخفاض الكبير في معدل الوفيات بسبب التقدم الصحي (كما أسلفنا) في حين تعود الزيادة السكانية في الدول المتقدمة في أوقات نموها نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة وما صاحبها من تطور في أساليب الوقاية والعلاج. وأخيرًا يرى بعض الباحثين والمفكرين المسلمين أن السبب الرئيس للمجاعات والكوارث التي تعانيها بعض المجتمعات (وخاصة النامية منها) اليوم لا يعود إلى الزيادة الطبيعية للسكان فقط، بل إلى سوء تصرف البشر أنفسهم والتواكل والتكاسل، وبسبب الموارد التي تستنزف في الحروب وسوء التخطيط والإدارة وعدم



عدم الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية عائق للتنمية

تحديد الأولويات في التنمية، كما أن حجب التكنولوجيا والخبرات الفنية ورؤوس الأموال اللازمة عن بعض الدول التي تمتلك موارد متعددة سبب آخر.

وبناء على ما سبق عرضه من آراء (مؤيدة ومعارضة) للنمو المطرد في السكان في الدول النامية، فإنه من الصعب الحكم على مدى التأثير (الإيجابي أو السلبي) للنمو السريع في السكان في العملية التنموية، لذلك فإنه لابد من مناقشة الظاهرة وفقًا لظروف وعوامل محددة ـ تتعلق بدولة معينة بدلاً من التعميم على جميع الدول، مثل الكثافة السكانية وتوزيع السكان على الحيز الوطني، والزيادة السكانية أو معدل النمو، والنظرية المادية للسكان، وخصائص السكان وغيرها (٦).



خلاف لم يحسم حول الزيادة السكانية أهي سبب من أسباب التخلف أم لا ؟

الوضع في المملكة

وعند التطرق للوضع السكاني في المملكة العربية السعودية نجد أنه من الملاحظ أن عدد السكان في المملكة يتزايد بمعدلات مرتفعة في العقود الأخيرة تراوح بين (٣٪ و٨, ٣٪) سنويًا تقريبًا مقابلة بالمتوسط العالمي للنمو السكاني (٧, ١٪)، وهذا ما أدى إلى زيادة ملموسة في عدد السكان، وهذه الزيادة لم ترافقها زيادة مناسبة في معدل النمو السنوي في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي (٦, ١٪) تقريبًا؛ مما أدى إلى حدوث بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، مثل: البطالة وزيادة الطلب الاجتماعي على التعليم والتدريب والتوظيف والخدمات الأخرى الضرورية، مثل: الغذاء والماء والرعاية الصحية والمساكن ووسائل النقل والاتصالات والسلع الكمالية وغيرها ومن ثم زيادة الإنفاق الاستهلاكي الحكومي والشخصي أو الخاص على حساب الإنفاق الاستثماري.

ومن المؤشرات التي يستدل بها في هذا الشأن انخفاض معدل وفيات الأطفال الرضع في المملكة من ٥٠ طفلاً لكل ألف مولود عام ١٩٨٥م إلى ١٩ لكل ألف مولود عام ٢٠٠٠م، في حين بلغ معدل المواليد ٣٣ لكل ألف من السكان في عام ٢٠٠٠م مقابل معدل الوفيات البالغ ٤ لكل ألف من السكان، ومعدل الخصوبة (٧٠, ٣٪ ويعدّ من المعدلات العالية)(٧)، كما أن العمر المتوقع للحياة ارتفع إلى ٦٨ للذكور و٧٥ للإناث. ومن المؤشرات

ذات العلاقة أيضًا ارتفاع معدل البطالة في المملكة عن المعدل الطبيعي؛ إذ إنه بلغ ٨,١٪ وفقًا لبعض الإحصاءات الرسمية، وأكثر من ١٥٪ وفقًا للتقديرات غير الرسمية. كما أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي G D P انخفض من ٣٨٦٠٠ ألف دولار (ما يقارب ١٤٥ ألف ريال سعودي) عام ١٩٨١م إلى أقل من ٨ آلاف دولار (٣٠ ألف ريال سعودي) في عام ٢٠٠٠م.

ومن المؤشرات الأخرى التي تحسب على دول الخليج بشكل عام، إضافة إلى ارتفاع معدلات النمو السكاني (٣,٨٪) والبطالة، الأداء الاقتصادي الضعيف والعجز في الموازنات العامة (٨).

كما أن هناك متغيرات أخرى لا بد من التحقق منها بشكل دقيق مثل نسبة الكثافة السكانية (الفيزيولوجية) ونسبة التركز السكاني وهجرة العمالة الوافدة (نحو ٧ ملايين عامل).

إذًا الوضع في المملكة يختلف عن بعض الدول النامية ذات الكثافة السكانية، مثل مصر؛ إذ إن المملكة على الرغم من ارتفاع معدل النمو السكاني وحاجة الأسرة السعودية إلى تنظيم النسل (وليس التحديد) بما يتلاءم مع الإمكانات المادية للأسرة والقدرة على توفير متطلبات الأسرة والتربية السليمة في مختلف المراحل العمرية في هذا الوقت بالذات الذي يتطلب رؤية موضوعية في ظل المؤثرات والمغريات المختلفة، لا تزال تأوي ما يقارب سبعة ملايين نسمة من العمالة الوافدة. وهذا يعني أن هناك خللاً ما في جانب أو أكثر، كما يعني أن هناك جهات متعددة يجب عليها العمل الدؤوب لمعالجة الوضع القائم في المملكة اليوم سواء فيما يتعلق ببرامج السعودة والإسراع فيها وتعاون القطاع الخاص مع الدولة في هذا الشأن أو ما يتعلق ببرامج التعليم المختلفة وتوجيهها لخدمة البرامج التنموية والاحتياجات الفعلية للمجتمع أو ما يتعلق بالبرامج التنموية وتوجيهها لخدمة الأقاليم والأرياف لتحقيق تنمية متوازنة وللحد من الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن الكبرى وللتخفيف من الضغط على الأجهزة الحكومية الذي يؤدي إلى زيادة النفقات الحكومية على الخدمات المختلفة، أو ما يتعلق بالأنظمة الأخرى مثل المرور لفك الاختناقات المرورية في المدن الكبيرة، والحد من رخص القيادة للعمالة الوافدة وصغار السن والعمل على إيجاد الأبدال المختلفة التي تحقق الأهداف المشتركة للفرد والمجتمع والبيئة على السواء.

ونخلص من ذلك إلى أنه عند النظر إلى الظاهرة السكانية بموضوعية، فإنه لا يمكن الجزم بشكل قاطع بأنها تمثل مشكلة أو عقبة تقف أمام عملية التنمية ولا أنها مفهوم أو رافد للتنمية إلا من خلال دراسات علمية مستفيضة تثبت بالمؤشرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية والإحصائية المختلفة الضرورية أن زيادة السكان مقوم أو معوق للعملية التنموية.

وإن كنت أرى أن زيادة عدد السكان ما لم يرافقها استغلال أمثل للموارد الاقتصادية المختلفة المتاحة للمجتمع، وفي مقدمتها بالطبع المورد البشري نفسه، ووعي ثقافي واجتماعي بضرورة ذلك، والعمل على تفعيله، فإنها - لا شك - عائق للتنمية أكثر مما تكون مقومًا لها.

المملكة على الرغم من ارتفاع معدل النمو السكاني وحاجة الأسرة السعودية إلى تنظيم النسل لا تزال تأوي ما يقارب سبعة ملايين نسمة من العمالة الوافدة. وهذا يعني أن هناك خللاً ما في جانب أو أكثر، كما يعني أن هناك جهات متعددة يجب عليها العمل الدؤوب لمعالجة الوضع القائم في المملكة اليوم



البطالة هاجس يؤرق العالم

المراجع والهوامش

١- فايز إبراهيم الحبيب، التنمية الاقتصادية بين النظرية وواقع الدول النامية، الرياض، ١٩٨٥م، ص٦٣، و ٦٧.

٢- يقود تزامن الارتفاع في معدلات المواليد والانخفاض في معدلات الوفاة إلى نمو سريع (مطرد) في السكان يعرف بالانفجار السكاني.

٣- سير روي كالن، ترجمة ليلى الجبالي، عالم يفيض بسكانه: عرض لأسباب المشكلة وحل جذري لها، عالم المعرفة، ٢١٣، ١٩٩٦م، ص١٩.

٤- انظر:

- فايز إبراهيم الحبيب، مرجع سابق، ص ص ٨٥ ـ ٩٨.
- سير روي كالن، ترجمة ليلى الجبالي، مرجع سابق، ص١٩.
- فايز إبراهيم الحبيب، وجبارة عيد الصريصري، مبادئ علم الاقتصاد، وزارة المعارف، ١٩٩٥م، ص ص ٧٤ ـ ٧٥.

٥- للمزيد حول آثار النمو السريع للسكان في البيئة، انظر على سبيل المثال: سير روي كالن، ترجمة ليلى الجبالي، مرجع سابق، ص ص ٢٣ ـ ٢٤.

٦- لمزيد حول هذه العوامل، انظر فايز الحبيب، مرجع سابق، ص٩٨.

٧- بلغ معدل الخصوبة الكلية أقصاه خلال الفترة من عام (٨٥ ـ ١٩٩٠م) في بعض الدول العربية، ومنها المملكة العربية السعودية إذ بلغ المعدل ٧,٢ أطفال لكل امرأة، وقد صنفت المملكة من حيث معدلات الخصوبة ضمن الدول التي يزيد معدل الخصوبة الكلية فيها على سبعة أطفال مع كل من الأردن وعمان.

٨- انظر على سبيل المثال:

- التقرير السنوي الثامن والثلاثين لمؤسسة النقد العربي السعودي ٢٠٠٢م، ص٥٠، و ص٢١٣.
- صحيفة الجزيرة، العدد (١١٠٠٧).
- صحيفة الوطن، العدد (٧٥٠).



الأرقام العربية والأرقام السنسك

ـــريتية ـ الفرنجية

هزاع بن عيد الشمري

الرياض ـ السعودية

الأرقام العربية: ترسم بالشكل هذا "٠. ١. ٢. ٣. ٤. ٥. ٦. ٧. ٨. ٩" وتكتب مسايرة للقلم العربي من اليمين إلى الشمال آخذة رسمه الهندسي وهي عباسية بغدادية الصنعة، عربية النجار، عرفت بشكل واضح في القرن الثاني الهجري، وبقي المسلمون كافة يستخدمونها في أصقاع العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، وكانوا قبلها يستخدمون عوضًا عنها حروف الجُمَّل خوف الخلط والتصحيف والتحريف والزيادة والنقص. وأول نص عربي حفظ لنا هذه الأرقام هو حروف الأرقام التي وجدت أيام هارون الرشيد، الخليفة العباسي.

ويختلف الباحثون في أصل هذه الأرقام، ولكن الغالبية منهم أيضًا مختلفة كذلك؛ فمنهم من يرجحها إلى محتد هندي مع القول بتهذيبها وتحويرها وتطويرها على أيدي العرب ثم حلها وترحالها في أنحاء العالم بفضلهم، ومنهم من يجزم بأصلها العربي لا غير ذلك، فأصحاب الأصول الهندية لهذه الأرقام العربية يستندون في رأيهم إلى:

- المؤرخ اليعقوبي قد نسب وضع هذه الأرقام إلى أحد ملوك الهند، وأن الأقليدسي سماها أحرف الهند، وأن ابن النديم عزاها إلى السند، وأن ابن الياسمين قد عد حساب الغبار في جملة أعمال أهل الهند، وأن نصير الدين الطوسي ذكر أنها منسوبة إلى الهند (١).
- أن حكماء الهند وضعوا تسعة أرقام للعقود التسعة المشهورة (٢).

وأما الذين يرون العراقة العربية لهذه الأرقام فيستند بعضهم إلى حجج وجيهة نورد بعضها:

- إن الأرقام العربية هي غير الأرقام التسعة التي وجدت متناثرة في اللغات الهندية المختلفة (٣).
- إن أول من وضع لنا هذه الأرقام بشكلها الحالي هو محمد بن إبراهيم الفزاري، المتوفى سنة ١٨٠هـ/٨٩٦م.
- إن الفلكي محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي قد ألف كتابًا سماه السند هند الكبير؛ ونقل فكرة الأعداد من الهنود، ووضع لها الأشكال التي هي عليها بأمر الخليفة أبي جعفر المنصور، لذا فهو نقل فكرة، ولم ينقل وضع الأشكال والأعداد الهندية أو صورها.
- إن النظام العشري غير منقول عن الأمم الأخرى، وإنما هو أصيل عرفه العرب في بيئتهم وأنه كان بابليًا، ولا يستبعد أن يكون الهنود قد أخذوه عن البابليين (٤).
- إن الأرقام والحروف الأبجدية اختلفت لدى الهنود أنفسهم في إقليم ما عنه في إقليم آخر.
- إن شكل الرقم العربي ليس كشكل الرقم الهندي، والاختلاف بينهما واضح، ويذهب عدنان الخطيب إلى أن منشأ الأرقام العربية كان صور حروف الأبجدية العربية، وليس الأشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها كما يزعم بعض الباحثين بلا دليل، وأنها لم تقم على تعدد الزوايا التي تحتويها صور كل حرف (٥).
- إن أبا الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، قد أشار إلى طريقة الهنود في استخدام الحروف

الأبجدية والأرقام بقوله: ليس يجرون على حروفهم شيئًا من الحساب كما نجريه على حروفنا في ترتيب الجمَّل، وكما أن صور الحروف تختلف في بقاعهم كذلك أرقام الحساب، وتسمى «إنك» والذي نستعمله نحن مأخوذ من أحسن ما عندهم ولا فائدة في الصور إذا عرف ما وراءها من المعاني، وأهل كشمير يرقمون الأوراق بأرقام هي كالنقوش أو كحروف أهل الصين ولا تعرف إلا بالعادة وكثرة المزاولة [٦].

- إن الخوارزمي قد ذكر نوعين لشكل الأرقام، وقد ساد الأول ولا يزال مستعملاً، واختفى الثاني بعد أن أصبح أصل الأرقام المستعملة في العالم الآن.
- إنه ليس بإمكان مؤرخ واحد في تاريخ العلم وتاريخ الرياضيات خاصة أن ينفي تأثر العلماء الهنود في القرن الثاني عشر الميلادي بمنجزات العرب العلمية، وبأعمال البيروني بشكل خاص.
- ما ذكره عمر فروخ في كتابه «تاريخ العلوم عند العرب»، أن الأرقام ظهرت مع الصفر مرسومًا نقطة في كتب عديدة ألفت منذ سنة ٧٨٧م، قبل أن تظهر في الكتب الهندية.
- ويذهب قاسم السامرائي إلى القول بالأصالة والنجار العربي لهذه الأرقام: (أما الأرقام الشائعة في المشرق العربي - الأرقام العربية - فهي أرقام آرامية فينيقية نبطية تدمرية فهي لذلك عربية الأصل والنجار، لاشك فيها إطلاقًا ولا عبرة ولا اعتبار لما يقوله الإقليميون من الإخوة المغاربة والمقلدون من المشارقة، فإن حقائق التاريخ العلمية يجب ألاّ تستند إلى عواطف محلية، بل على أسس علمية منطقية محضة وبراهين وثائقية لا شك فيها مما يستنبطه الباحث من الاكتشافات المستمرة للنقوش والوثائق).
- وإن بارون كارل دو يذهب إلى عروبة هذه الأرقام.
- ويذهب حسن ظاظا وزملاؤه إلى القول: بتأثر الكاتب العربي في رسمه الأرقام بفكرة أن تكون كلها مبنية على الخطوط المستقيمة على أن تكون الدائرة هي الرقم خمسة فاصلاً بين نصفي الأرقام القائمة كلها على خطوط مستقيمة؛ لأن الخط المستقيم في الأبجدية يعدّ عندهم مقياسًا لجمال الكتابة [٧].

ويستنتج من هذا ما يأتي:

- إن العرب هم أول من حفظ هذه الأرقام بشكلها

الإقليدسي =	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	★
شجاع المغربي =	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
ابن اللبان =	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠

الأرقام العربية في بدايتها

أشكال العدد	واحد	إثنان	ثلاثة	أربعة	خمسة	ستة	سبعة	ثمانية	تسعة	عشرة	ملاحظات
رموز هندية قديمة	/	//		+		ϭ					نقوش من عهد الملك أسوكا الهندي - حوالي عام ٢٠٠ ق.م.
	—	=		∓			7		ʔ		نقوش في كهف بجبل ناناغات بالقرب من مدينه بونا ببمباي - حوالي ١٠٠ ق.م.
	—	=	≡	4	5	ϭ	7		ʔ		نقوش بكهوف عند مدينة ناسك ببمباي - حوالي عام ٢٠٠ م.
رموز المشرق العربي في صدر الحضارة العربية (حتى القرن العاشر الميلادي)	١	٢	٣	عو	8	ع	٧	٨	٩	!	من كتاب الفهرست لابن النديم - ٩٨٧ م.
	١	٢	٣	٤	8	٦	٧	٨	٩	١٥	عن كتاب الشفاء لابن سينا - مخطوط الأزهر.
الرموز المستعملة في المشرق العربي في القرن العاشر الميلادي *	١	ﻟ	ξ	d	ع	y	V	٦	9	١٥	عن دائرة المعارف البريطانية.
أول ظهور للأرقام العربية في اسبانيا - عام ٩٧٦ م. *	I	ح	ξ	ч	y	b	7	8	9		عن كتاب تاريخ الرياضيات لسميث.

أرقام عربية وإفرنجية (هندية) كما وردت عند (شوقي والدفاع) وتعليقهما - العلوم الرياضية

الحالي منذ القرن الثاني الهجري ولا يعرف ذلك لغيرهم .

- إن هذه الأرقام التسعة تختلف عن أرقام الهند التسعة.
- إن العرب نقلوا من الهنود أسلوب العد، ولم ينقلوا منهم وضع أشكال الأرقام.
- إن محمد بن إبراهيم الفزاري هو الذي وضع الأشكال لأسلوب الهند في العد.
- إن الهنود لا يجرون على حروفهم شيئًا من الحساب كما يجريه العرب على حروفهم.
- إن الأرقام هذه ظهرت في كتب عربية قبل أن تظهر في الكتب الهندية.
- ومن المسلمات القطعية أن شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب وهما موطن العرب قد سبقا بحضارتهما حضارات الأرض الأخرى، وفيها عرفت اللغة والنظم والتجارة والعمارة وحتى العد قبل الهند وفارس وأهل الأرض قاطبة، فلا يعقل نكران تأثيرهم في الحضارات المجاورة لهم وفضلهم على غيرهم لبرهان السبق.
- إن الرسم العربي لهذه الأرقام أسهل وأقرب إلى المنطق، فالرقم (٢) مكون من عنصرين اثنين يضاف إليهما سن أخرى لنحصل على الرقم «٣» ويكرر الرقم «٢» لنحصل على الرقم «٤»، والرقم «٥» يتكون من دائرة، ويجعل لها خط مستقيم فنحصل على الرقم «٩» وكذلك رسم الأرقام «٦، ٧، ٨» أسهل كلفة وبساطة وتوازنًا حتى على مستوى المتدرب على الكتابة فإنه لا يجد صعوبة في ذلك على خلاف مثيلاتها من الأرقام الأجنبية التي تعتمد على خط غير مستقيم أو دوائر بعضها غير مغلق مثل الأرقام السنسكريتية «3, 2, 1 ,0».
- إن الناظر إلى الأرقام العربية القديمة مثل الحميرية والفينيقية والآرامية والتدمرية والنبطية يجد تطابقًا في بعض أرقامها وعلاقة ما بين بعضها وآخر، مما يدل

على أصل واحد لها، وتطور كتابي لبعض منها، والأمر كذلك في أكثر الحروف الهجائية العروبية القديمة.

- الرقم ١٤١٥ يقرأ خمسة عشر وأربعمئة وألف، وهذه قراءة صحيحة، وربما أخذت قراءة على النحو: خمسة، واحد، أربعة، واحد، ولو قرأت الرقم نفسه على طريقة المتساهلين: ألف وأربعمئة وخمسة عشر، لما جاز، ولو اختزل على هذه الطريقة نفسا وقيل واحد أربعة، واحد خمسة، لأصبح العدد مغايرًا وهو ٥١٤١ ولفسد الأمر.
- إن الأرقام منذ زمن هارون الرشيد، الخليفة، إلى يومنا هذا فإنه لا خلاف حول رسمها مما يدل على أن صناعتها كانت خاضعة لقانون من الرسم والهيئة دقيق وليس لشكل من أشكال اجتهاد الخطاطين أو غيرهم، وهذا ينطبق فيما يخص الحروف الهجائية التي استمدت شكلها من رسم مرتب بعناية فائقة.

الأرقام السنسكريتية: وتسمى الأرقام الغبارية، وهو محرف عن الجوبار، وهو إقليم معروف بالهند، واستقر رسمها «3، 2، 1، 0» وتكتب مسايرة للقلم الغربي من اليسار إلى اليمين آخذة شكله الهندسي لا غير، وقال بأصلها الهندي فريق من الباحثين أمثال: سميث، ونالينو، وديرنجر، وويبك، وزيغرد هونكه، وتاتون، وول ديورانت. ومن الباحثين العرب والمشارقة: قدري حافظ طوقان، ومحمد إسماعيل الندوي، وعبدالحميد صبرة، والعقيد الركن سالم الحميدة، وقاسم السامرائي.

حاول فوييك أن يجد أصولها في الحروف التي تشير إلى أوائل أسمائها في السنسكريتية كما كانت في القرن الحادي عشر الميلادي، بينما يرى غيره من الباحثين أن مرجعها يعود إلى الإشارات العددية البرهمية التي ظهرت أول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد، وأما ول ديورانت فيقطع بالأصل الهندي لهذه الأرقام إذ يقول: إن من أهم ما ورثناه عن الشرق الأعداد العربية والنظام العشري، قد جاءنا كلاهما من الهند على أيدي العرب، فإن ما يسمى خطأ بالأعداد العربية نراها منقوشة على «صخرة المراسيم» التي خلفها «أشوكا» عام ٢٥٦ق. م أي قبل استخدامها في الكتابات العربية بألف سنة (٨)، أما قاسم السامرائي فيطرح رأيًا مماثلاً لول ديورانت إذ يقول: الحق الذي لا مراء فيه أن الأرقام التي يستعملها الغرب إنما هي هندية سنسكريتية آرية برهمية الأصل جاءت إلى العرب من الترجمات العربية لكتب الحساب الهندي، فلما ترجمت هذه الكتب من العربية إلى اللاتينية ظن الأوربيون أنها أرقام عربية فسموها الأرقام العربية؛ لأنها جاءت إليهم عن طريق العرب (٩). ويقترب وييك من رأي السامرائي فهو يقرر الأصل الهندي لهذه الأرقام وهو يفرق بينها وبين الأرقام الأخرى المستعملة في المشرق الإسلامي بقوله: إن العرب يستعملون مجموعتين من الأرقام يطلقون عليهما معًا اسم الحروف الهندية أو حروف الغبار، مجموعة تنتشر في المشرق الإسلامي، وأخرى تنتشر في المغرب، ومنها أخذت الصور التي يستعملها الأوربيون، وبين المجموعتين اختلافات في

ابن الياسمين =	1 2 3 عـ 4 6 7 8 9
ابن البناء =	١ ٢ ٣ عـ ع 6 7 8 9 0
ابن الهيثم =	١ ٢ ٣ عـ ع 6 5 B 9 0
الحبال =	١ ٢ ٣ عـ 4 6 7 8 9 0
السخاوي =	١ ٢ ٣ عو ع B 6 8 9 0
الموضوعات الأجنبية =	١ ٢ ٣ عـ 4 5 7 8 9 0

الأرقام الأجنبية السنسكريتية عند الدارسين

الشكل ظاهرة (١٠).

وأظن هجرتها إلى أوربا كانت مع هجرة اللغة السنسكريتية إلى أوربا، وأول من أشار إليها من الأسانيد العربية ابن الياسمين المراكشي المتوفي سنة ٦٠١هـ بعد ٤٢١ سنة من صناعة الفزاري للأرقام العربية، ولا صحة لمن قال: إن أصل كتابتها كان على أساس الزوايا، وهذا القول خطأ بيِّن، إنما هو تطور كتابة.

وفوق ذلك فإن الدلائل الثابتة القطعية أنه حتى أهل مراكش، المملكة المغربية اليوم، لم يستخدموا هذه الأرقام السنسكريتية في معاملاتهم الرسمية والتجارية إلا بشكل ضيق جدًا، وإنما كانوا يستخدمون الرقم العربي حتى في ظل الاستعمار الأوربي، ولكنه استشرى في سنيه الأخيرة الرقم السنسكريتي في الأوساط الرسمية والثقافية بسبب التأثير الاستعماري وأما أهل الجزائر وتونس وبلاد شنقيط فإنه حتى الأوساط الرسمية لم تستخدم هذا الرقم إلا مسايرة لما ورثوه من التأثير الاستعماري الأوربي في ثقافتهم وإدارتهم، وقد تبنته حكوماتهم رسميًا بعد الاستقلال، ولم يكن ذلك يحتاج حتى إلى صغير عناء فهو مشهود، وأما الليبيون فقد استخدموا الرقم السنسكريتي بدلا من الرقم العربي في وقت متأخر عن قيام الحكم الجمهوري عام ١٩٦٩م، ولا يجوز القول أو الادعاء أكثر من ذلك، والله الموفق.

براهمي	هندي جوبار	سنسكريتي القرن ٦ م.	رقم إفرنجي القرن (١١) م.	رقم إفرنجي القرن (١٥) م.	رقم إفرنجي القرن (١٦) م.
—	٦	१	1	1	1
=	؟	२	ट	ϩ	2
≡	३	३	ﻛ	3	3
¥	४	४	عـ	ℓ	4
ɼ	४	५	ɋ	G	5
ɕ	‹	६	Ь	6	6
ʔ	?	७	٨	٨	7
ς	٨	८	8	8	8
ↄ	٩	९	9	9	9
	•	०		o	o

أرقام هندية سنسكريتية - إفرنجية

المراجع والهوامش

١. الأرقام العربية: مولدها، نشأتها تطورها، محمد حسن آل ياسين، ص ١١.

٢. الأرقام العربية، أحمد مطلوب، ص ١٤.

٣. أنظمة العد في الحضارات القديمة، محمود إبراهيم، ص ٣٩.

٤. الأرقام العربية، مطلوب، ص ١٠.

٥. المصدر نفسه، ص ١٤.

٦. المصدر نفسه، ص ١٣.

٧. محضر اللجنة المشكلة من قبل جامعة الملك سعود، وقد رفض المجتمعون اقتراح الأمانة العامة للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس باستعمال الأرقام الإفرنجية بدلاً من العربية.

٨. أنظمة العد، ص ٣٩.

٩. مجلة عالم الكتب.

١٠. الأرقام العربية، آل ياسين، ص ١٥.

❖ مصدر الصور: كتاب الأرقام العربية والإفرنجية، هزاع بن عيد الشمري، دار أجا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م



البحر الميت ومشروعات ربط

...ه بالبحار المفتوحة

جان ألكسان

دمشق – سورية

في عام ١٨٥٠م طُرح مشروع وصل البحر الميت بالبحار المفتوحة للمرّة الأولى وهو مشروع بريطاني بحيث يكون بديلاً عن قناة السويس التي كانت آنذاك تحت السيطرة الفرنسية. بحيث يؤمن المشروع الطريق حتى المحيط الهندي والهند وشرق آسيا.

ولكن فكرة المشروع وئدت في المهد عندما سيطر البريطانيون على قناة السويس. وكانت بريطانيا قد أرسلت موفدًا إلى فلسطين في العام نفسه لدراسة فكرة هذا المشروع. وقد نشر هذا الموفد كتابًا ضمّنه تقريره الذي رفعه إلى حكومته، وحمل الكتاب عنوان: "البحر الميت طريق جديد إلى الهند". غير أن المشروع لم يتحقق بسبب تحول أنظار بريطانيا إلى مشروع قناة السويس. لكن ذلك لم يمنعها من العودة للتفكير في الموضوع، من منطلق أنها قد تخرج من مصر في أي وقت. فأوفدت بعثة من الخبراء إلى فلسطين خلال عامي ١٨٧٣ و١٨٧٥م لإعادة دراسة المشروع. وقامت البعثة بمهمتها (١).

هرتزل يتبنى المشروع

وفي أواخر القرن التاسع عشر، رأى مهندس سويسري إمكان الاستفادة من تفاوت الارتفاع بين سطحي المتوسط والميت، وعندما أطلع مؤسس الصهيونية تيودور هرتزل على هذه المذكرة تبنّاها؛ لأنها تتلاءم ومطامع الصهيونية العالمية في الشرق، وتحدث في كتابه «أولد نيولاند» عام ١٩٠٢م عن قناة عرضها عشرة أمتار تربط البحرين المتوسط والميت، وعن عنفات مائية توضع قرب البحر الميت تعمل على المياه الساقطة، وهذا يزيد من كمية الكهرباء المولدة لتغذية المنطقة الصناعية الجديدة التي ستقام على شاطئ البحر الميت.

ويمكن أن نعدّ عام ١٩٣٧م بداية التخطيط الصهيوني المفصل لمشروع القناة، عندما قام بعض الزعماء الصهاينة، ومنهم بن غوريون بجولة ميدانية في منطقة الأغوار الجنوبية، وكان من نتائجها بدء التفكير جديًا بإنشاء القناة، ولكن التطورات السياسية في فلسطين وغيرها يومذاك حالت دون ذلك (٢).

بين البحرين المتوسط والأحمر

يقول الدكتور باسل نشأت الأسمر (٣): منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين طرحت عدة أبدال ومسارات لهذه القناة، ففي عام ١٩٨١م اعتمدت الحكومة الإسرائيلية المشروع رسميًا، ووضعت خطة لربط البحر الميت بالبحر المتوسط عبر قطاع غزة، (الدراسات الأولية طرحت احتمال ربط البحر الميت بالبحر الأحمر بديلاً لكنه لم يعتمد).. ثم توقف المشروع رسميًا عام ١٩٨٥م، نتيجة ضغوط سياسية واقتصادية دولية، وفي تلك الفترة طرحت الحكومة الأردنية مشروعًا بديلاً لربط البحر الميت بالبحر الأحمر، ردًا على المشروع الإسرائيلي، غير أن الدراسات المستقلة أثبتت أنه لا مكان لمشروعين منفصلين، كما أن تنفيذهما



معًا سيؤدي إلى كارثة اقتصادية وبيئية، ومن ثم لا بدَّ من الاتفاق على مشروع واحد، إذا قدر له أن يرى النور.

هذا التعاون لم يكن ممكنًا في ذلك الحين، وأصبح ممكنًا فقط بعد العامين ١٩٩٣ ـ ١٩٩٤م، نتيجة توقيع (اتفاقات أوسلو) ومعاهدة السلام الأردنية ـ الإسرائيلية، حيث ورد ذكر مشروع قناة البحر الميت ـ البحر الأحمر، وهو أحد بنود الاتفاقيتين، على أنه حجر أساس لمشروع تنمية وادي الأردن.

وكانت الحكومتان الأردنية والإسرائيلية قد أعلنتا في قمة الأرض التي عقدت في جنوب إفريقية في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٢م خطة مشتركة لبناء (أنبوب السلام) لنقل المياه من البحر الأحمر (خليج العقبة) إلى البحر الميت، بتكلفة أولية تقارب مليار دولار أمريكي، كما أثير الموضوع مجددًا في المنتدى الاقتصادي العالمي، الذي أقيم في منتجع الشونة على البحر الميت بمشاركة مئات الشخصيات الدولية البارزة في المجالات السياسية والاقتصادية والأكاديمية والدينية (٤).

مراحل المشروع الإسرائيلي

وفي دراسة ضافية حول مراحل المشروع الإسرائيلي يطرح الباحث سمير صارم هذه المراحل التي نوجزها كما يأتي (٥):

ـ في عام ١٩٤٤م أصدر البروفسور الأمريكي والتر كالاس لاودر ملك خبير الأراضي والري كتابًا تحدث فيه عن إمكان شق قناة بين البحرين المتوسط والميت، ورأى أن للمشروع فوائد اقتصادية: زراعية، وصناعية، وأنه سيوفر إمكانية العيش لأربعة ملايين يهودي من لاجئي أوربا.

وتبنى الزعماء الصهيونيون الفكرة التي ظلت هاجسًا لديهم منذ أن تبناها هرتزل في مطلع القرن العشرين.

وتأخر تنفيذها بعد ذلك بسبب الحروب التي قامت بين العرب واليهود، وبسبب وجود قطاع غزة والضفة الغربية خارج السيطرة الإسرائيلية حتى عام ١٩٦٧م.

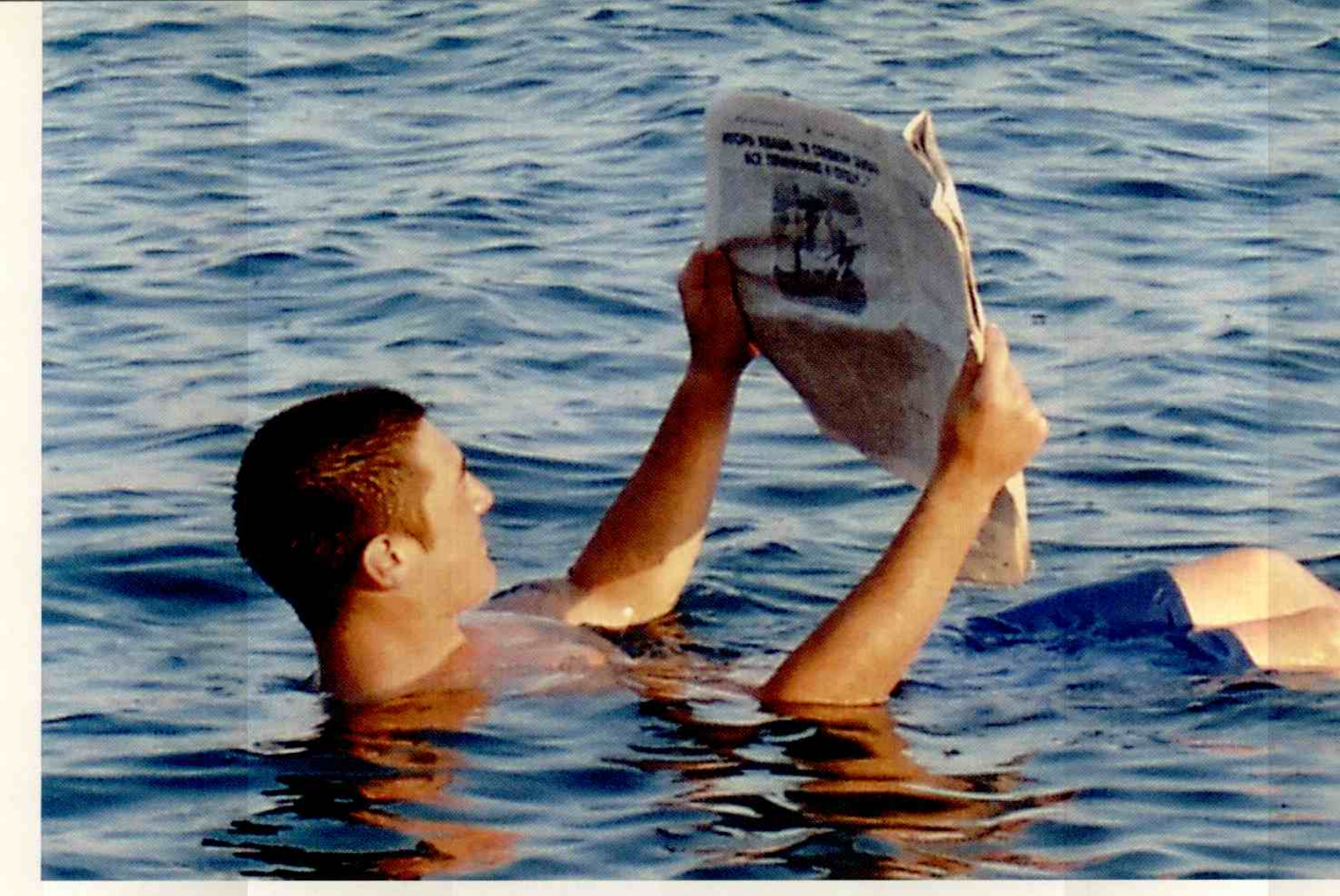
وبسبب عوائق فنية تتعلق بكلفة المشروع وطريقة تمويله، وأخيرًا بسبب التأثيرات المتوقعة للمياه المالحة في المياه الجوفية العذبة، وعلى نسبة الأملاح في البحر الميت.

ـ بعد يونيو/حزيران ١٩٦٧ بدأت الدراسات من جديد لإقرار المشروع.

ـ في عام ١٩٧٤م شكلت لجنة برلمانية لدراسة جدوى المشروع.

ـ في عام ١٩٧٨م شكلت لجنة أخرى علمية برئاسة

وضعت الحكومة الإسرائيلية خطة لربط البحر الميت بالبحر المتوسط عبر قطاع غزة ثم توقف المشروع رسمياً عام ١٩٨٥م. نتيجة ضغوط سياسية واقتصادية دولية



البعد السياحي يحدد مصير المشروع

يوفال نثمان، واستعرضت تسعة ممرات للقناة، وقامت بدراسة ثلاثة ممرات رئيسة دراسة مستفيضة من خلال الخطوط الآتية:

- الخط الجنوبي: يبدأ من ساحل المتوسط قرب القطيفة في قطاع غزة، ثم يمتد جنوبًا نحو بئر السبع، فعين بقيق على البحر الميت.
- الخط الأوسط ويمتد من أسدود، مرورًا بجنوب القدس، منتهيًا قرب مغارة قمران على شكل نفق يحفر على عمق ٢٠٠ متر.
- الخط الشمالي: ويمتد من حيفا إلى وادي الأردن عبر سهل مرج ابن عامر، ثم وادي بيسان.

وبعد دراسة استمرت سنة ونصف السنة قدمت ما توصلت إليه إلى حكومة الليكود مع توصية باعتماد الخط الجنوبي لما يتمتع به من مزايا سياسية وجيولوجية، وقد أقرت الحكومة برئاسة مناحيم بيغن الخط الجنوبي بجلستها المنعقدة بتاريخ ٢٤ أغسطس/ آب ١٩٨٠م(٦).

إن ما نستخلصه من الدراسات العلمية يشير إلى أن البحر الميت لن يجف خلال الـ ٥٠٠ سنة المقبلة على الأقل، على الرغم من استمرار انخفاض منسوب المياه، وهذا يناقض الحملات الإعلامية

لماذا أوقفت إسرائيل المشروع؟

بتاريخ ١٢يونيو/ حزيران ١٩٨٥م أصدر وزير الطاقة الإسرائيلي موشى شاحل قرارًا بإيقاف العمل في مشروع قناة البحرين الذي يصل البحر المتوسط بالبحر الميت.

وكان المالكون والمزارعون والفلاحون الأردنيون الذين يعيشون ويقيمون المزارع والاستراحات والحقول والمشروعات على البحر الميت، يتوقعون أن يغمر مشروع القناة أراضيهم ومشروعاتهم لو تمت إقامته.

وقال أصحاب الرأي والاختصاص منهم: «إن خطورة القناة ليست في كونها خطرًا على المنشآت والمصانع والمزارع الأردنية، أو تصادر حقًا للفلسطينيين والأردنيين فحسب، بل في إضافتها طاقة كهربائية ضخمة إلى إسرائيل على حسابنا، عدا كونها تضيف مشروعات حيوية مهمة إلى إسرائيل في صحراء النقب، مما يزيد من عدد السكان الإسرائيليين ويساعد على تنمية القوة الذرية الإسرائيلية (٧).

وكان المشروع الإسرائيلي ـ قبل توقيفه ـ قد حقق خطوات عملية في التنفيذ إذ بُدئ العمل في المشروع في احتفالية كبيرة يوم ٢٨مايو/ أيار ١٩٨١م.. وبدأت بعد ذلك أعمال الحفر إلى الشمال من مصب (زوهر) على المتوسط وذلك في نفق الأبحاث التابع للمشروع الذي يصل طوله ـ أي النفق ـ إلى ١٤٠٠م وهيكله مربّع، حيث تقرر إقامة محطة توليد أرضية عند مدخله الغربي.

ولهذا كان قرار توقيف العمل في المشروع مفاجأة، وعلله وزير الطاقة الإسرائيلي بعدم وجود تمويل كاف له.

أسباب أخرى للمشروعات المطروحة

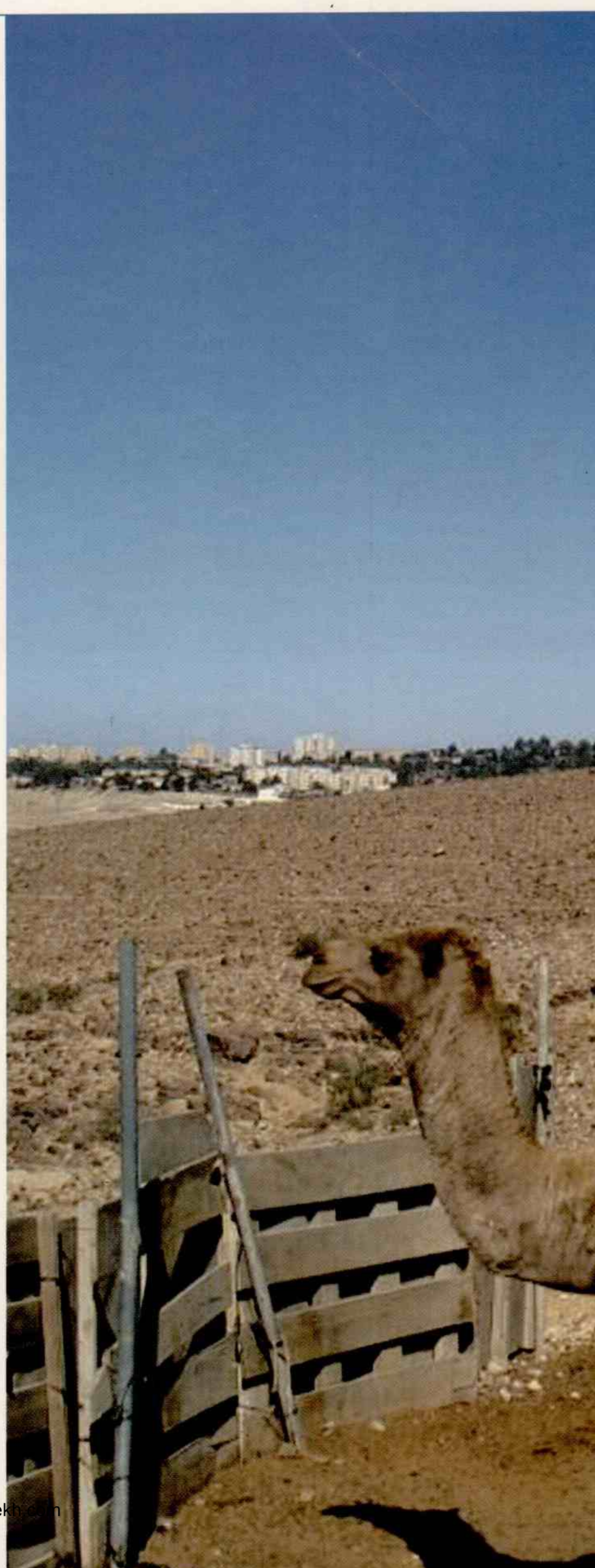
تشير الدراسات العلمية إلى أن منسوب البحر الميت المنطقة الأكثر انخفاضًا عن سطح الأرض، ازداد انخفاضًا في الأعوام الأخيرة مما دعا عددًا من الخبراء إلى الدعوة إلى إنقاذه عن طريق ضخ مياه البحر الأحمر إليه عبر (قناة البحرين).

وقال إلياس سلامة، أستاذ الجيولوجيا في الجامعة الأردنية: إنه في بداية الستينيات كان منسوب البحر الميت ٣٩٢ مترًا تحت سطح البحر، في حين وصل منسوبه مع دخول القرن الحادي والعشرين إلى ٤١٢ مترًا، وحذر من أنه إذا استمر المنسوب في الانخفاض فإن البحر سيفقد في السنوات الخمسين المقبلة ثلث مساحته لتصبح ٦٥٠كم٢.

وعزا سلامة ذلك إلى الاستخدام المفرط للمصادر المائية المغذية للبحر الميت، وعلى رأسها نهرا الأردن واليرموك من جانب الأردن وسورية وإسرائيل، إضافة إلى عملية التبخر القوية نتيجة للحرارة الشديدة في تلك المنطقة المنخفضة، واستغلال الشركات الأردنية والإسرائيلية الأملاح المعدنية المتوافرة في مياهه.

للمشروع أثر في حياة السكان وطبيعة أنشطتهم





ويشرف الأردن على كامل الضفة الشرقية من البحر الميت، الذي تتميز بيئته بخصائص فريدة منها درجة ملوحته الشديدة (٣٠٠ غرام في الليتر الواحد) مقابل ٣٥ غرامًا في المتوسط في البحار الأخرى.

ونشر الأمين العام لوزارة المياه الأردني مؤخرًا بحوثًا تفسر ظاهرة انخفاض منسوب البحر الميت، تشدد على أن مشروع قناة البحرين الأحمر والميت هو الحل الأنسب لإعادة التوازن إلى منسوب البحر الميت، ولا تقتصر فائدة المشروع على معالجة انخفاض المنسوب، بل تتعداه إلى إمكانية توليد طاقة كهربائية تقدر بـ ٥٠٠ ميناواط سنويًا عن طريق الاستفادة من فارق منسوب المياه بين البحرين، وكذلك تحلية ٨٥٠م مكعب من المياه سنويًا تسهم بشكل فعال وعلى المدى الطويل في زيادة موارد الأردن المحدودة من المياه (٨).

أزمة المياه لها دور

في محادثات السلام حول المياه حمل المفاوض الأردني همومه معه، وذهب يطالب بتأمين حصة من مياه نهر الأردن واستصلاح مياهه المالحة والملوثة بعد تنقية إسرائيل للينابيع المالحة في جنوب بحيرة طبريا، كما شدد على تحديد استعمالات إسرائيل من مياه اليرموك بحيث لا تزيد على ٢٥م مكعب في حين أن إسرائيل تأخذ الآن٧٠ مليون متر مكعب.

وطرح الأردن مشروعًا يتمثل في أن يربط البحر الميت البحرين المتوسط والأحمر إلا أن مجال طرح هذا المشروع رئي أن يكون في المفاوضات الثنائية وليس المتعددة (٩).

وأشار رئيس الوفد الأردني لمباحثات المياه إلى المسافات التي تتقل بها المياه بقنوات مفتوحة ثم بواسطة الأنابيب لإسقاط المياه لتوليد الطاقة الكهربائية مؤكدًا أن أصحاب المشروع يجب أن يكونوا أصحاب الحقوق



للمشروع مخاطره على سكان غور الأردن

في البحر الميت وهم: الأردن وفلسطين وإسرائيل.

من ناحية أخرى، ورد في الملحق الرابع الخاص ببروتوكول التعاون الفلسطيني - الإسرائيلي حول برنامج التغذية الإقليمية أنه يمكن أن يتشكل هذا البرنامج من جملة عناصر تضم في بندها الثاني تطوير خطة إسرائيلية - فلسطينية - أردنية مشتركة لتنسيق استغلال منطقة البحر الميت، وفي البند الثالث إحياء المشروع

إن مشروع قناة البحرين الأحمر والميت هو الحل لإعادة التوازن إلى منسوب البحر الميت، ولا تقتصر فائدة المشروع على معالجة انخفاض المنسوب، بل تتعداه إلى إمكانية توليد طاقة كهربائية

الإسرائيلي القديم الذي يربط البحر المتوسط بالبحر الميت مرورًا بقطاع غزة.

ويرى الأردنيون في مشروعهم أنه يتجنب الخوض في المسائل القانونية المتعلقة بالأراضي المحتلة، إذ إنه سيقوم على الحدود بين الدولتين، دون التعرض لقطاع غزة أو الضفة الغربية، كما هو الحال بالنسبة إلى المشروع الإسرائيلي الذي يربط البحرين الأبيض والميت مشيرين إلى أنه يمكن تجاوز مخاطر هذا المشروع على طبيعة البحر الميت وموارده الاقتصادية حيث تقترح إسرائيل حفر بحر ميت جديد إلى الجنوب من البحر الحالي لتصب فيه مياه القناة القادمة من البحر الأحمر.

ويرى المراقبون أيضًا أن مخاطر هذا المشروع على مزارع وسكان غور الأردن قليلة، إذ سيتم رفع مستوى البحر الميت لضمان عدم فيضانه على المزارع حوله عندما تتدفق المياه الزائدة منه.

أما النقطة المشتركة التي تثير قلق الجانبين الأردني والإسرائيلي فهي عملية الجفاف المستمر للبحر الميت، فقبل عشرين عامًا كان منسوب المياه يبلغ ٣٩٥م تحت سطح البحر وهو الآن يبلغ ٤٠١م، ويتوقع الخبراء أن ينخفض المنسوب خلال السنوات العشر المقبلة إلى ٤١٦م، وأن يزداد تدفق مياه الصرف الصحي، في حين ستتيح القناة التي تربط البحرين الأحمر والميت الإشراف والتحكم بمنسوب المياه في البحر الميت، والحد من مشكلات استخلاص البوتاس، الذي أصبح يشكل صخورًا بيضاء بارزة في البحر تزيد من تكاليف الإنتاج على جانبيه.

ويتطلع الأردن وإسرائيل من خلال هذا المشروع إلى الطاقة الكامنة في فارق الارتفاع بين البحرين، فالطاقة الممكن استخلاصها من المياه المالحة ستخدم مشروعات تحلية المياه وتوليد الطاقة للجانبين، علمًا أن الأردن يعاني أزمة مياه خانقة؛ لأن مصادر المياه الأردنية تستطيع تلبية حاجة ١,٤ مليون نسمة فقط في الوقت الذي تعاني فيه إسرائيل أزمة مائية في منطقة الجنوب، على الرغم من سيطرتها على المياه الفلسطينية.

وبينما واجه مشروع قناة البحرين الإسرائيلي معارضة دولية ارتكزت على الاقتناع بالموقفين الأردني والفلسطيني، ومن ثم رفض تمويل المشروع وخصوصًا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، ومن بريطانيا، حظي المشروع الأردني باهتمام دولي، كما يربط إسرائيل

في محادثات السلام حول المياه حمل المفاوض الأردني همومه معه، وذهب يطالب بتأمين حصة من مياه نهر الأردن واستصلاح مياهه المالحة والملونة بعد تنقية إسرائيل للينابيع المالحة

مع الأردن بمصلحة مشتركة كخطوة أولى على طريق تحقيق تفاهم دائم بين الطرفين، وهذا ما يجعل الحكومات والشركات العالمية تتحمس لتمويله (١٠).

المشروع الأردني في الخطاب الرسمي

وفي محاولة للرد على جميع ما أثير حول هذه المشروعات أوضح وزير المياه والري الأردني مؤخرًا أن مشروع البحرين الأحمر والميت هو مشروع أردني الطرح، واجه مشروعًا إسرائيليًا لربط البحرين الأبيض والميت، وقد فرض المشروع الأردني وجوده بعد النتائج الخطيرة التي عانى ويعاني منها البحر الميت، وانخفاض منسوبه ٢٤م خلال الخمسين سنة الماضية، وهي عملية مستمرة بمعدل انخفاض متر واحد سنويًا من جراء عملية التبخر والاستخدامات الصناعية القائمة عليه، وقلة مصادر التغذية التي كانت ٣,١مليار متر مكعب سنويًا، فأصبحت ٥,٣ مليارات متر مكعب سنويًا، وانحسار مساحة البحر من ٩٥٠ كم٢ إلى ٦٣٠ كم٢، وهذا ما سيؤدي إلى زوال البحر نهائيًا في غضون ٥٠ سنة.

وأمام هذه الكارثة البيئية التي تهدد المنطقة، وازدياد ظهور الحفر الانهدامية العميقة على الشواطئ والمناطق القريبة، وتحرك المياه الجوفية العذبة نحو البحر، وتهديد الثروة الصناعية والسياحية والطبيعية، والاستثمارات الكبرى المقامة على شواطئه، إضافة إلى القيمة التاريخية والدينية التي ترتبط بالديانات السماوية الثلاث، عدا عن توفير ما يزيد على ٨٣٠ مليون متر مكعب سنويًا من المياه للأطراف الثلاثة: الأردن، وفلسطين، وإسرائيل (حصة الأردن منها تصل إلى نحو ٥٧٠ مليون متر مكعب سنويًا)، كل ذلك دفع بالأردن إلى تبني المشروع وطرحه على العالم، خاصة بعد العملية السلمية، وهو يدرك تمامًا أن كلفته العالية التي تقارب مليار دولار في مرحلته الأولى يجب أن يكون معظمها على شكل منح، ويكون عملاً

مشتركًا يشارك فيه الأردن وفلسطين وإسرائيل، ومن ثم فإن هذا المشروع لا يمكن أن يتم إلا إذا طرح بشكل إقليمي، وكجزء من المشاركة الدولية في العملية السلمية، وتشجيع الأطراف للاستفادة من نتائج السلام الذي هو التزام دولي يتحمل الجميع مسؤولية إدامته.

ولتنفيذ هذا المشروع أجريت دراسات أولية لتبيان جدواه الاقتصادية والبيئية جرى تمويلها كمنحة من الحكومة الإيطالية عام ١٩٩٤م، وأشارت نتائجها إلى أن الفائدة البيئية ستكون كبيرة بالنسبة إلى جميع الأطراف التي وافقت على فكرة المشروع، وأعد الأردن برنامجًا لتسويقه بالتنسيق مع هذه الأطراف الثلاثة، وعرضه على المجتمع الدولي والمحافل الدولية المعنية، وقد تم عرضه فعلاً في مؤتمر الأرض في جوهانسبرغ عام ٢٠٠١م، ومن ثم في مؤتمر المياه في كيوتو باليابان في مارس ٢٠٠٣م، كما عرض في المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت (يوليو ٢٠٠٣م). وبمشاركة من الأردن وإسرائيل وفلسطين.

يتضمن المشروع الذي سينفذ في الأراضي الأردنية مرحلتين:

- الأولى: تتضمن قناة بطول ١٢كم من شاطئ العقبة باتجاه الشمال بسعة تدفق تصل إلى ٦٠ مترًا مكعبًا في الثانية، لتصل بعد ذلك إلى محطة رفع تضخ المياه بواسطة الأنابيب إلى ارتفاع ١٢٦ مترًا فوق سطح البحر لتصب في أنابيب أخرى قطرها أربعة أمتار تنقل المياه وبطول ١٨٠كم إلى الشاطئ الجنوبي للبحر الميت، وبواسطة الانسياب الطبيعي لتصل إلى نقطة ترتفع من سطح البحر الميت بنحو ١٠٧ أمتار لتنساب إلى مستوى ٤٠٠م تحت سطح البحر ومن ثم الاستفادة من فرق المنسوب المقدر بـ ٣٠٧ أمتار لتوليد الطاقة الهيدروليكية.
- الثانية: بناء محطات لتوليد الطاقة الكهربائية بالاستفادة من الارتفاع الشاهق لسقوط المياه، ليصار بعدها إلى تحلية هذه المياه بما يلبي احتياجات الأردن


انخفاض مستمر في منسوب مياه البحر الميت

الذي يعاني شح المياه، وبطريقة لا مثيل لها في الدول العربية، من هنا، فإن مشروع البحرين يعتمد على الحقائق الآتية:

- أنه مشروع أردني الطرح.
- سينفذ بالكامل في الأراضي الأردنية.
- نقل المياه سيتم من خلال أنابيب.
- لا يمكن أن يكون قناة ملاحية.

منسوب البحر الميت المنطقة الأكثر انخفاضًا عن سطح الأرض. ازداد انخفاضًا في الأعوام الأخيرة مما دعا عددًا من الخبراء إلى الدعوة إلى إنقاذه عن طريق ضخ مياه البحر الأحمر إليه



الموازنة بين الفوائد والمضار تحسم أهمية المشروع

- ليس له أبعاد سياسية أو إستراتيجية أو تجارية تضر بمصالح الدول الشقيقة أو الصديقة (١١).

نظرة علمية إلى المشروع

أخيرًا لابد من طرح نظرة علمية إلى هذا المشروع من خلال آراء الاختصاصيين الذين يؤكدون أن (أنبوب السلام) هذا يوقف انخفاض منسوب المياه في البحر الميت لكنه لا ينقذ بيئته، كما يؤكد الباحث الأردني الدكتور باسل نشأت الأسمر.

هناك سؤال مهم: هل سيجف البحر الميت حقًا؟ ويلخص الجواب عدد كبير من الدراسات (أكثر من مئة دراسة وضعت حول هذا الموضوع): إن الدراسات التي نظرت إلى المشكلة على المدى القصير انحصرت بتوقع منسوب البحر الميت لمدة زمنية محددة لا تزيد بالأغلب على مئة سنة.. واتفقت هذه الدراسات على أن منسوب المياه سينخفض، وقدر أكثرها تشاؤمًا المنسوب الجديد بـ ٥١٠ أمتار تحت مستوى سطح البحر بحلول عام ٢١٠٩.

أما الدراسات التي نظرت إلى المشكلة على المدى الطويل، فقد استنتجت أن البحر لن يجف لعدة مئات من السنين نتيجة لازدياد الملوحة فيه مما يؤدي إلى تقليل التبخر.. ونتيجة لعمق البحر (١٢).

أما الدراسات الكمية، فطورت نماذج لدرس وتقدير منسوب المياه الذي سيستقر عليه البحر، مستخدمة عدة طرائق وأساليب علمية كموازنات المياه، والديناميكا الحرارية، وأجمعت على أن البحر الميت لن يجف، بل قدرت أن منسوب المياه سيستمر بعد ٣٠٠ إلى ٤٠٠ سنة على معدل يراوح بين ٥٠٠ و٦٨٠م تحت مستوى البحر.

من ناحية أخرى طورت بعض الدراسات نموذجًا وبرامج حاسوبية لدراسة البحر الميت ومنسوب المياه فيه، واعتمد الأسلوب على حل عدد من المعادلات



تأثيرات عميقة للمشروع في المزارع

التفاضلية التي تصف معادلة المادة والطاقة في البحر الميت، واعتبار البحر كنظام طبقتين لأغراض انتقال المادة، وفي هذه الدراسات جرى بحث عدة سيناريوهات:

- استمرار الوضع الراهن.
- توقف الإنتاج الصناعي عند انخفاض منسوب المياه في البحر الميت إلى مستوى معين.
- نموذج مبسط للتغيّر المناخي وارتفاع درجات الحرارة.

وأظهرت الدراسات والنتائج أن منسوب البحر الميت لن يستقر بعد ٥٠٠ سنة، بل سيواصل الانخفاض لكن ببطء شديد، وكانت المناسيب المقدرة للسيناريوهات الثلاثة ٥٦٥م - ٥٢٦م - ٥٨٥م (تحت مستوى سطح البحر على التوالي) (١٣).

إن ما نستخلصه من الدراسات العلمية يشير إلى أن البحر الميت لن يجف خلال الـ ٥٠٠ سنة المقبلة على الأقل، على الرغم من استمرار انخفاض منسوب المياه، وهذا يناقض الحملات الإعلامية التي تزعم أنه سيجف خلال الـ ٥٠ سنة المقبلة.

أما إذا كانت هذه القناة هي الحل المرتجى، ففوائد المشروع معلنة، أما المضار فنادرًا ما تذكر في وسائل الإعلام مع أنها مهمة ومتعددة وأكثرها خطرًا تلوث

النتائج تظهر أن القناة (الأنبوب) ستعيد منسوب مياه البحر الميت إلى حاله التاريخي، لكن طبيعة المياه وتركيبها الفيزيائي سيكونان مختلفين جدًا عما كانا عليه



هل سيجف البحر الميت حقًا ؟!

المياه الجوفية بمياه مالحة، واخطار بيئية أخرى تتمثل بترسب موسمي للأملاح، ونمو طحلبي في البحر الميت.

وتمتد التأثيرات السلبية كذلك لتشمل الصناعات الكيماوية التي ستتضرر بسبب انخفاض ملوحة البحر الميت، والحاجة إلى تقوية السدود، وضخ المياه من أعماق أكبر، وأخيرًا تمس التأثيرات السلبية قطاع الصناعة بسبب تغيّر طبيعة مياه البحر الميت (١٤).

هذه النتائج، كما يتبين، تظهر أن القناة (الأنبوب) ستعيد منسوب مياه البحر الميت إلى حاله التاريخي، لكن طبيعة المياه وتركيبها الفيزيائي سيكونان مختلفين جدًا عما كانا عليه في الخمسينيات من القرن العشرين.

ولن يتحقق الهدف الأساسي من المشروع ألا وهو (إنقاذ) البحر الميت، إذ ستكون النتيجة بحرًا جديدًا مختلفًا تمامًا عن البحر القديم.

المراجع والهوامش

١. د. باسل نشأت الأسمر: نظرة علمية إلى مشروع قناة البحر الميت، صحيفة الشرق الأوسط العدد ٢٠١٠، تاريخ ٣٠ يوليو/ تموز٢٠٠٣م.

٢- سمير صارم: قناة البحرين الميت والمتوسط، مجلة (العربي) - الكويت، العدد ٢٨٤، يونيو/ حزيران١٩٨٢م .

٣- باحث وخبير أردني.

٤- افتتاح المنتدى الاقتصادي العالمي، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٩٧٢، تاريخ ٢٧ يونيو/ حزيران٢٠٠٣م.

٥- قناة البحر الميت والمتوسط، مصدر سابق.

٦- المصدر السابق.

٧- سليمان الشيخ: قناة البحرين خطر إسرائيلي قادم، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٢٣، أكتوبر/تشرين أول١٩٨٥م.

٨- البحر الميت يزداد انخفاضًا، صحيفة الحياة، العدد ١٣٧٧٨، تاريخ ١ديسمبر/ كانون الأول٢٠٠٠م.

٩- ليما نبيل: مشروع أردني للمياه يربط البحار الثلاثة: الميت والمتوسط والأحمر، مجلة الصياد، ١يونيو/ حزيران١٩٩٤م.

١٠- المصدر السابق.

١١- د. حازم الناصر: لماذا تبنى الأردن مشروع البحرين: الأحمر والميت، صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٩٠٠٤، تاريخ ٢٤ يوليو/ تموز٢٠٠٣م.

١٢- نظرة علمية إلى مشروع قناة البحر الميت، مصدر سابق.

١٣- المصدر السابق.

١٤- المصدر السابق.

مراجع إضافية

- البحر الميت مهدد بالزوال - مجلة (الوسط) العدد ٤٨٠ تاريخ ٩ أبريل/ نيسان ٢٠٠١م.

- الدكتور عبدالإله أبو عياش، البحر الميت يموت، مجلة (العربي) الكويت- العدد ٣٣٢، يوليو ١٩٨٦م.

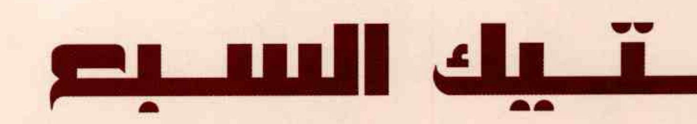
- مصنفات المنتدى الاقتصادي العالمي - البحر الميت، صيف ٢٠٠٣م.

- ماذا تفعل إسرائيل في البحر الميت؟ مجلة (المجلة) العدد ١٠٣٢، تاريخ ٢١ - ٢٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٩م.

- د. عفيف البهنسي: مخطوطات البحر الميت.. ماذا نخفي؟ مجلة (العربي)، الكويت، العدد ٤٧٥، يونيو/ حزيران١٩٩٨م.



عجائب دنيا البلاس



أحمد حامد الغامدي

الرياض ـ السعودية

كما لا يخفى، فإن شكل عالمنا المعاصر كان سوف يستمر فولاذي الملمح والطباع لولم يقدر الله عز وجل هذا التقدم المذهل لعلم الكيمياء، ذلك العلم المركزي الذي أعاد تشكيل هيئة عالمنا وسحنته بإنتاجه مواد ومركبات جديدة غيّرت وجه العالم بصورة غير مسبوقة. الكثير من هذه المواد والمنتجات الكيماوية الجديدة هي أعاجيب علمية وتقنية بكل ما تعنيه الكلمة، حولت مواد وأشياء تقليدية وشائعة في حياتنا اليومية مثل الخزف من مجرد مادة لصنع فناجيل القهوة العربية أو أكواب النسكافيه الإيطالية إلى مادة فائقة التوصيلية الكهربائية تدخل في صناعة الحاسبات الآلية.

وكمثال نموذجي لهذه المنتجات الكيماوية الذكية والعجيبة نلقي الضوء على التطورات الحديثة التي رافقت علم البولمر والبلاستيك الذي هو أعجوبة وآية الزمن الحالي دون نقاش. وباستناد الكيمياء إلى هذه الدعامة البلاستيكية الراسخة نستطيع ـ وبكل ثقة ـ أن نصحح المعلومات الثقافية لشاعر النيل شوقي الذي قال:

لكل زمان مضى آية

وآية هذا الزمان الصحف

فإذا كانت آية زمانك الغابر يا أمير الشعراء ورب القوافي الصحف الورقية، فإن آية زماننا الحاضر التحف البلاستيكية المتنوعة الأشكال والخواص والذكاء.

مصادفة أم ذهن متأهب؟

قبل الشروع في سرد عجائب عالم البولمرات السبع وغرائبه، لعله من الملائم الإشارة إلى أعجوبة ثامنة جديرة بالتنويه والبيان محورها أن قصة تطور البلاستيك مرت عبر سلسلة من المصادفات والفرائد التاريخية التي لا تخلومن بعض الدروس والفوائد التربوية والتعليمية. لقد زُعم أن الكثير من الاكتشافات والاختراعات العلمية المتنوعة قد تم اكتشافها بالمصادفة المحضة، الشيء الذي سوف نلحظه بشكل متكرر ولافت للنظر عند تتبع تاريخ تطور علم البولمرات ابتداءً باكتشاف Goodyear لعملية فلكنة المطاط الطبيعي ومروراً باكتشاف النايلون والتفلون واختتاماً ـ حتى إشعار آخر ـ باكتشاف البولمر الموصل للكهرباء، وكذلك البولمر المشع للضوء. من وجهة نظري المتواضعة اعتقد أن نظرية (المصادفة المحضة) هي تبسيط واختزال مخلان لتفسير إنجازات علمية مقدرة شاء الخالق عز وجل لحكمته المطلقة أن يمنحها للبشرية بلاغاً لها إلى حين.

يبدو أن الأمر أبعد بكثير من تبسيط الأمور بفكرة المصادفة المجردة؛ لأنه في المقابل ستجد أن عدد الفرص الضائعة عصيّ على الحصر. فبالإضافة إلى ابتسامة الحظ ودعاء الوالدين ـ كما يقال ـ فإن التوفيق لاكتشاف علمي مفصلي ومحوري يحتاج كذلك إلى جهد، مضن من البحث والرصد واليقظة، وصدق من قال: إن المصادفةً لا تقبل إلا على من يحسن أن يغازلها ويستقطبها إليه، وهذا

ـ في الغالب ـ يحتاج إلى أداء جهد، وليس فقط إلى ابتسامة حظ. بالإضافه إلى ذلك فالأمر أيضاً يحتوي على شيء من الموهبة والملكة لدى العالم والباحث يستطيع من خلالها أن يقتنص وينتهز الفرص المثمرة في أثناء تأديته عملاً روتينيًا تقليديًا. ولهذا يقال: إن سقوط التفاحة أوحى إلى نيوتن بنظرية الجاذبية، في حين لو حصل الأمر لبعض الخاملين لم يوح إليه ذلك بكثير شيء غير أن موعد الغداء قد حان. وقل مثل ذلك مع فلمنج الذي لم يتخلص من طبق البكتيريا الملوث بالفطر وهو يتضجر من تجربة أخرى غير ناجحة، ولكن بدلاً من ذلك اقتنص الفرصة السانحة ووظف ملكته وموهبته الاكتشافية ليتوصل إلى اكتشاف البنسلين. وبمختصر العبارة في كثير من الأحيان يبدأ الحدث العلمي الضخم باللقافة (مع الاعتذار عن التعبير) وحب الاستطلاع، فكما يقال الطريقة العلمية تبدأ بالفضول المعرفي الذي يؤدي إلى مجموعة من الملاحظات والمشاهدات، ومن ثم يأتي دور الذهن المتأهب واللمّاح الذي ينتج عجائب الاكتشافات من أمر تافه غير ذي بال يعدّه غالبية البشر استثناء

البولمر يعدّ مثالاً نموذجيًا لفكرة التلازم بين المصادفة والتوفيق وبين ملكة اهتبال الفرص السانحة واستثمارها. في الواقع أنه في حالة علم البولمرات هذا التلازم المثمر قد يعود في أقل تقدير إلى ما يزيد على القرن والنصف من الزمن عندما أنتج العالم السويدي Schoenbein وبطريق المصادفة المجردة (إذا جاز هذا الوصف لما سبق التنبيه إليه) مركب النيتروسيلولوز عندما سكب محلول النيتريك المركز عن طريق الخطأ على طاولة المطبخ، وفي عجالة من أمره مسح الحمض المسكوب بممسحة ومنشفة من القطن ليكتشف فيما بعد أنه بعمله الفج هذا حوّل وعدل مركب السيلولوز الذي هو بولمر طبيعي ـ كما هو معروف ـ إلى مركب جديد ذي خواص غريبة من أهمها أنه سريع الاشتعال، بل ويمكن تحويله إلى مواد شديدة الانفجار. ولأن صناعة المتفجرات والبارود كانت مغرية جداً من المنظور المالي لذلك لم يلتفت هذا العالم إلى الخواص الاخرى لهذا المنتج الجديد، كالمرونة والتمغنط .elastic. في واقع الحال سوف يمر وقت طويل يزيد على سبعة عقود ليثبت



وشواذ أو تجربة غير ناجحة مكانها الطبيعي دائرة النسيان ومزبلة اللامبالاة.

شيء من تاريخ المصادفات البلاستيكية

لقد سبق الإشارة إلى أن عدداً من مكتشفات عالم

البلاستيك أهميته التنافسية مقابل المتفجرات وذلك عندما ستغير شركة Du Pont اهتمامها بصناعة البارود (التي ابتدأها مؤسس الشركة Du Pont الفرنسي الأصل) إلى شركة عملاقة كانت انطلاقتها الحقيقية باكتشاف Carothers للنايلون الذي يعد من باكورة البولمرات

الاصطناعية. من ذلك نستفيد أن العالم النبيه لا يحتقر الأمور الصغيرة والجانبية في بحثه، فقد يدور الزمان دورته وتكون هي بعينها سر النجاح والثروة، أو كما قيل:

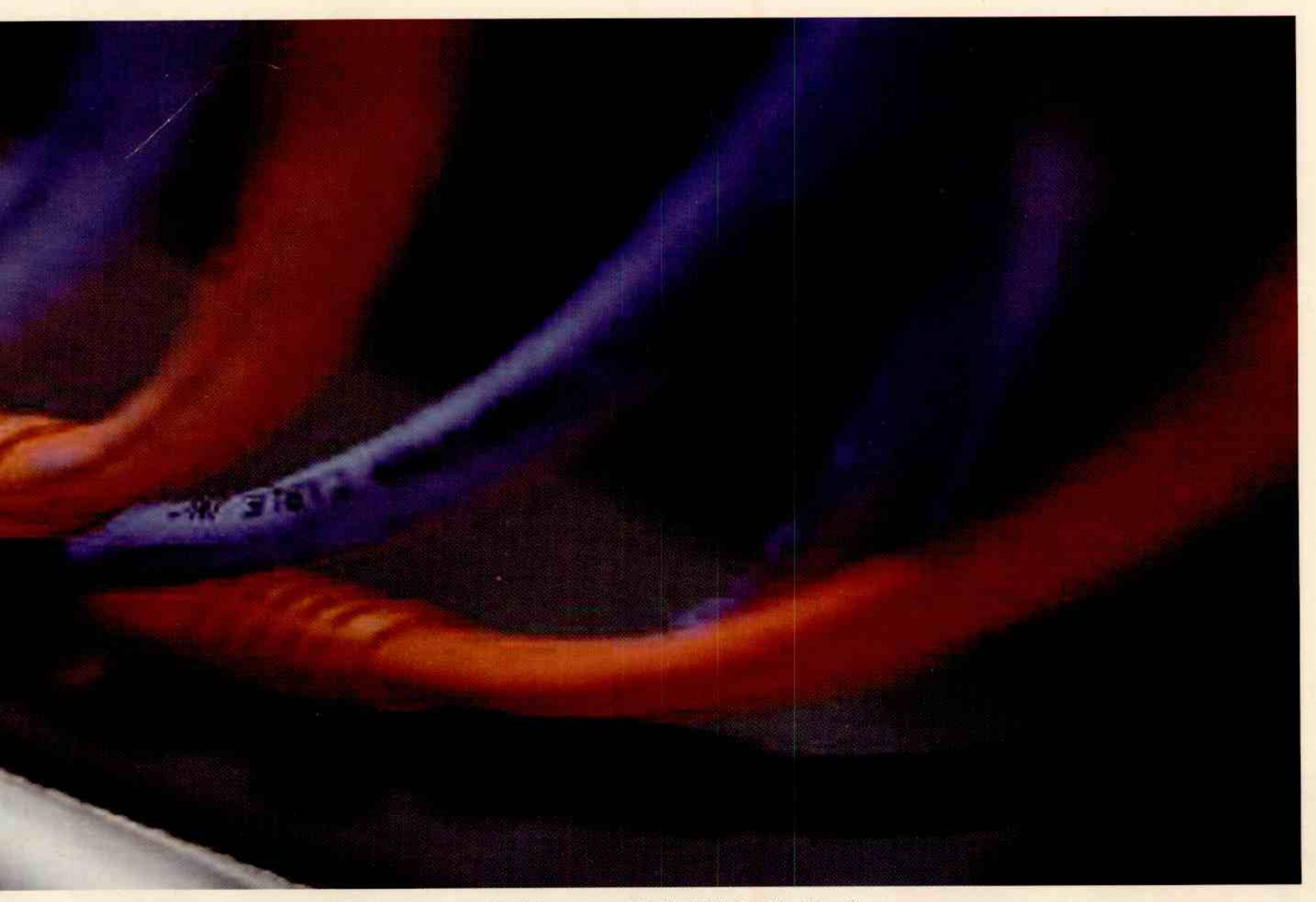
إن يحتقر صغر فرب مفخم

يبدو ضئيل الشخص للنظارِ

الجدير بالذكر أنه في أثناء ما كان العالم السويدي الآنف الذكر يثير الفوضى بمطبخ منزله بإهماله المزدوج من وضع ومن سكب حمض أكّال على طاولة الطعام، كان مخترع أمريكي آخر يدعى Charles Goodyear، قد خرج من فوره السجن بسبب ديونه المتراكمة ليشغل نفسه سنوات طوال في محاولة تحسين خواص المطاط الطبيعي. وفي أحد الأيام، وعن طريق الإهمال (أو المصادفة إذا نظرت إلى الحدث من زاوية مختلفة) أسقط Goodyear قطعة من المطاط الطبيعي الخام مع الكبريت في موقد حار في المطبخ (للمرة الثانية تلازم الإهمال والمصادفة يهيّىء وجود مواد كيماوية في المطبخ !!!) وعندما أزال Goodyear المطاط من الموقد لاحظ أنه ما زال مرناً، الشيء الذي يفتقده المطاط الطبيعي عند التسخين، وهكذا تم اكتشاف عملية فلكنة Vulcanization المطاط الطبيعي. الطريف حقاً أن هذا التاجر التعيس عندما حاول أن يستثمر براءة الاختراع هذه بإنشاء مصنعين للمطاط في بريطانيا وفرنسا لم يحالفه الحظ وأفلس وحبس للمرة الثانية في فرنسا حتى يسدد الديون التي عليه، وبهذا اختتم حياته وهو غارق في الديون والفقر. القصة لم تنته هنا فكما هومعلوم فإن اسم Goodyear لايزال محفوظاً حتى اليوم حيث اشترت إحدى الشركات الأمريكية اسم هذا التاجر المفلس ووظفته في عمليتها التسويقية الناجحة التي أفرزت شركة ناجحة ومتخصصة في صناعة المطاط وإطارات السيارات. لهذا الدرس الثاني أن الحظ يأتي مرة واحدة وكما قيل :

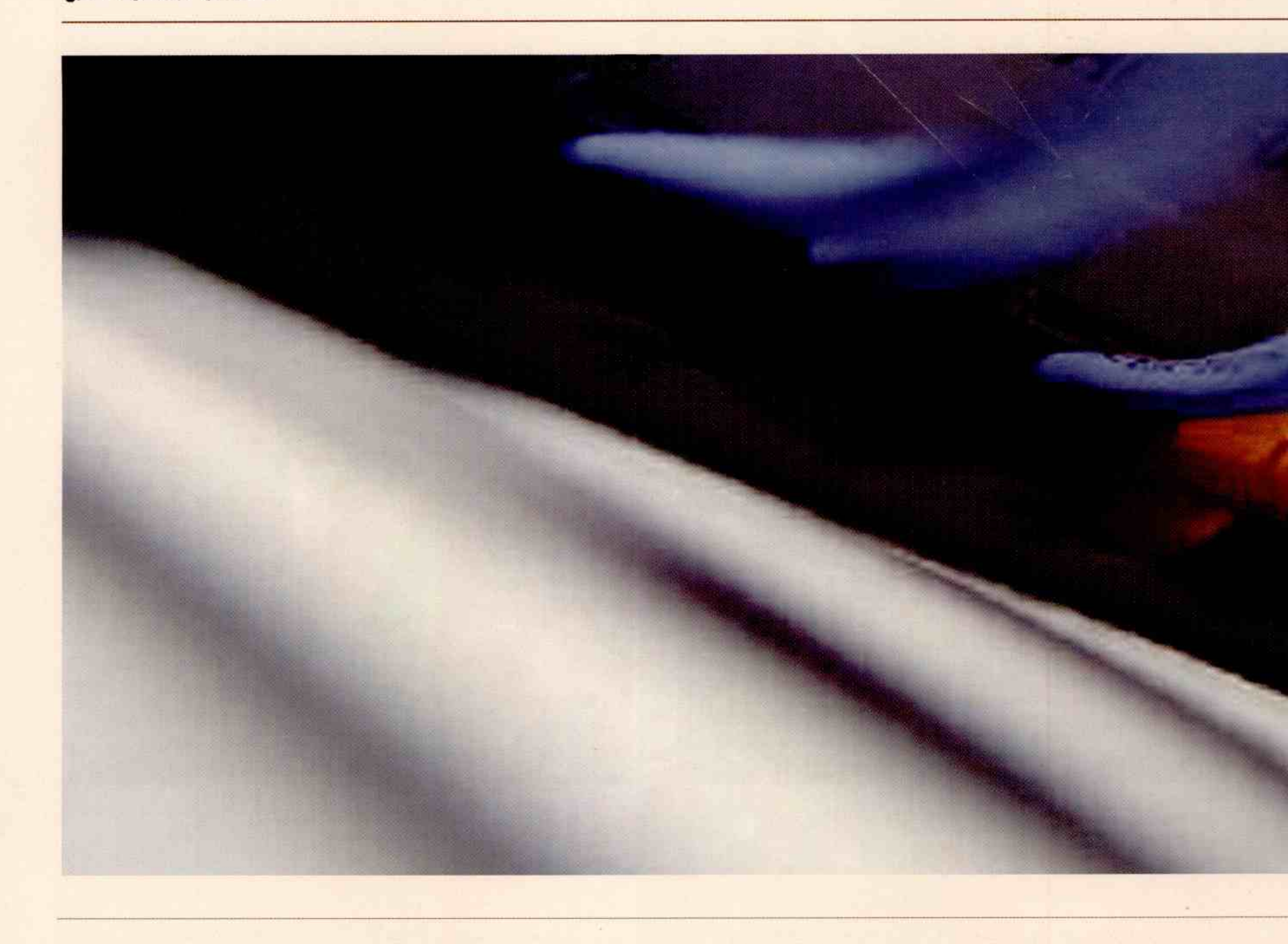


ليس لأحد حظ كل يوم، فكما لا يجتمع سيفان في غمد فكثيرًا ما يكون الباحث الفذ إداريًا وتاجرًا فاشلاً. من جانب آخر يقال: إن الرجال المحظوظين لا يحتاجون إلى النصيحة، وهذا القول قد يصدقه الواقع، فالرجل الذي لا يحالفه الحظ قد يعاني الشقاء حتى وإن كان من أذكى الناس. للتدليل على ذلك لك أن تعلم أن فكرة وجود مركبات عضوية طبيعية أو اصطناعية كبيرة الحجم جداً مثل البلاستيك أوالمطاط



حب الاستطلاع والفضول قادا الى اكتشافات مهمة في علم البولمرات

الطبيعي لم تكن مقبولة بل ومستهجنة حتى العشرينيات الميلادية من القرن العشرين. في الحقيقة هذا كان حال الكيميائي الألماني Staudinger (الذي لم يكن الحظ قد ابتسم له بعد) الذي كان أول من طرح احتمالية وجود مثل هذه الجزيئات العملاقة فقد واجه انتقادًا شديدًا ومريرًا من المجتمع العلمي والأكاديمي وصل إلى درجة حرمانه من الدعم المالي لإجراء أبحاثه المشكوك فيها. لكن هذا العالم الألماني لم يلق لهذا التخذيل بالاً، واستمر في أبحاثه، حتى أثبت أن البولمر في الواقع هو عبارة عن جزيئات ضخمة مما أهّله فيما بعد لأن يكون أول كيميائي يحصل على جائزة نوبل في الكيمياء في مجال كيمياء البولمرات. وحتى نخلص إلى الدرس التالي يحسن أن نذكر بالحادثة المشابهة التي وقعت لعالم ألماني آخر هو فانت هوف Vant Hoff الذي نشر وهوبعد في سن الـ ٢٥ سنة من عمره مقالة صغيرة يقرر فيها أول مرة أن ذرة الكربون تأخذ شكل الهرم الرباعي الوجوه. المؤسف حقاً أن هذه الفكرة المبدعة (التي سوف تسبب في مستقبل الأيام ثورة في الكيمياء العضوية) واجهت نقدًا قاسيًا جداً من عالم كيميائي متمكن ومقدر وصف هذه الدراسة بأنها هلوسة علمية وهراء. المعلوم أن هذا الهراء وغيره من الأبحاث قادا فانت هوف لاحقًا إلى أن يكون أول كيميائي على الإطلاق يحصل على



جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٠١م. ولذلك نخلص إلى الوصية المخلصه التي تحثك على أن تنافح بثقة عن إنتاجك وأفكارك العلمية أما إذا وجهت بالنقد الجارح فعزٍّ نفسك بقول المتنبي :

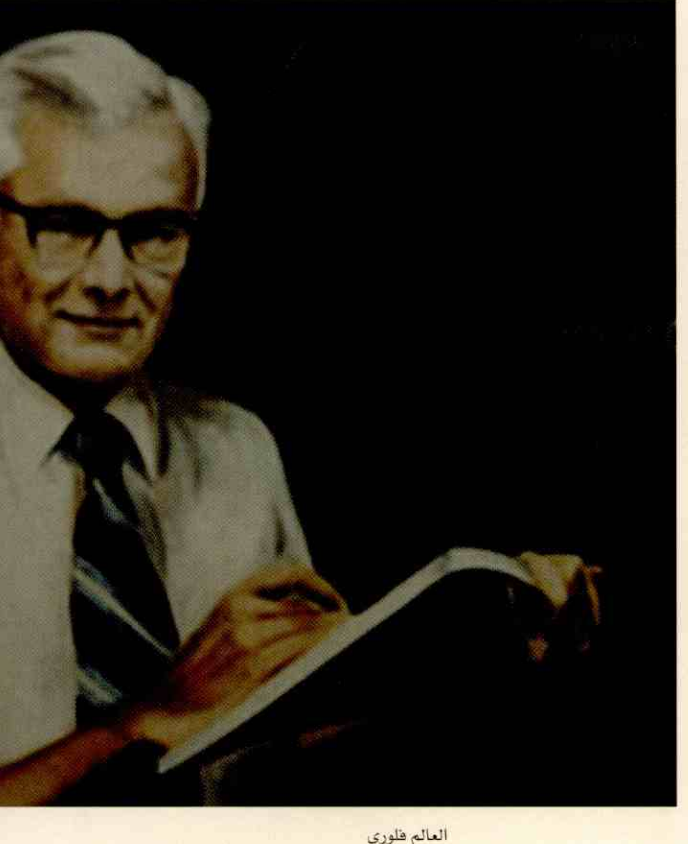
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً

وآفته من الفهمِ السقيمِ

بالإضافة إلى التشكيك في وجود هذه المركبات البولمرية العملاقة أصلاً، واجه هذه المركبات الاصطناعية إهمال وتجاهل من نوع آخر فقد كانت في أول الأمر تعامل كأنها نواتج مصاحبة لبعض التفاعلات العضوية، ولهذا غالباً ما كان يتم التخلص منها لكونها ملوثات غير مرغوبة. استمر الأمر كذلك حتى صحح هذا الخطأ الفادح الكيميائي البلجيكي الأصل Baekeland الذي أثمرت أبحاثه أول بولمر اصطناعي سماه بكل تواضع Bakelite اشتقاقاً من اسمه. لا شك أن سر نجاح هذا العالم أنه لم ينجرف مع التيار والعرف السائد في الدراسات العلمية ولكن الرغبة في الكشف عن طبيعة الأشياء دفعته إلى استثمار هذه المركبات المهملة ليثبت بحق أن (الخيمياء) العصرية تحول الأشياء التافهة إلى شيء ثمين، وإن كان بشع المنظر، مثل بلاستيك البكلايت القديم. حب الاستطلاع والفضول قاد كذلك إلى اكتشاف مهم وتاريخي في علم البولمرات وهو اكتشاف مادة النايلون على يد Carothers الذي كان يعمل في مختبرات



الكيميائي فانت هوف



العالم فلوري

شركة Du pont. في أول الأمر أنتجت الأبحاث بولمر Polyester الذي لم يكن له أي فائدة صناعية تذكر؛ لأنه كان يكون مادة لزجة ليس لها شكل ثابت. لقد كاد منتج النايلون الأسطوري لا يرى النور لولا أن أحد مساعدي Carothers غلبه الفضول والعبث واللهو فلاحظ أنه إذا وضع قضيب زجاجي في مادة البوليستر ورفعه ببطء يكوّن خيطاً سلكيًا رفيعًا عند سحبه من الدورق. وهكذا من رحم اللهو والعبث ولدت الأعجوبة الصناعية. العجيب حقاً أن حب الفضول والاستطلاع لكيميائي آخر يعمل في الشركة نفسها Du Pont سوف يثمر بعد عدة عقود اكتشاف مركب بلاستيكي لا يقل قدراً عن النايلون (المقدر جداً لدى النساء). هذا البولمر الجديد هوالتفلون Teflon الذي بدوره أيضا تقدره النساء؛ لأن استخدامه في أواني الطبخ يخفف عناء الغسيل عن الأنامل الرقيقة. هذه المرة كان سيناريو(اللقافة العلمية) كالتالي: لاحظ العالم Plunkett أن إحدى الإسطوانات لغاز مركب CF2=CF2 خفيفة الوزن، وبدلاً من أن يتخلص منها، ويطلب إسطوانة جديدة، كما قد يحصل لأي باحث خامل، دفعه الفضول إلى أن يجهد نفسه ليقطع هذه الأسطوانة الحديدية الصلبة، ويستطلع ما هو مصير الغاز المفقود. لقد وجد أن جدار الإسطوانة الداخلي مغطى بمادة شمعية بيضاء وعندما درس خواصها وجدها مادة كيماوية خاملة بشكل عجيب. والباقي بعد ذلك تاريخ كما يقال، فقد تنوع استخدام هذه المادة من طناجر وقدور المطابخ إلى المفاعلات النووية وبدلات وبزات رجال الفضاء. من هذا وذلك

نعلم أن الحصول على المعرفة في الغالب يحتاج إلى جلد وتعب (وشيء من اللعب أحيانًا).

فحقيقة الأمر أنك تحتاج إلى أن تبحث عن المعرفة لأن المعرفة لا تبحث عنك، كما يقول الحكيم الصيني. درس إضافي يمكن استخلاصه من المركبات الكيماوية الأخرى التي ظلمت عند تصنيفها بأنها عديمة الفائدة كبولمر Polyacetylene الذي ظل ردحاً من الزمن لا يعرف إلا بكونه بودرة سوداء كريهة المنظر وهشة وغير ذات جدوى، لكن في أحد الأيام حاول الكيميائي الياباني شيراكاوا Shirakawa أن يحضر هذا البولمر بطريقة خاصة، ولكنه وبطريق الخطأ أضاف كمية كبيرة جدًا من حفّاز Catalyst كيماوي معين إلى وعاء التفاعل؛ مما أثار دهشته بأنه بدلاً من أن يحصل على المسحوق الأسود التقليدي البشع حصل على مرآة فضية رائعة المنظر على السطح الداخلي لوعاء التفاعل. من المعلوم أن المرائي أو المرايا لا تتكون في الغالب إلا عن طريق ترسيب أيونات المعادن مثل الفضة على سطح زجاجي، وعندما حاول العالم الياباني حل هذه المعضلة وجد أن البولمر الرائع الجديد يتمتع بخاصية أكثر روعة وأهمية وهي قدرته على التوصيل الكهربائي. بقي أن نقول: إن هذا الخطأ العلمي الفادح لم يضمن رخاء ماديًا فقط للعالم (المهمل في إتقان إجراء تجاربه)، ولكن بالإضافة إلى ذلك كوفئ على اكتشافه هذا (مع آخرين) بجائزة نوبل المرموقة.

سبق أن ذكرنا أن اللهو واللعب في البحث العلمي يمكن أن يكونا نافعين، وهذا احتمال قد يقع وقد لا يقع. لكن الأمر شبه المؤكد أن عدم النجاح والإخفاق في عمل أوتجربة ما مفيد ولو بعد حين، فالأمر لا يعدو قول أهل الحكمة: الفشل في بعض الحالات هو أساس وسلم النجاح. وحتى لا نسترسل كثيراً (وقد فعلنا) مع الدروس التربوية التي يمكن استنباطها من تاريخ تطور علم البولمرات، لعلنا نختم هذا الجزء بدرس أخير من نوع خاص لا يتعلق بالعلماء والباحثين في مجال البولمر، ولكن يدور حول محاضن الأبحاث وبيوتها التي أفرزت هذه الأعاجيب التقنية. فمن ذلك مثلاً أن شركة Du Pont العملاقة التي مر ذكرها سابقاً والتي احتفل قبل اشهر بمرور ٢٠٠ عام على إنشائها تعدّ اليوم من أكبر الشركات الكيماوية في العالم ولا يبزها في ذلك إلا شركة Dow Chemicals قد تحولت من مصنع عائلي بسيط لإنتاج البارود أقامه مهاجر فرنسي إلى أمريكا إلى عملاق وأخطبوط صناعي متعدد الأنشطة. من الجدير أن نعلم أن من أسباب هذا النجاح العلمي والاقتصادي أن هذه الشركة كانت من أوائل من طبق فكرة إقامة مراكز الأبحاث والتطوير R & D المرتبطة بالشركات والمصانع الكبرى. هذا الاتجاه والسياسة البحثية التي لا تشترط أن يكون للبحث العلمي تطبيقات تجارية فورية كانا نظرة بحثية غير مألوفة حتى أوائل القرن العشرين. لكن الثمار العلمية والاقتصادية لهذا التوجيه الجريء من الوضوح بحيث لا يمكن أن تخطئها العين الثاقبة. فبعد أن استقطبت هذه الشركة العالم Carothers السابق الذكر من جامعة هارفرد العريقة وفق في اكتشاف مادة النايلون مع بولمرات أخرى، وكذلك تم في مختبرات هذه الشركة إنتاج بولمرات التفلون والداكرون والكيفلار وغاز الفريون وغيرها كثير. ليس هذا فحسب بل بعض العلماء الذين عملوا بهذه الشركة حصلوا على جوائز نوبل في الكيمياء مثل فلوري Flory الحاصل على الجائزة في عام ١٩٧٤م لدراسته عن البولمرات، وكذلك الكيميائي بيدرسن Pedersen الحاصل عليها في عام ١٩٨٧ لدراسته حول المعقدات المخلبية. بل بعض الدارسين يقولون: إن Carothers الذي اكتشف النايلون كان مرجحًا جداً أن يحصل على نوبل في الكيمياء لولا انتحاره وهو مازال بعد في أوائل الأربعين من

عمره. والمقصود أن البحث والدراسة البحثية اللذين قد ينظر إليهما من باب الترف العلمي والإغراق في الجزيئات قد ينتجان عن طريق طفرات معرفية خاطفة ثمارًا معرفية لا تقدر بثمن، لكن في الغالب تحتاج إلى أن تتصبر بالتأني والإتقان لتنال مأمولك، كما قال القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجتهِ

وقد يكون مع المستعجل الزللُ

بعد هذا الاستطراد التاريخي الطويل لتطور علم البولمرات لابد أن نترك بنيات الطريق والمخارج الجانبية ونعود إلى صلب الموضوع لنستعرض شيئاً من أعاجيب عالم البولمر.

الأعجوبة الأولى: بلاستيك برعشة الكهرباء ونكهتها

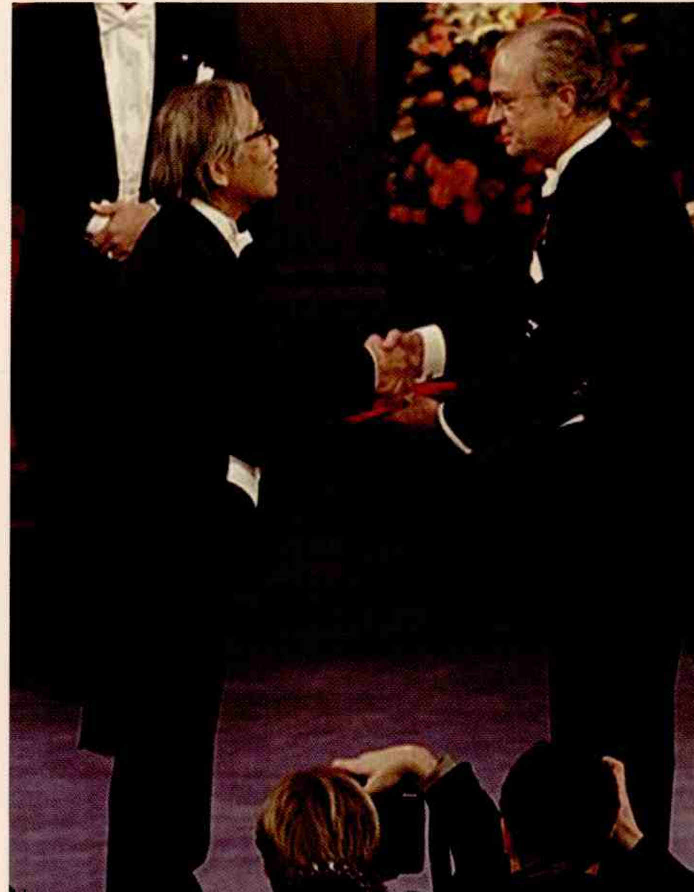
إذا صحت التسمية فإن البلاستيك الموصل للكهرباء ما هوإلا نوع من المعادن العضوية Organic Metals وهنا ولا شك تتجسد الأعجوبة في أجلّ صورها. فحتى عقود قليلة مضت شاع عن البلاستيك أنه مادة عازلة للتوصيلية الكهربائية. هذا الاكتشاف الذي يجمع النقيضين : العزل والتوصيل في مركب واحد سيفتح مجالاً واسعًا لتطبيقات واستخدامات متباينة للبلاستيك وتتويجاً لهذا الاكتشاف التاريخي منح ثلاثة كيميائيين جائزة نوبل قبل سنتين لاكتشافهم المذهل هذا. هذه المعجزة تمت في أول الأمر باستخدام بولمر عديم الفائدة التطبيقية كما سبق أن ذكرنا وهو Polyacetylene وعن طريق التحكم في ظروف بلمرته تم التحكم في التواجد الفراغي للروابط الكيمياوية المزدوجة لتصبح في الوضع cis بدلاً من الوضع trans، وبهذا أمكن للبولمر الجديد أن ينقل التيار الكهربائي. هذه المناورة الكيماوية البسيطة مكنت من تطبيقات صناعية كانت تعدّ ضربًا من الخيال مثل إنتاج بطاريات بلاستيكية خفيفة الوزن بديلاً من تلك المعدنية الثقيلة الوزن. وبهذا جعلت هذه البطاريات المطورة والخفيفة الهواتف النقالة حقيقة ماثلة للعيان. هذا النوع من البلاستيك يدخل كذلك في تصنيع شريحة الاتصال للهواتف النقالة وهي كذلك أساس عمل بطاقات الصرف البنكية وما يشابهها من البطاقات الشخصية. يستخدم هذا البلاستيك كذلك في صناعة أشباه الموصلات عصب أجهزة الحاسب الآلية الحديثه، كما يستخدم أيضًا في بعض أجهزة إصدار أشعة الليزر. بهذه التقنية الفريدة أمكن إنتاج ما يعرف بنوافذ المباني الذكية Windows Smart المكونة من زجاج مغطى بطبقة بلاستيكية خاصة تغير من شفافيتها عند مرور تيار كهربائي، لذا فأن هذه النوافذ في الأيام المشمسة تكون دكناء اللون مما يساعد على تقليل أشعة الشمس والحرارة. كما هو معلوم وصف الذكاء ليس محصوراً على النوافذ المشرعة، ولكنه أكثر ارتباطاً بإنتاج الأسلحة الذكية مثل طائرة الشبح Stealth المكسوة بنوع خاص من هذه البولمرات بإمكانها امتصاص موجات الميكروويف الصادرة عن الرادار، وبهذا يصعب رصد هذه الطائرات الشيطانية وتحسسها. إن اكتشاف هذا النوع من البلاستيك الموصل للكهرباء مكن من اكتشاف أنواع أخرى لا تقل غرابة مثل البلاستيك المشع للضوء عند مرور التيار الكهربائي، وكذلك إنتاج المغناطيس البلاستيكي الذي بإمكانه توليد مجال مغناطيسي في حال تم تسليط شعاع ليزر عند طول موجه معين على نوع خاص من البولمرات.

الأعجوبة الثانية: البلاستيك الحيوي والفناء المنشود

واحدة من أكثر المشكلات البيئية التي تواجه المجتمعات المعاصرة هي تراكم النفايات البلاستيكية وتجمعها وهي بخلاف النفايات الورقية والقماشية بل حتى المعدنية لا تتأثر بعوامل الجو، وهي كذلك غير قابلة للتحلل البيولوجي biodegradable بواسطة ميكروبات التربة. وهنا يظهر التناقض الصارخ في دنيا

العلم والبحث والتطوير، فالكيميائيون في العادة يبذلون جهودًا مضنية لإنتاج مركبات ومنتجات كيماوية تعمر طويلاً. لكن هذا لا يمنع أن توجد طائفة من أهل حرفة الكيمياء يكدون قريحتهم العلمية لإنتاج مركبات كيماوية قابلة للفناء بدلاً من الخلود والديمومة الكيماوية . إن إنتاج مواد بلاستيكية حيوية قابلة للتحلل البيولوجي يعدّ أولوية بيئية ملحة، ولهذا ما زالت الأبحاث التطويرية في شدة زخمها لإنتاج هذا النوع من البلاستيك من مواد أولية طبيعية قابلة للتجدد مثل المنتجات والمصادر الزراعية بدلاً من استخدام المواد الأولية البتروكيماوية. في الوقت الحاضر يصنع هذا البلاستيك الحيوي من وحدات بنائية محورة من السيلولوز والنشا وحمض

العالم الياباني شيراكاوا يتسلم جائزة نوبل



اللاكتيك التي يمكن توفيرها بكميات مناسبة من معالجة المخلفات الزراعية وبقايا الصناعات الغذائية. وعلى الرغم من ارتفاع سعر هذا النوع من البلاستيك موازنة بالأنواع التقليدية إلا أن لها أهمية استخدامات متزايدة، وخاصة في المجال الطبي، إذ تستعمل في تصنيع الخيوط الجراحية القابلة للتحلل، وكذلك تستخدم كوسيلة لتنظيم إفراز، ومن ثم امتصاص الجسم بعض الأدوية حيث يغلف الدواء بطبقة رقيقة من هذا البولمر تتحلل ببطء مما يسمح بإفراز الدواء داخل الجسم وفق آلية زمنية محددة، وبهذا يعمل هذا البولمر كمادة لتوصيل الأدوية إلى هدفها المنشود فيما يعرف بـ Drug Delivery. المثير للإعجاب حقاً أن بعض هذه الأنواع من البولمرات يمكن استخدامها بكفاءة لمعالجة الأورام السرطانية، وذلك عن طريق إقفال الشعيرات الدموية الدقيقة التي تغذي هذه الأورام الصلبة. الفكرة الجريئة والخلاقة خلف هذا العلاج تقوم حول عملية حقن بولمر polyurethane الذي يكوّن عند امتزاجه بالدم حبيبات صلبة كبيرة تقفل الشعيرات الدموية مما يؤدي إلى (تجويع) الورم الخبيث، وبعد ذلك بفترة معينة يتحلل البولمر، ويخرج من الجسم، لكن بعد أن يكون أقام حصارًا اقتصاديًا فعالاً على الورم السرطاني.

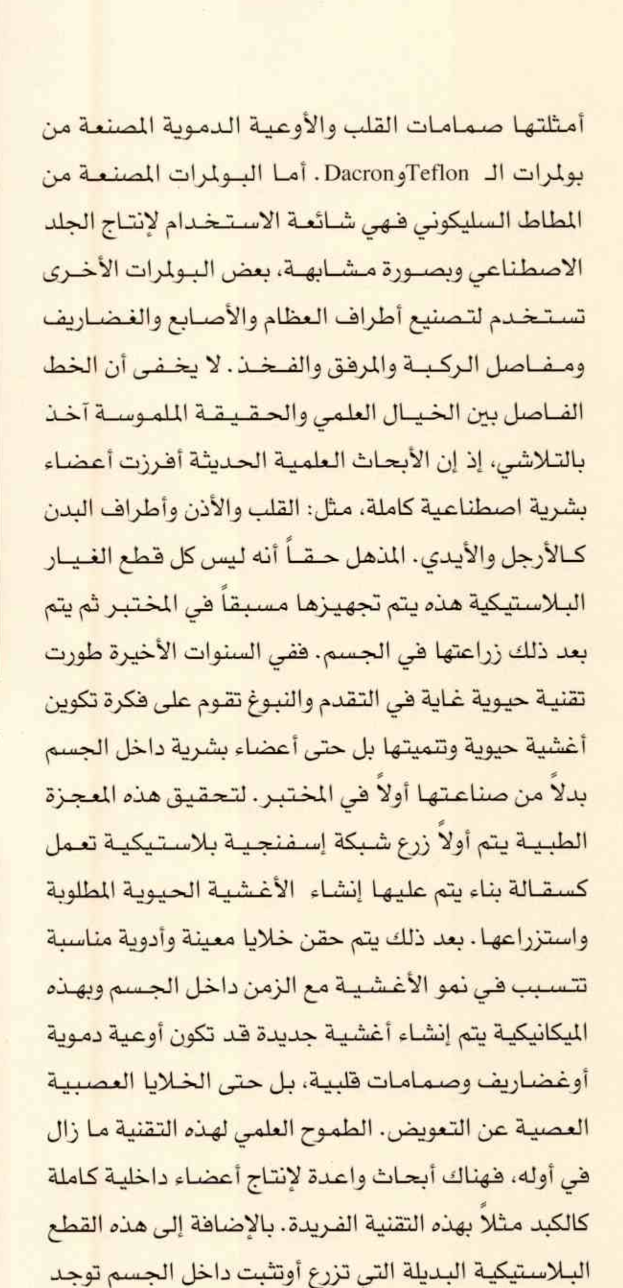
الأعجوبة الثالثة: قطع غيار بشرية حسب الطلب

الاستخدام السابق للبولمر في طرائق العلاج البلاستيكية ليس هو الاستخدام الوحيد لهذه المنتجات الكيماوية العجيبة لتخفيف المعاناة عن شرائح عريضة من المرضى. بالإضافة إلى ذلك توجد بحوث علمية وطبية كثيرة منصبة بشكل أساسي على استخدام مواد حيوية مصنعة لتحل محل بعض الأعضاء والأنسجة البشرية التالفة. في الغالب قطع الغيار الاصطناعية هذه مصنوعة من البلاستيك أوالمطاط الصناعي ومن

أمثلتها صمامات القلب والأوعية الدموية المصنعة من بولمرات الـ DacronوTeflon. أما البولمرات المصنعة من المطاط السليكوني فهي شائعة الاستخدام لإنتاج الجلد الاصطناعي وبصورة مشابهة، بعض البولمرات الأخرى تستخدم لتصنيع أطراف العظام والأصابع والغضاريف ومفاصل الركبة والمرفق والفخذ. لا يخفى أن الخط الفاصل بين الخيال العلمي والحقيقة الملموسة آخذ بالتلاشي، إذ إن الأبحاث العلمية الحديثة أفرزت أعضاء بشرية اصطناعية كاملة، مثل: القلب والأذن وأطراف البدن كالأرجل والأيدي. المذهل حقاً أنه ليس كل قطع الغيار البلاستيكية هذه يتم تجهيزها مسبقاً في المختبر ثم يتم بعد ذلك زراعتها في الجسم. ففي السنوات الأخيرة طورت تقنية حيوية غاية في التقدم والنبوغ تقوم على فكرة تكوين أغشية حيوية وتنميتها بل حتى أعضاء بشرية داخل الجسم بدلاً من صناعتها أولاً في المختبر. لتحقيق هذه المعجزة الطبية يتم أولاً زرع شبكة إسفنجية بلاستيكية تعمل كسقالة بناء يتم عليها إنشاء الأغشية الحيوية المطلوبة واستزراعها. بعد ذلك يتم حقن خلايا معينة وأدوية مناسبة تتسبب في نمو الأغشية مع الزمن داخل الجسم وبهذه الميكانيكية يتم إنشاء أغشية جديدة قد تكون أوعية دموية أوغضاريف وصمامات قلبية، بل حتى الخلايا العصبية العصية عن التعويض. الطموح العلمي لهذه التقنية ما زال في أوله، فهناك أبحاث واعدة لإنتاج أعضاء داخلية كاملة كالكبد مثلاً بهذه التقنية الفريدة. بالإضافة إلى هذه القطع البلاستيكية البديلة التي تزرع أوتثبت داخل الجسم توجد كذلك تطبيقات متنوعة للمواد البلاستيكية ذات الاستعمالات الطبية مع فارق جوهري هو أنها تستخدم وتوجد أساساً خارج الجسم البشري. ففي عمليات القلب المفتوح أوعند إجراء عمليات غسيل الكلى يتم استخدام أغشية بلاستيكية حيوية تساعد على استخلاص الأكسجين أو فصل المواد الكيماوية الضارة.

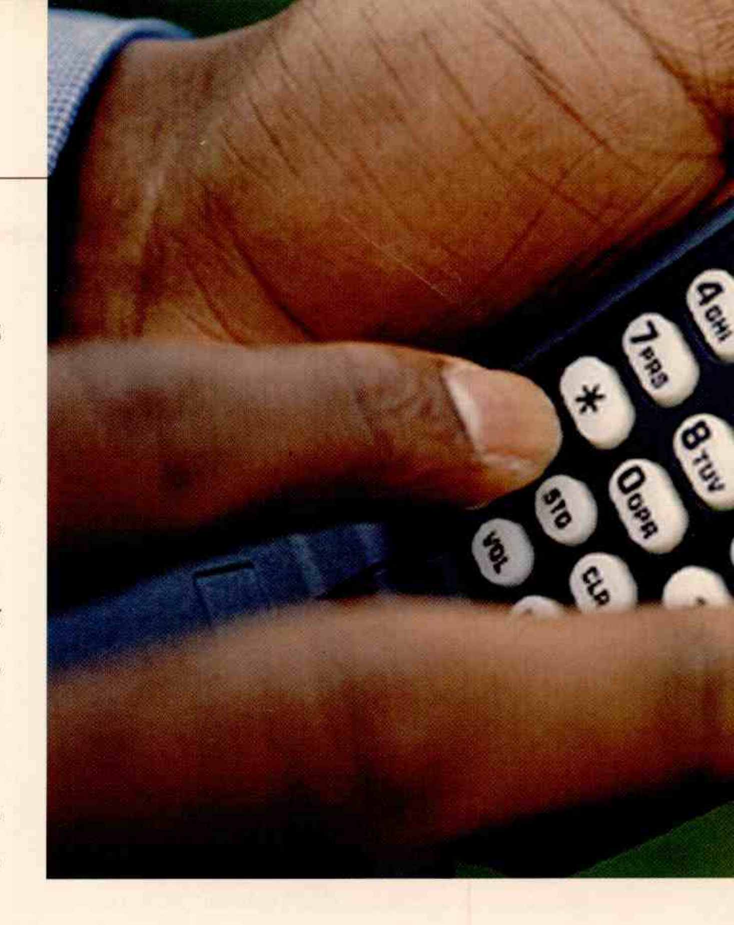


البولمرات القادرة على إصدار أشعة الضوء وجدت تطبيقاتها في شاشات القرص البلاستيكية



الأعجوبة الرابعة: شاشة بلاستيكية تأسر الأنظار

من رحم الظلام ولدت هذه الأعجوبة البلاستيكية الزاهية، ففي إحدى الليالي وعندما أغلق أحد طلاب الدراسات العليا أنوار المختبر الذي كان يعمل فيه في جامعة كامبردج الشهيرة، وما إن قام بذلك حتى تسمر في مكانه من الدهشة إذ لاحظ أن جزءًا من أجهزته العلمية التي يعمل عليها يشع ضوءًا غريبًا. بعد البحث والتقصي تبين أن مصدر هذا الضوء الغريب هو فلم بلاستيكي خاص استخدم أصلاً كمادة عازلة لتغطية أحد الأجهزة الكهربائية. وهكذا، وعن طريق المصادفة مرة أخرى. تم اكتشاف الأعجوبة البلاستيكية الجديدة التي هي بولمرات قادرة على إصدار أشعة الضوء عندما يطبق خلالها جهد كهربائي، وهذا سيمكن من توليف صور ضوئية متحركة من هذه الأضواء المنبعثة. على الرغم من أن هذا الاكتشاف العلمي الشائق لا يكاد يتجاوز السنوات العشر من العمر إلا أن التطبيقات التجارية آخذة في التسارع والانتشار على



هيئة شاشات العرض البلاستيكية المستخدمة في الهواتف النقالة وأجهزة التلفاز المصغرة والحاسبات الآلية المحمولة. لذا يتوقع أن هذه البولمرات المشعة للضوء بإنتاجها هذه الشاشات البلاستيكية الواعدة، ستكون سبباً كبيراً في إحالة الشاشات الفضية التقليدية إلى أرفف المتاحف وإلى ذمة التاريخ، بل إنه يتوقع لهذه الشاشات البلاستيكية أن تكون منافسًا حقيقيًا لتقنية شاشات عرض الكرستال السائل الواسعة الانتشار.

الأعجوبة الخامسة: العاطفة بين البلاستيك والماء من الهيام إلى الجفاء

غرائب عالم البلاستيك لا تقف عند مقدرة بعض أنواع البلاستيك على توصيل الكهرباء أوتوليد مجال مغناطيسي أوإصدار الضوء، بل إن بعض الأنواع بإمكانها شرب الماء أوامتصاصه، بمعنى أدق بعض هذه البولمرات لها قدرة فائقة على الامتصاص حيث قد تمتص ٤٠٠ مرة وزنها من السوائل؛ ذلك لأنها في الواقع شبكة من البولمرات التي لا تذوب في الماء؛ وبهذا فهي قادرة على الانتفاخ واحتواء الماء عبر آلية لم تفسر بشكل كامل. هذه المواد أحياناً يطلق عليها الجلي المائي، وهي مواد لصيقة الاتصال بحياتنا اليومية على أقل التقدير في صورتها الفجة، كحفائظ الأطفال أوحتى كريمات العناية بالجلد وحلوى الجلي الهلامية القوام. بالإمكان كذلك استخدامها في العدسات اللاصقة وفي الأضمدة الطبية، ويمكن أيضاً إضافتها إلى التربة الزراعية لقدرتها على امتصاص كمية كبيرة من الماء ومن ثم تحتفظ برطوبة التربة لأطول فترة ممكنة مما يحسن عملية الري للحقول الزراعية. من جانب آخر توجد أنواع أخرى متطورة جداً من هذه البولمرات تعرف بالجلي المائي الذكي التي لها استخدامات معقدة وبالخصوص في التطبيقات الطبية والصيدلانية، إذ تستخدم هذه البولمرات في تنظيم إفراز الهرمونات والأدوية والمسكنات داخل الجسم البشري عن طريق إجراء عملية إفراز عكسية لهذه المركبات الحيوية بعد أن تكون حملت داخل البولمر في مراحل سابقة. من جانب آخر عند ربط بعض الأدوية بهذه البولمرات تقل إمكانية انتشار هذه الأدوية خارج المناطق المراد معالجتها، ومن ثم يمكن تقليل الأعراض الجانبية للأدوية. بقي أن نشير إلى أن بعض أنواع هذا الجلي المائي الذكية يمكن أن تحضر بطريقة خاصة، ومن ثم تستعمل لتقدير بعض الميكروبات البيولوجية في الأغذية، بل حتى يمكن أن تستخدم لتصنيع العظام البديلة. إذا كانت هذه البولمرات تنتفخ أوداجها هياماً والتهاماً للماء فبالمقابل توجد أنواع أخرى من البولمرات تشعر بجفاء ونفور شديدين من الماء، لذا فهي تستخدم بشكل شائع في صناعة الأقمشة والملابس غير القابلة للبلل وفي صناعة حفائظ الأطفال وفي ملابس الرياضة؛ لأنها خلافاً للملابس القطنية لا

تمتص العرق، ومن ثم تساعد على تبريد اللاعب الرياضي وتحسين أدائه، لإنتاج هذا النوع من البولمرات المضادة للبلل يمكن استخدام البولمرات العضوية مثل Polyethlene أوالبولمرات غير العضوية مثل بولمرات السيليكون وبولمرات Phosphazenes.

الأعجوبة السادسة: رقة الحرير وصلادة الصخر.. هل يجتمعان؟

لقد مثل اكتشاف النايلون أوالخيوط الحريرية الاصطناعية ثورة هائلة ونجاحًا تجاريًا باهرًا دفع العقول العلمية إلى مزيد من البحث المبدع لإنتاج خيوط غاية في الرقة والنعومة، لكنها مع ذلك غاية في القوة والمتانة. من أبرز الأمثلة على هذه الألياف الاصطناعية مادة تدعى التي بسبب طبيعة تركيب سلاسلها البولمرية أمكن إنتاج أنواع من الألياف الصلبة والقوية بشكل خارق، لذا أطلق عليها اسم الـ Supper Fibers حيث تزيد قوتها بنحو عشرين مرة على قوة الخيط الفولاذي. تستخدم هذه الألياف في الإنشاءات الهندسة الثقيلة مثل منصات حفر البترول أوتستخدم بشكل شائع جداً في الملابس والأجهزة الرياضية. وهي كذلك تستخدم في صنع السترات والملابس الواقية من الرصاص، وفي صنع الملابس الواقية من الحريق لرجال المطافئ، ويستخدمها كذلك رجال الفضاء في بزاتهم الواقية من الإشعاعات الكونية. أما في مجال الألعاب الرياضية فتستخدم بكثرة في تصنيع الملابس الرياضية الواقية من الإصابة نتيجة لوقوع اللاعب كما في رياضة التزلج على الجليد أوالماء وغيرها من الرياضات السريعة والخطيرة. بالإضافة إلى ذلك ولخواصها العازلة للحرارة فهي خيار جيد لصنع ألبسة الغطس وملابس الألعاب الشتوية. بالإضافه إلى ذلك فإن مادة الـ Kevlar ولقوتها الفائقة تستخدم لصنع الإطارات المقاومة للثقب مثل تلك المستخدمة في طائرات الركاب الضخمة.

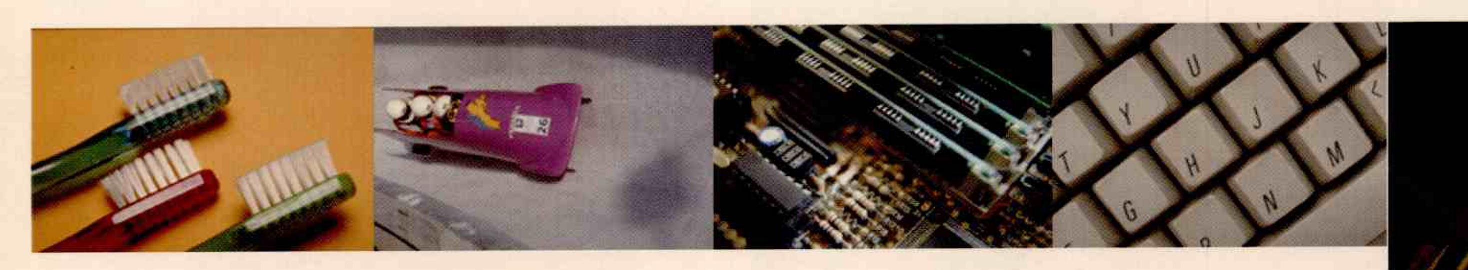
الأعجوبة السابعة: البلاستيك الناطق. . حقيقة أم خيال؟

بعد سرد العجائب البلاستيكية السابقة أعتقد أنه لا يحتاج المرء إلى كثير إقناع ليصدق بأن البلاستيك يمكن ووفق ظروف خاصة أن يتكلم وينقل الأصوات، لتحقيق مثل هذا الخيال العلمي يتم استخدام نوع خاص من البولمرات يحضر بطريقة خاصة لينتج منه تيار كهربائي عندما يطبق عليه ضغط خارجي وهو ما يعرف بخاصية الـ Piezoelectric. بهذه الحيلة العلمية يصبح غير الممكن ممكنًا، إذ كل ما هو مطلوب عمله هو تشكيل رقاقة صغيرة من هذا البلاستيك توضع في اللاقط الصوتي (الميكروفون) ومن ثم ذبذبات الصوت تتسبب في إيقاع ضغط وجهد على البلاستيك ينتج منه



تيار كهربائي يحول ويترجم إلى صوت مسموع. من ألطف استخدامات هذا الشريط البلاستيكي (غير استخداماته التجسسية والتنصتية البغيضة) أنه يمكن أن يشكل على هيئة جهاز مراقبة يثبت بالقرب من الطفل الرضيع النائم ليصدر صوت إنذار إذا توقف الطفل لعلة ما عن التنفس، ولهذا الامر استخداماته الجليلة. ولا سيما في المستشفيات والحضانات. بصورة مشابهة بعض أنواع البلاستيك يمكنها إصدار تيار كهربائي، لكن إذا تعرضت للحرارة فيما يعرف هذه المرة بخاصية Pyroelectlic، فيمكن استخدام هذه الحساسات الحرارية في الاستجابة للأشعة تحت الحمراء المنبعثة من جسم الإنسان مما يوفر كاشفًا أمنيًا وعسكريًا لا تخفى أهميته.

الكيمياء تقدماً وازدهاراً وتنوعاً. فالمنتجات البلاستيكية الذكية آخذة في التزايد والتعقيد، فعلى سبيل المثال تم تطوير ما يسمى البلاستيك الذاتي التصليح إذ يقوم هذا البلاستيك بتصليح ومعالجة نفسه عند حدوث شقوق أو فراغات في بنيته. فعند تعرضه للإجهاد أوالحرارة تتكسر داخله كبسولات صغيرة جداً تحتوي على كمية زائدة من الـ monomer الأصلي، وكذلك على العوامل الحافزة، وعندما تمتزج هذه المواد يبدأ تفاعل البلمرة بشكل تلقائي ليقوم بلحم الشقوق المتكونة وإغلاقها. أنواع أخرى من البولمرات الذكية تستطيع وبشكل ذاتي تغيير شكلها وخواصها الميكانيكية بمجرد تسليط جهد كهربائي عليها، وبهذا بإمكانها أخذ الشكل المطلوب تكوينه أوما يعرف بـ self-moulding حيث يستطيع البولمر الذكي تذكر الوضع

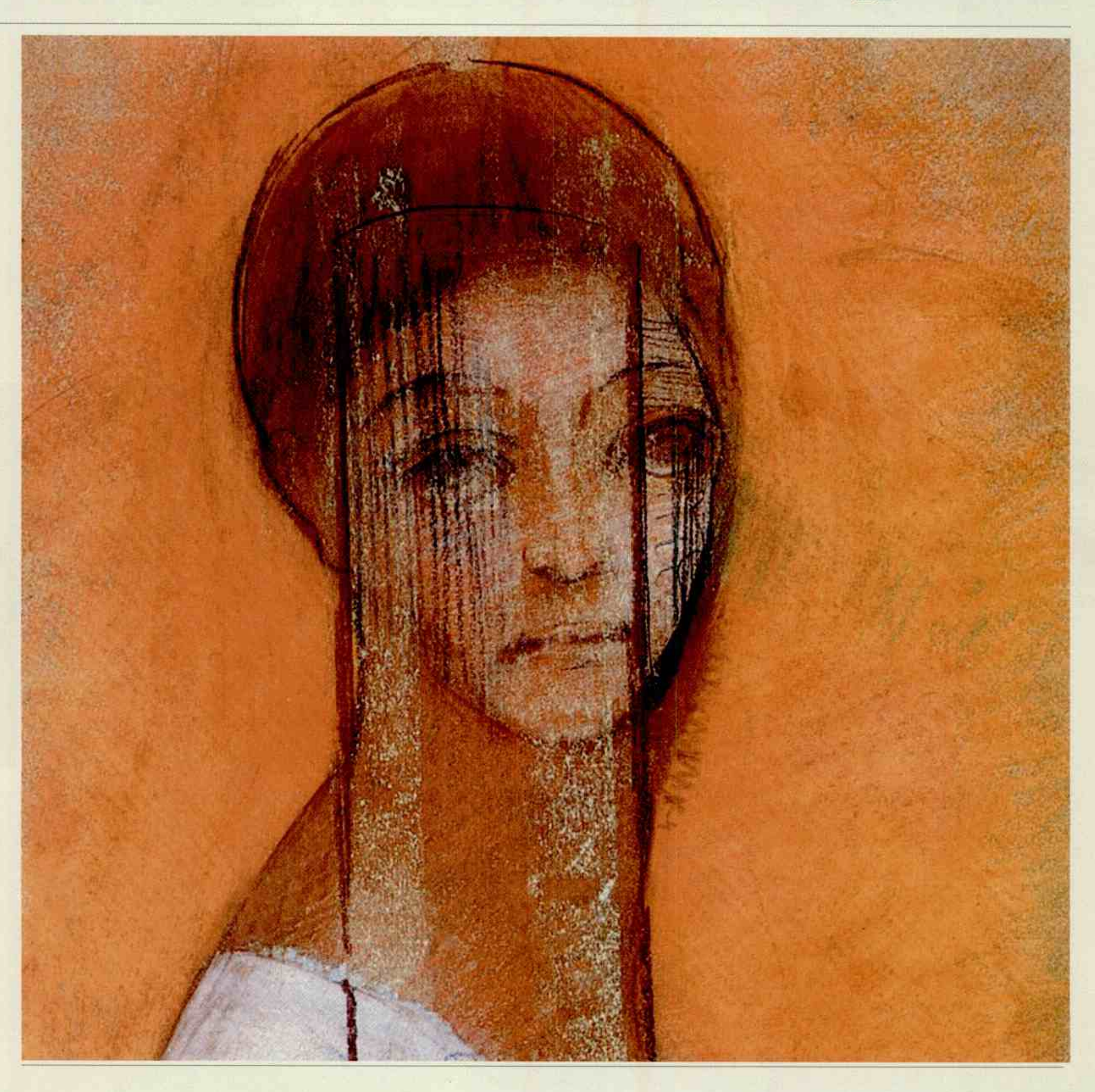


أعاجيب البلاستيك المستقبلية آخذة في التشكل

على الرغم من حداثة عمر البلاستيك الذي يزيد قليلا على نصف قرن إلا أن البلاستيك اختصر مرحلة الفتوة والصبا لعمره الزمني بصورة غير مسبوقة في دنيا العلوم. يمكن تمثيل ذلك بحصول طفرة جينية هائلة نقلت البلاستيك من البدايات الخجولة لمركبات Polyethene البدائية نسبياً إلى عجائب البلاستيك التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق. المبهر حقاً أن التطور مازال مستمرًا بزخم وحيوية غير معهودين، فالأبحاث العلمية منذ عدة عقود متسارعة لتجعل علم البولمرات واحدًا من أكثر أفرع

الذي يجب أن يتشكل فيه. وأخيراً الأبحاث ما زالت مستمرة على قدم وساق لتحسين استخدام هذه البولمرات كوسائط لحفظ المعلومات الرقمية مما ينبئ بمستقبل زاهر لها في تصنيع الحاسبات الآلية. وختاما إذا أخذنا في الحسبان ما تمت الإشارة إليه فإننا لا نرجم بالغيب إذا قلنا: إن الألفية الثالثة سوف تعرف في سجل التاريخ (إذا كتب الله للحضارة الحالية الاستمرار) بالعصر البلاستيكي تخليداً لمادة كيماوية جديدة بالانتساب إليها غيرت هيئة عالمنا المعيش وملامحه، كما لم تفعل أي مادة كيميائية أخرى من قبل.

المليحــــات داخـ



ـــل الألـــوان

محمد العيد الخطراوي

المدينة المنورة ـ السعودية

أوحى إلينا بهذا العنوان مجموعة من المقطوعات الشعرية اللطيفة التي اجتمعت على معارضة مليحة الملاح. وهي قول الدارمي (قل للمليحة..)

وقصة هذه المقطوعة المكونة من بيتين كما أوردها صاحب الأغاني (٤٥/٣)، أن تاجرًا من أهل الكوفة قدم المدينة بأخمرة نسائية، فباعها كلها، وبقيت السود منها لم تنفق، وكان صديقًا للدارمي المغني الشاعر، المشهور بين أهل مكة بالظرف، فشكا إليه ذلك الكساد الذي أصاب مسافعه السود، لعله يجد له سبيلاً لإنفادها وكان الدارمي قد تنسك وترك الغناء وقول الشعر، ولكنه إزاء إلحاح صديقه هداه تفكيره إلى القيام بعمل إعلان شعري غنائي للخمر، حتى يتم بيعها وإقبال النساء عليها، ثم يعود إلى تنسكه الذي كان عليه، فقال:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعت بزاهد متعبد؟
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى في البيتين صوتًا رائعًا شاع في الناس أمره، فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خمارًا أسود، حتى نفد كل ما عند العراقي منها .. ورجع الدارمي إلى نسكه.

وإذا كان البيتان قد اجتذبا قلوب النساء للشراء، فقد لقيا رواجًا عند أصحاب الإعلانات، وأكدا عمليًا كيفية التآخي بين النشاط الأدبي والنشاط الاقتصادي، كما أثار هذان البيتان إعجاب الشعراء في الأجيال اللاحقة فقاموا بمعارضتهما بغية المماثلة أو التفوق عليهما مغيرين في الألوان بما يتناسب مع أذواقهم، أو بما تقترحه إحدى الملاح، أو مبقين على اللون الأسود نفسه.

الخمار الأكحل

وكان كشاجم الشاعر(هو أبو الفتح محمود بن الحسين، شاعر عباسي، كان يجمع بين الكتابة والشعر، وله عدة مصنفات، توفي سنة ٣٦٠هـ. قالوا: وكشاجم لقبه، وهو منحوت من علوم كان يتقنها، الكاف ترمز للكتابة، والشين للشعر، والألف للإنشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق) ممن أبقوا على اللون الأسود، غير أنه دعاه أكحل، فقال:

قل للمليحة في الخمار الأكحل
كالشمس من خلل الغمام المنجلي
بحياة حسنك أحسني، وبحق من
جعل الجمال عليك وقفا: أجملي ..!!
لا تقبلي قول الوشاة، فإنني
لم أصغ فيك إلى مقال العذّل
إني أعيذك أن يكدر آخرٌ
بمقالة الواشين صفوَ الأوّل

ولا يشترط في المعارضة ـ كما هو معروف ـ عدد الأبيات، بل الاتفاق في الوزن والروي والموضوع، وقد توافر كل ذلك لكشاجم.

الخمار المذهب

وقد كان للون الأصفر مكان الصدارة بين الخمر الشعرية، ففي الوافي الوفايات للصفدي، في ترجمة الباقلاني المؤدب (هو محمد بن عبدالملك بن محمد، كان معلمًا للصبيان) قوله:

قل للمليحة في الخمار المُذْهَب
ذهب الزمانُ وحبكمْ لم يَذهبِ
وجمعت بين المُذْهَبينِ، فلم يكن
للحسن في ذهبيهما من مَذْهب
نور الخمار ونور وجهك نزهة
عجبًا لخدك كيف لم يتلهّب ..!!
وإذا بدت عين لتسرق نظرة
قال الجمال لها: اذهبي لا تذهبي

وفي الأبيات قدرة بديعية مكنته من المجانسة بين الألفاظ، واستغل الدلالات المختلفة لكلمة (ذهب) أحسن استغلال. مما يشهد له بالشاعرية: (لا تذهبي: لا تهلكي).

وفي اليتيمة (٣٤٦/٢) لأبي علي المحسن بن القاضي التنوخي مع تغيير بسيط في البيتين يجعلهما أقرب من النص الأصلي، وذلك على النحو التالي:

قل للمليحة في الخمار المذهب
أفسدت نسك أخي التقي المترهّب

الخمار المشمشي

وفي اللون الأصفر، من شعراء اليتيمة (٣٧٢/٢) أيضًا، نجد للشاعر عبدالله الحامدي (نسبة إلى قرية حامدة، من أعمال واسط) قوله:

قل للمليحة في الخمار المشمشي
كم ذا الدلالُ، عدمتِ كلَّ محرِّش
يامن غدا قلبي كنرجس طرفها
في الحب، لا صاحٍ، ولا هو منتش
هذا الربيع بصحن قدك قد بدا
لمقبَّلٍ، ومعضَّضٍ، ومُخمَّش
فمتى أبيتُ معانقا لبهاره
ولوَرْده المستأنس المتوحش

إنه بالطبع في صفرة غير صفرة الذهب، ففي المشمش إيماءة إلى شيء من الحمرة، فدرجة الصفرة أجمل وأروع، وأليق بالحسناوات، لكن الحامد أخفق كل الاخفاق في معارضته من البيت الأول، إذ جمال بيت الدارمي يتمثل في رجوع الراهب عن هداه بسبب جمال ذات الخمار، وانشغاله بها عن عبادته، ويتم هذا عند باب المسجد في خيار لا يحسد عليه، لكن الحامدي لم يتعرض لهذا الامتحان، بل انطلق من أول وهلة وراء صاحبته في شهوانية ظاهرة.

وحين ترجم المحبي في (نفحة الريحانة) للسيد محمد بن حيدر بن علي، ذكر أنه قام بمعارضة (قل للمليحة) فقال:

قُلْ للمليحةِ في القِناعِ العُصْفري
يا شمسُ ها شَفَقُ الشروقِ فأسْفِري
ولكِ الأمانُ من اللّحاظِ إذا ارتَمتْ
إن الشّعاعَ يصدُّ طَرْفَ المُبْصِرِ
أوَما اكْتفيتِ بوَرْدِ خدِّك رَوْضةً
عن رَوْضِ وَرْدِيِّ اللّباسِ المُزْهِرِ

إذا كانت الألوان التي اشتملت عليها المشاركات هي الأسود والأحمر، والأصفر والأزرق، فإن هذا لا يعني أنها أفضل الألوان أو أجملها، فلعل عشاق تلك الألوان لم يكونوا من الشعراء أو شعروا ولم تصل أشعارهم .. ربما..!



هذا القِناعُ سَما بفَرْقِك مَفْخَرًا
عن مِغْفَرٍ قد ضَمَّ هَامَةَ قَيْصَرِ
وخَطرْتِ في مَوْشيَّةٍ ذهبيّةٍ
قد جانسَتْكِ بَلوْنها في المَنْظَرِ
وبديعُ حُسنِكِ قد تناسَب عندما
راعَى نَظيرًا في المُحيَّا الأنْضَرِ
أرأيتِ حين خطَرْتِ في رَمْلِ الحِمَى
ما بين بَانِ لِوَى الكَثيبِ الأعْفَرِ
فتأوَّدتْ أغْصانُه وتستَّرتْ
بالأيْكِ من خَجَلٍ ولاتَ تستُّرِ!
كم أصْيَدٍ ملكَتْ يمينُك رِقَّهُ
فأتى إليك بذِلَّة المُستأسِرِ!
ما في الحِمَى إلاّ مَوالِي طاعةٍ
فتملَّكِي أو دَبِّري أو حرِّري

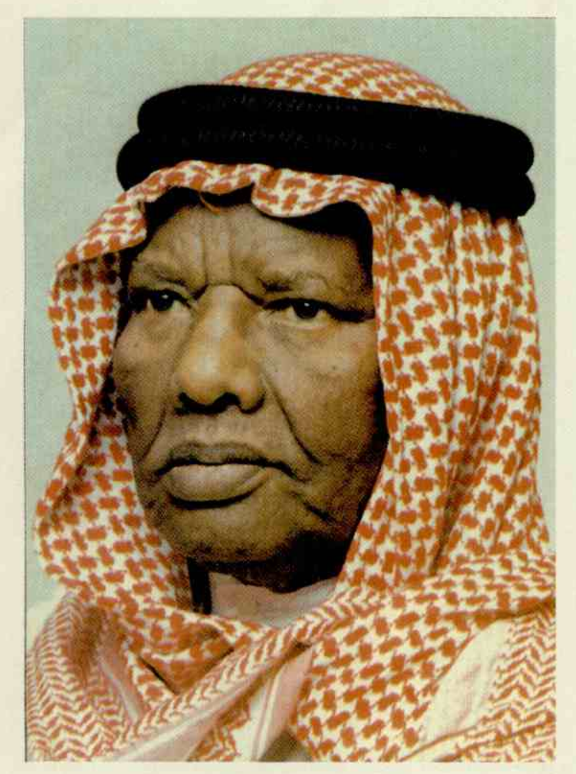
القناع بديلاً للخمار

عبر بالقناع، وهو غطاء الرأس تستعمله المرأة كالخمار. والعصفر: نبات يستخرج منه صبغ أحمر، يصبغ به الحرير ونحوه. فلون خمار صاحبته إذن أحمر. ونلحظ أنه خرج بمعارضته إلى نطاق القصيدة (عشرة أبيات)، كما أخلصها للغزل بعيدًا عن الأجواء الروحية التي تنجز الصراع، وتضفي على النص جلالاً من الرهبة والخشية.

ويختار ابن معصوم اللون الأطلس، وهو لون ما بين الأبيض والأسود (أغبر أسود)، يشبه لون الذئب وهو علي بن أحمد بن محمد معصوم، شيرازي الأصل، مكي المولد، من مؤلفاته (سلافة العصر في محاسن أعيان العصر) وله ديوان شعر، ولد سنة ٥٢١ هجرية وتوفي سنة ١١١٩هـ) فيقول:

قل للمليحة في القَباء الأطلس
أفسدتِ عقل أخي التقى المتقدّس
أوما كفاكِ لباسُ حسنك والبَها
حتى برزت لنا بأبهى ملبس
أخجلت ولدان الجنان وحورَها
وخطرتِ من أثوابها في سندس
إن كان لا يرضيك إلا فتنتي
فرضاكِ فرض ياحياة الأنفس
هذا محبك ناصبا أحشاءه
غرضًا لأسهم مقلتيك، فقَرْطِسي

(القَباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص، ويتمنطق


طاهر زمخشري

به، فهو غير الخمار، والجامع بينهما أن الخمار يتخمر به، والقباء يتمنطق به، فكلاهما مشتمل على غيره. قرطسي: أصيبي القرطاس، وهو ما ينصب غرضًا للرمي، يقال: رمى فقرطس أي فأصاب) وفي السندس وحور الجنان، والغرض ما يدل على أن الشاعر ذو علاقة بالجو الديني، وكذلك كان ابن معصوم.

القميص الأحمر

ونغادر مكة إلى الأحساء، لنلتقي بالشاعر الفقيه أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف الوهيبي التميمي، (ولد في الأحساء وتوفي فيها سنة ١٢٨٥هـ، وتولى قضاء هامدة، له ديوان شعر في المديح وعدة منظومات في التوحيد على مقتضى العقيدة السلفية، وهو يتغزل ولا يرى حرجًا فيما يفعل فيقول:

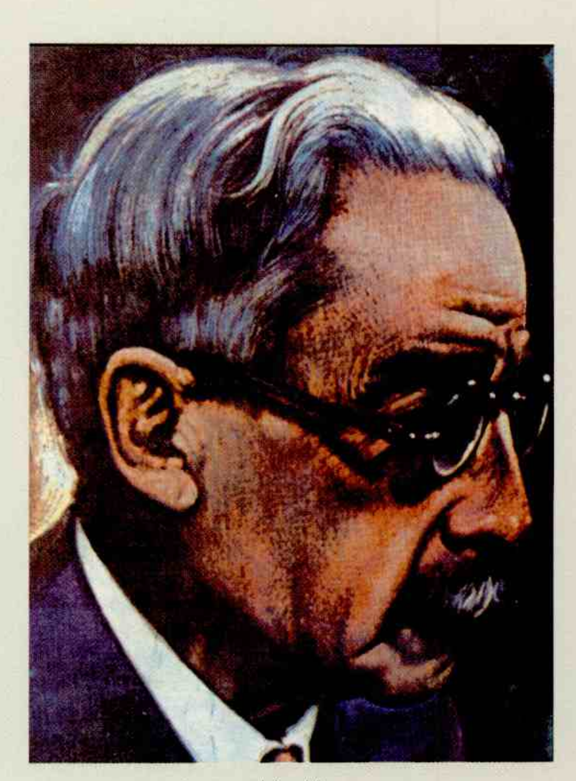
قل للمليحة في القميص الأحمر
ماذا فعلت بعابد مستبصر
ما زال يدأبُ في العبادة طالبا
للعلم، غير مفرّط ومقصّر
ترك الصبابة للصِّبا متسليًا؟
عن ذكر كل غزالة أو جؤذر
حتى وضعتِ عن محيّاك الغطا
فانجاب عن بدر منير مقمر
ونشرت فرعًا مثل ليل فاحم
لولا مجاورة الصباح المسفر
فدهشتُ من ذاك الجمال وحسنه
ووقفتُ وِقفة مولَع متحيّر
حسنٌ به شُغِف الفؤادُ، وهاج لي
شجنًا، فقلَّ تجلدي وتصبري
سقْتِ إلى الجسم السقام وراءه
من ذاك أطراف السقيم الأحور

ماذا يريد الشيخ؟ هل عرضت له مليحة بالفعل؟ أليس بشرًا مثل الآخرين؟ ولم لا يكون كذلك؟ ولكن الأبيات توحي بأن الشيخ يجرب شاعريته، ويقيسها ببعض النماذج الشهيرة، فالموقف لا يعدو باب المعارضة الشعرية، ولكن سمات شعر العلماء تطل من الأبيات، ولا ننسى أن في اختياره اللون الأحمر أمرًا مثيرًا في حاجة إلى طرح سؤال، وبالتأكيد ليس اللون الأحمر مما يخص

لعل أبرز فارق بين صاحبة الرداء البنفسجي وصاحبة الرداء الأحمر هو أن الأولى تكتسب من اللون بهاء وحسنا. والثانية هي التي تضفي البهاء والحسن على ما حولها من أجواء وأشياء.

كما أن في الخمر حشمة ووقارًا، وعنوانًا وانتماءً، فإن فيها احتفاظًا بسمات جمالية فالجمال الوقور مطلوب في الحسناوات

العلماء وحدهم، بل هو في الحقيقة مثير للجميع، وكم لونوا المناسبات الحلوة بالأنوار الحمراء والستائر الحمراء، وهي ليست صاحبة خمار، بل هي ذات قميص أحمر، وذلك أدعى للإثارة، إن الشيخ يصف من داخل البيت، بينما الأصل يصف من خارج البيت، فالفارق بينهما كبير وكبير جدًا.



خليل مطران

الخمار الأحمر

وفي معجم البلدان يورد ياقوت الحموي من شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان قوله:

قل للمليحة في الخمار الأحمر
لا تجهري بدمائنا وتستري
مُكِّنتِ من حب القلوب ولاية
فملكتِها بتعسف وتجبر
إن تنصفي فلك القلوب رعية
أو تمنعي حقًا فمن ذا يجتري؟
سخّرتني وسحرتني بنوافث
فترفقي بمسخَّر ومسحَّر

وشاعر معاصر آخر يهزه اللون الأحمر، وهو الشاعر اللبناني المهجري إلياس بن عبدالله بن طعمة، (ولد بقرية الحمراء في المتن بلبنان سنة ١٣٠٣هـ وتوفي سنة ١٣٦٠هـ، من مؤلفاته أحاديث المجد والوجد، وديوان شعر بعنوان: (قصائد ابن طعمة). قال:

قل للمليحة في الحرير الأحمر
ماذا فعلت بشاعر متكبر؟
قد كان يرعى النجم في فلك العلا
واليوم يرعى منك عشق الجوهر
إن كان وجهك جنتين لمغرَم
فهبي لحرِّ النار بَرْد الكوثر
الحسن سلطان، وأنت مليكُه
فاقتْ بمُلك الحبِّ ربةَ تدمُر
فإذا رأيت من المُحِبِّ تذللاً
بالله ياحسناء لا تتكبري
الشعر من لغة الملائك فاعلمي
منه شعور العاشق المتحسر
إن كنت لا تَعْدِين قولي يافتى
صبرًا، فإن الفوز للمتصبر

إن المليحة عنده ليست بذات خمار، بل هي ترتدي


من الخمار إلى القناع والرداء

ثيابًا حريرية حمرًا، تؤثر في بها على شاعر متعال على الحسان، فالفارق كبير بين مليحة الأصل وبين مليحة المهجر، ويبدو أن التمسك عند الجميع إنما انصب على المطلع وهو (قل للمليحة)، غير أن كل واحد منهم عنده ما يقول لصاحبته.

والخمار كان معروفًا منذ الجاهلية، إلا أنه جرت عادة النساء الجاهليات - كما ذكر الجمل نقلا عن أبي السعود في تفسيره - أن يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها، فأمرهن الله هنا أي في سورة النور، بإرسال خمرهن على جيوبهن، سترًا لما يبدو منها، قال تعالى ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ النور:١٣، قال في الجلالين: أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع، ولا يبدين زينتهن الخفية، وهي ما عدا الوجه والكفين، ومعنى ﴿وليضربن﴾ يلقين، فهو فعل لازم مضمن معني فعل آخر معدى بحرف الجر على، فالمعنى: يلقين خمرهن على جيوبهن.

وكما أن في الخمر حشمة ووقارًا، وعنوانًا وانتماءً، فإن فيها احتفاظًا بسمات جمالية وقور، فالجمال الوقور مطلوب في الحسناوات، يقول أبو فراس الحمداني:

وقورٌ وريعانُ الصبا يستفزها
وتأرن أحيانًا كما يأْرن المهر

الخمار الأزرق

وهذه السمات هي التي أثارت الدارمي وأثارتني حين كتبت قصيدتي (ذات الخمار الأزرق) المنشورة في ديوان(همسات في أذن الليل)، التي مطلعها:

ذات الخمار الأزرق
رفقًا بصب عاشق
عصف الهوى بفؤاده
منذ اللقاء المشرق

كما تشعلقتُ على بيتي الدارمي فقلت حينها:

قل للمليحة في الخمار الأزرق
ماذا فعلت بناسك مستغرق
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بكل تأنق
قد ضاع منه صلاته وصيامه
وأصبت منه براءة القلب التقي
فمضى يصفق للّقا متزودًا
من نور وجهك، فاسفري، وتدفقي

وفي جميع الأحوال يظل للسابق فضل على اللاحق، وحسب بيتي الدارمي أو مقطوعته أنها حركت ملكات هؤلاء الشعراء الذين ذكرناهم وربما غيرهم أيضًا، وبعثتهم على محاولة للاحتذاء ودفعتهم إلى الإبداع، وهي بهذا تدخل ضمن تلك المجموعة من القصائد الفاعلة أو المحركة، التي يعمد الشعراء إلى معارضتها، مثل بردة البوصيري ولامية كعب بن زهير.

وإذا كانت الألوان التي اشتملت عليها المشاركات هي الأسود والأحمر، والأصفر والأزرق، فإن هذا لا يعني أنها أفضل الألوان أو أجملها، فلعل عشاق تلك الألوان لم يكونوا من الشعراء أو شعروا ولم تصل أشعارهم .. ربما ..!!

ويبدو أن أحدهم كان يسمع الأمر المتكرر: (قل للمليحة) فاستجاب للأمر، فقال لها قولا يعيبها، وعبارات تستحييها، وتجعلنا نتعاطف معه أو معها، قال صاحبنا:

ولقد قلتُ للمليحة يومًا

أسعفيني بضمة أو (صوت الشم)

بعد أن كنتُ قد أشرتُ إليها

وهي في الطاق، يا مليحة (صوت القبلة)

فأشارت بلهجة الضحك قالت:

يا لَهذا الجريء ويحك، (صوت شهقة)

مذّ يئست الوصال، قلت لجحشي

هيا نمشي، فقال جحشي (صوت النهيق)

وتذكرني هذه الأبيات بزملائي في أسرة الوادي المبارك بالمدينة المنورة عندما كنا شبابًا، أو كالشباب، فقد كنا نرددها ونتردد عليها، ونتداخل معها في مثارات أدبية ومدارات شعرية كثيرة حول الشعر والشعراء، في لقاءات مباركة حول وادي العتيق المبارك، غفر الله للأموات منهم وحفظ لنا بقيتهم الباقية. آمين.

أثار بيتا الدارمي إعجاب الشعراء في الأجيال اللاحقة فقاموا بمعارضتهما بغية المماثلة أو التفوق عليهما مغيرين في الألوان بما يتناسب مع أذواقهم، أو بما تقترحه إحدى الملاح، أو مبقين على اللون الأسود نفسه

ويقول الشريف المرتضى (الشهاب ص٨٣) لمليحته شيئًا آخر، إنه شيء يتصل بالمشيب، وهو يؤكد لها أنه لا تناقض بين التصابي والمشيب، ففي الكأس بقية تستعصي على المشيب، فيقول:

ولقد قلت للمليحة والرأ

س بصبغ الشيب ظلمًا: خضيب

لا تَريه مجانبا للتصابي

ليس بدْعا صبابةٌ ومشيب

وعلى كل حال فهي دعوى من الشاعر، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وتظل الملاح تنفر من الشيب، وتعرض عمن ابيضّ رأسه دون تمييز بين شيب الهموم وشيب السنين، ودون تفريق بين شيب مستعجل وآخر آت في أوانه، وياما في السجن من مظاليم ..!!.

اللون البنفسجي

ومن خارج إطار المعارضات، وبعيدًا عن الخمار وجو النسك نلتقي بمليحة الشاعر السعودي طاهر زمخشري داخل برواز لوحة من اللون البنفسجي، في قصيدة بعنوان (ذات الرداء البنفسجي) (مجموعة الخضراء ص ٥٣)، قسمها إلى ثلاثة مقاطع، يقول في المقطع الأول:

القومُ الرشيق بالهمسة الحلـ

ـوة فاضت من الشفاه الرقاق

أسكرتْني وما علمتُ بأن الـ

ـلفظ أضحى مصايد العشاق

حين قالت: أهَلْ تشبب بالحسـ

ـن ؟ وكان الحديث بالأحداق

فإذا بالصدى المغرد في سمـ

ـعي لهيبٌ يضج في أعماقي

ويبدو أن أحداق صاحبته التي أجرت بها الحديث

معه، كانت حولاء، ولذلك أدخلت همزة الاستفهام على هل الاستفهامية، وذلك غير جائز عربية. ولا أثر في المقطع البنفسجي أو غيره في رسم اللوحة، وإنما تعلق بالقوام والكلام، وقد كان رد الفعل لهيبًا مشتعلا في أعماقه، يعبر عن جوع سمِّه إن شئت جنسيًا أو عاطفيًا.

وفي المقطع الثاني يقول:

داعب التيهُ خطوها، فإذا الأل

حان والعطر والسنا في سباق

والرداءُ البنفسجيُّ التعابيـ

ـر يرينا مفاتن الإشراق

وعلى زندها تميس البشاشا

ت، ويلهو الإغراء بالعشاق

كلما أتلعَتْ من الطَّرف جيدا

أرسلت بالجفون لحن التلاقي

وقد تجلت في هذا المقطع شاعرية الزمخشري في رومانسيتها الحالمة فرسمت ريشته مقاطع من لوحة رائعة يمثل كل بيت فيها خطًّا حالما من خطوطها ولونًا ساحرًا من ألوانها، فتحس بروعة الشعر، وروعة البنفسج وروعة الرداء.. !!

ثم بزواج في المقطع الأخير، وهو من بيتين، بين هي وهو فيقول:

فهي قيثار كل غنوة حبٍّ

صاغها ذوب قلبي الخفاق

وهو منها على الطريق صريع

يتلوَّى بلوعة المشتاق

ونلحظ أن ضمير الغيبة يسود القصيدة كلها، ويسيطر على عباراتها، فهو لا يؤثر مواجهة صاحبته أمام قرائه أو هو ربما لا يقوى على ذلك، وإنما هو يجلها ويستعظمها، فبغيبها، ليتحرر من سلطانها، فيمكنه بعد ذلك أن يتكلم وأن يعبر، وأن يقول، وقد عبّر وقال، وسقط بعد ذلك صريعًا يتلوّى على قارعة الطريق ضحية الحب والشوق.

الرداء الأحمر

ثم نلتقي معه مرة أخرى في قصيدة هي أيضًا من الذوات، ولكنها تحمل لونًا آخر هو اللون الأحمر، وذلك في (مجموعة النيل ص ٥١٧) وقد قسم القصيدة إلى مقطعين، قال في المقطع الأول، ومن بحر الخفيف أيضًا:

من خيوط الأصيل في مغزل الفتـ

ـنة حاكت لها المحاسنُ ثوبا

وعلى نسجه المورَّد طاقا

تٌ شذاها الفواحُ يختال سحبا

وبأفوافه الفتونُ بشاشا

تٌ تهادت دلالاً وعُجْبا

ويفيض الصفاء منها ابتساما

تٌ صداها يشع في الأفق شهبا

إنه يتحدث عن ذات الرداء الأحمر، ولا يناديها، ويبدو أنها الشمس عند المغيب، فهي التي يخيط لها الأصيل ما يخيط، وتغزل لها الفتنة ما تغزل، وهي التي يتحول صدى ابتساماتها إلى نجوم وكواكب تنتشر على صفحة السماء مع بدايات الليل، والشفقُ الأحمر يحتضن بقايا أشعة الشمس، ليسعد بجمالها الفاتن، أو هي صورة يرسمها خيال الشاعر على الأفق النشوان في لحظات الغروب بأنامل الفن الخالد وريشة الإبداع الأبدي القابس من بحر اللانهاية ونبض المستحيل. نعم إنها في الحالين هي من هيبتها في رداء، وهي في لونها

في جميع الأحوال يظل للسابق فضل على اللاحق، وحسب بيتي الدارمي أو مقطوعته أنها حركت ملكات الشعراء وبعثتهم على محاولة للاحتذاء ودفعتهم إلى الإبداع

الأحمر تتيه على النظراء.

وفي المقطع الثاني يقول جامعًا بينها وبين العطر في درب واحد، والإغراء والأغاريد تتبع خطوها كالأميرات والملكات، إنها حالة رومانسية ينشده لها الحالمون أحلام اليقظة فتندلق أحلامهم على واقعهم فإذا هم يطربون ويرقصون:

وتهادت به يسابقها العطـ
ـر، ويمتد للمفاتن دربا
وضحوك السنا يموج به الإغـ
ـراء في طرفها، فيرُقِص هُدبا
وعلى خطوها تميس الأغاريـ
ـدُ، فتذكي بين الجوانح حبا



تعددت الألوان بتعدد الشعراء

ومعاني الجمال في طرفها النا
عس سلّم يقيم للصبّ حربا
فيغطّي الشغاف بالنظرة العجـ
لى ليصطاد وقعها من (تصدى)

وتتعلق القلوب بها فتدعوها لتعود، ولكنها تتأبى في دلال، وتمضي للمغيب في حياء العذارى الحالمات لتفسح المجال لطلوع القمر، وانتشار سدائل الليل، فتتجلى أمام الشاعر من خلال هذا الموقف معاني الحياء والعفاف، والدلال، والطهر حتى ليتمنى أن يراها إمامه عذراء ماتعة بكل ما فيها من جمال وطهر، واقعًا معيشًا أو طيف خيال:

والصبابات في الخوالج تد
عوها، ولكنّ دلالُها يتأبّى
ويواري حياؤها طلعة البد
ر، ويرخي سود الغدائر حُجْبا
وأراني الضياءُ يعبث بالأهـ
ـواء من أهيف تخطّر وثبا
كلما أخفت الجوانح أشجا
ني ترامَى الأنين شرقا وغربا
وتمنيتُ أن تلوح ولو طيـ
ـفًا فألقَى رضا وأسعد قربا

ولعل أبرز فارق بين صاحبة الرداء البنفسجي وصاحبة الرداء الأحمر هو أن الأولى تكتسب من اللون بهاء وحسنا، والثانية هي التي تضفي البهاء والحسن على ما حولها من أجواء وأشياء، على أن النصين يتفقان في اعتماد ضمير الغائب مرتكزًا لبناء الجملة، كأنما الشاعر يجد في ذلك الغائب ملجأً وملاذًا.

افتقار أم احتكار؟

ويستهويه اللون الوردي أيضًا فيكتب تحت: (الرداء الوردي) (مجموعة الخضراء ص ١٢٠) أربعة أبيات بلغته

المعهودة ومفرداته التي يكررها كثيرًا، وتلازمه في كل أشعاره الرومانسية التي أعطته قدرة على سرعة كتابة الشعر بمرايا مختلفة وعنوانات متعددة، ولكنها تمتح جميعًا من معين واحد لا يكاد يختلف، ولنستمع إليه يقول:

في أصيل من نسج نَوْر ونُور

قد تهادت جذابة التعبير

وعلى العطف قد ترنح دَلٌّ

هزَّ إغراؤه عميق الشعور

والبشاشات نائهًا لفتاتٌ

تسكب اللحن بالفتون المثير

وبهمس الجفون راحت تغني

ونديُّ الصدَى عبيرُ الزهور

لاحظ: (الأصيل - النور - تهادت - التعبير - العطف - الدلال - الإغراء - البشاشات - اللحن - الفتون - همس الجفون - الزهور - إلخ) هي الألفاظ نفسها المترددة هنا وهناك، ماذا يعني هذا؟ هل هو من الشاعر افتقار؟ أو هو احتكار؟ لست أدري، إلا أنها ظاهرة واضحة في شعر الزمخشري ونظرائه من شعراء الرومانسية أمثال محمد حسن فقي ومحمد هاشم رشيد، إنهم يعيشون على بحيرة صاخبة من هذه الألفاظ الشفافة الرائعة، التي لا تكاد تغادر شفافيتها إلا لتضمحل وتذوب. ولاحظ أيضًا أن القصائد الثلاث من بحر الخفيف.

معاناة عنيفة

ونختم بلقاء مع الشاعر السعودي أيضًا يحيى توفيق حسن - المجموعة الشعرية الكاملة - ص ٥٧ - في قصيدة بعنوان: (ذات الرداء الفستقي)، وهو يكتبها «بالدال» وفق وقعها الخاص في نفسه متابعة للهجة إخواننا المصريين، ولأنه كتب قصيدته إجابة للشاعر الليبي راشد الزبير السنوسي، الذي أهدى إليه قصيدته(الرداء الفسدقي) عام ١٩٦٢م. قال الشاعر: وهي على نفس الروي والبحر.

قلت: نحن إذن أمام معارضة لا نملك فيها النص الأول، وكم كنا نتمنى لو أثبت شاعرنا يحيى توفيق نص زميله، ليمنحنا فرصة الموازنة بين النصين، والاستمتاع بقراءتهما معًا، فيقول:

ياعاشقا ذات الرداء الفسدقي

ومتيمًا بهوى الشباب الريّق

ذكّرتني ليلاي والحبّ الذي

أودي بأحلامي، وشيَّب مفرقي

ذكّرتني ليلَ الصبابة والجوى

والآهُ تفضَح لوعتي وتشوقي

ذكّرتني سهدي وأوهام الرؤى

ووجيتَ قلبي بالشجا المتدفق

لقد ذكره صاحبه هموم نفسه على حد قول البحتري:

ذكرتنيهم الخطوب التوالي

ولقد تُذْكِر الخطوب وتنسي

ويبدو أن معاناته كانت عنيفة وشديدة، تشيب لها المفارق، وتتفجر الآهات، ولهذا تكرر الفعل (ذكرتني) ثلاث مرات متوالية، نحس معها تهدج صوت الشاعر،

أكد بيتا الدارمي عمليًا كيفية التآخي بين النشاط الأدبي والنشاط الاقتصادي. كما أثار هذان البيتان إعجاب الشعراء في الأجيال اللاحقة فقاموا بمعارضتهما بغية المماثلة أو التفوق عليهما مغيرين في الألوان بما يتناسب مع أذواقهم

وتوالي أنفاسه كمدًا وحسرة. وينطلق يحيى توفيق في بث شكواه وآلامه فيقول:

فلئن سقتكَ الصاب حينَ علقْتَها

وعرفت آلام الغرام المحرقِ

فلقد سقتني حين همْتُ بحبها

ذوب الشجا بغرورها المتأنق

أضنت فؤادي بالصدود، وبالجفا

حتى ذوى مني شبابي الريق

ولم يفطن الشاعر وهو في غمرة معاناته وقوعه في خطأ نحوي نتج عنه في القافية حيث أصيبت بالإقواء، فشبابي فاعل ذوى، والريق صفة مرفوعة، والروي قاف مكسورة، ولعل الشاعر أراد أن يقنعنا أنه منفعل إلى درجة أنه كسر لديه وصف المرفوع .. ربما !! ولنواصل معه الرحلة:

فرحلت ألتمس النجاة من الهوى

وأغيب عن صهد الغرام المورق

وظننت أن البعد يطفىء لوعتي

ويذيب أشجاني ويأسي المغرقِ

عامين في شوق قضيت، وفي جوى

ثم ارتحلت إلى الهوى كالموثَق

وتذكرك الأبيات السابقة برحلة خليل مطران إلى

الخمار كان معروفًا منذ الجاهلية، إلا أنه جرت عادة النساء الجاهليات أن يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها . فأمرهن الله بإرسال خمرهن على جيوبهن، سترًا لما يبدو منها

الإسكندرية في قصيدة (المساء) طلبًا للاستشفاء، وهي أسجاف ضئيلة على حال.

ووجدتها في مثل ما ودعتها

تحتال في صلف الصبا المتألق

وتميس في حسن تجلى وصفه

عن فكر أرباب اليراع المعْرِق

ولمحتها يوم اعتمرنا في (الصفا)

ترنو إليَّ برنوة المتشوّق

تغتال قلبي بالعيون غريرة

تهوَى التسلي في قلوب العشَّق

وفجأة يظهر حاجز آخر بينه وبين صاحبته لا يمكن تخطيه، وهو فارق السن، وكم جنى الشيب على المحبين .. !!

ولهذا نجد الشاعر يعترف لصاحبه ويدين بهذا المذهب فيقول:

يا صاحبي كلَفُ الصبايا ممتع

قبل المشيب، وبعده لا تعشق

ولكم أصاب الحب قلبا زاهدا

فأحاله من زاهد لمرهّق ..؟؟

وأعاده دنفا يَطيش بلبه

لجج الهوى، فيعيش عيش الأحمق

فاسلم بقلبك يا رفيقي، والتمس

نسيان صاحبة الرداء الفسدقي ..!!

ويمكن أن نصنف هذه القصيدة في الشيبيات التي ابتدأنا الكتابة عنها، بدلا من أن نكتبها هنا في اللونيات ولكن الملاح في كل واد سابحات وفي كل درب ذاهبات آيبات، والشعراء من ورائهن في كل يهيمون، لكل جميل يعشقون، ويقولون مع الآخر:

ما أضيع اليوم الذي مرّ بي

من غير أن أهوى وأن أعشقا

تعقيب على نوادر التوحيدي

كان هذا المقال ممتعًا، وزاد في متعته الإخراج الفني المصاحب له، وأن كاتبه كان مستوعبًا لموضوعه وأكثر ما كتب حوله؛ بدليل ما أورده في الهوامش من مراجع. وأظن أن موضوعًا تراثيًا كهذا كان ينبغي أن تدقَّق ألفاظه ومراجعه، حتى يكون قريبًا من الكمال. وهذه ملاحظات هينات لا تقلل من شأنه:

ص ٣٠ س١٢ والمحلفين في السؤال. صوابه: الملحفين (بتقديم اللام).

ص ٣٥ س ١٤: لأن كلام يؤخرهم: صوابه: لأن الكلام.

ص ٣٥ س ١٧: وقبلاً على شأنك. صوابه: ومقبلاً.

ص ٣٥ س ٢٥ يا يشبهني. صوابه: ما يشهّيني.

ص ٣٥ س ٢٧ ـ ٢٨ «ونفهم من هذا النص أن هناك صنفًا من الطعام هو السكرجة».

ونقول: إن السكرجة ليست طعامًا بل هي وعاء.

ص ٣٩ س ١١: يصيب وما يدري ويخطي وما يدري. صوابه: وما درى.

ص ٤٠ س ٤ ع١: ويعشق بعض المهالب. صوابه: المهالبة.

ص ٤٠ ع ٢: يذكر الكاتب أن كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون حُقق من قبل د. مي أحمد يوسف. وفي الهامش (٧٥) يكرر ذلك. وأنه ـ الكتاب ـ صدر أخيرًا عن دار العين للدراسات بالقاهرة ١٩٩٦م.

ونقول: إن هذا الكتاب حققه د. محمد عبدالقادر أحمد، وصدر من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة عام ١٩٧٦م. فما موقع (أخيرًا) هنا؟. هل ظل حبيس الخزائن حتى أخرجته هذه السيدة؟



أما عبارة (حُقق من قبل...) فصوابها: حققته، فقط، ولا لزوم لبناء الفعل للمجهول، فالفاعل معروف. بعد ذلك اسم الناشر (عين للدراسات).

ص ٤١ ع ١: لم أفهم النادرة المنسوبة للزهري. وربما لم أكن ذكيًا أصلاً، وربما حدث خطأ في النقل جعلها غير مفهومة.

ص ٤١ ع ٢: بتغير حرف السين، صوابه: بتغيير.

ص ٤٢ ع ١ س٣: لم يحر منه جوابًا، صوابه: فيه.

ص ٤٢ ع ٢ س٤: يا أبا حرزة. صوابه: يا أبا حزرة (بتقديم الزاي).

أما في المراجع والهوامش فقد جاء سهوًا في هـ (٥) و (٨) مرجع سابق. في حين أن عنوانًا لم يذكر للكاتب عبدالله أبو هيف. وقد جاء الاسم خطأ (عبدالملك) في هـ (٥).

هـ (١٠) ابن منصور. صوابه: ابن منظور.

هـ (٢٦) نشره أحمد أمين وأحمد صقر. صوابه: السيد أحمد صقر، والسيد هو اسمه وأحمد اسم أبيه.

هـ (٥٧) أحمد خصخوصي: الحمق والجنون في التراث العربي... ط١ بيروت ١٩٩٣م.. أقول صواب اسم المؤلف: الخصخوصي. أما الطبعة فلابد أن تكون الثانية؛ لأن الأولى صدرت آخر الثمانينيات عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

هـ (٦٠) تحقيق محمد عبدالسلام هارون. الصواب بتقديم عبدالسلام.

هـ (٦٣) ابن حبيب: عقلاء المجانين... إلخ: الصواب محمد بن حبيب النيسابوري، لأن هناك أكثر من مؤلف بهذه التسمية منهم صاحب المحبّر.

هـ (٧٢) (عن أخبار الأذكياء بتحقيق الخولي) أنه (د.م) القاهرة ١٩٧٠م. والصواب: أن له ناشرًا هي الهيئة العامة للتأليف والنشر.

هـ (٨٠) يكرر الكاتب الحوار بين بثينة وعبدالملك، في

حين ليس فيه تغيير يذكر في متن المقالة.

سقطت الألف من دون مناسبة في بداية الهوامش ١٠، ٣٣، ٣٤، ٦٢، ٧٥

والحمد لله أولاً وآخرًا.

د. عباس علي السوسوة

أستاذ علم اللغة الحديث

جامعة تعز

التحرير:

لقد التزمت المجلة ما جاء في أصل المقال المرسل من الكاتب، ونحن إذ نشكر لك هذا الإسهام والاهتمام بالرد والتعقيب بغية توضيح ماغمض أو الإضافة بما يغني موضوع المقال، نقدم اعتذارنا عن بعض الأخطاء الطباعية البسيطة، ونشير إلى أن الموضوع نشر في العدد (٣٢٨) وليس (٣١٨) كما أوردت في رسالتك.

لماذا استخدام كلمات أجنبية دخيلة؟

بصفتي قارئًا دؤوبًا، دائم الحرص على قراءة مجلّتنا مجلّة الفيصل، يسعدني المشاركة في إثراء المعارف في العالم العربي والمجتمع الدّولي الناطق بالعربية، وهو الدّور الرّئيس الذي اضطلعت به مجلّة الفيصل منذ تأسيسها. لقد باتت لغة الضّاد في عصرنا هذا ترزح تحت وطأة اللّغات الغربية في نوع من اغتصاب فكرنا والهيمنة على ثقافتنا التي ما فتئت تثري الثقافات العالمية حتّى عصور ليست ببعيدة. وكان هذا الحافز الرّئيس الذي دفعني إلى الإسهام بهذا التعليق حول الأسباب التي آلت بها إلى هذا المستوى، فوجدتها - كما يبدو في كتابات كثيرة - تعاني الاضطراب والخلط جرّاء لا مبالاة بعض من يكتبون في توظيف الكلمات، حيث إني لأعجب لبعضهم كيف تُسوّل لهم أنفسهم إلزاق كلمات أجنبية دخيلة في مقالاتهم، كأن يُقال برستانة Prostate وسُمّيت المُوثَة، أو البنكرياس Pancreas عوض المُعْثَكَلَة أو المِعْقَد، أو الهربس Herpes عوض الحلا، أو الجلوكوما Glaucoma عوض الزَّرَق أو البُخَاق، أو الإكزمة Eczema عوض النَّمْلَة، أو الدّسنطاريا Dysentery عوض الزُّحَار، أو الأورطى Aorta عوض الأبْهَر أو النِّيَاط، أو الدّفتيريا Diphtheria عوض الخُنَاق، أو الكروموسوم Chromosome عوض الصِّبْغيَّة، أو البكتيريا Bacteria عوض الجُرْثُومَة، أو البلهرسيا Bilharzias عوض دَاء المُنْشَقَّات، أو الهيموغلوبين Haemoglobin عوض اليُحْمُور، أو الفيروس Virus عوض الحُمَة، أو البيولوجيا Biology عوض علْم الأحْيَاء، أو السّيكلوجيا Psychology عوض علْم النَّفْس أو النَّفْسيّة (حسب معنى المصطلح الأجنبيّ) أو الكمبيوتر Computer عوض الحَاسُوب، أو الباص Bus عوض الحَافلَة، أو الرّوبوط Robot عوض الإنْسَاليّ، أو كأن يقال جمل ذو سنامين عوض اليَعْلُول أو الفَالج أو القِرْمِل أو الدَّهامج، أو كأن يخلط بين البَبْر والنَّمِر (فالنّمر أرقط والببر له خطوط سوداء مستعرضة على فروته فيطلق على الببر نمرا) ... فكان من الواجب علينا أن نقطع هذه الحلقة المفرغة التي جعلت اللّغات الغربيّة تنهش لغتنا العربيّة شيئًا فشيئًا في عقر دارها، وذلك بترجمة العلوم بشتّى أنواعها وتوفير المقالات العلميّة بلحن العرب ولسان القرآن الكريم، غير أنّ التّرجمة تتطلّب منّا الإلمام بثلاثة ميادين، الميدان الأول هو العلم الّذي يحوي موضوع التّرجمة، والميدان الثاني هو اللّغة الأصليّة للموضوع (مع الإلمام بجميع القواعد النحوية والصّرفية والبلاغية وكيفية اشتقاق المصطلحات وتركيبها)، ومن هذا المنطلق كان سعيي في تعلّم اللّغات وإتقانها (حيث إني أجيد الفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة والإيطاليّة)، أما الميدان الثالث فهو لغة الموضوع المترجم وهي اللّغة العربية بالنّسبة إلينا، ومن هنا جعلني بحثي في إتقان اللّغة العربيّة أنظر في المخطوطات العربية إلى الجُمَل كيف رُكّبت وإلى التّعابير كيف نُظمت وإلى المصطلحات كيف اشتُقّت ...

فيصل أخي

تونس - تونس

التحرير:

يسعدنا أن تشارك بالكتابة على صفحات المجلة، وسيجد مقالكم المعنون الشقيقة طريقه إلى النشر في حالة إجازته، ولما عبرت رسالتكم عن حرص على اللغة العربية رأينا نشرها في هذا الباب، كما أنها قد تثير نقاشًا حول ترجمة العلوم وتعريب المصطلحات الأجنبية.



لمجيئك وردا

زكريا مصّاص
حلب – سورية

بانتظارك ..
حين تعودين سِرْبٌ من الطير يرسم في الأفق دارةَ رقصِ البيَاض
ويهزج بالضوء والتوق والرقة المشرفة ..
بانتظارك ..
حين تعودين غيمٌ تردَّد حينًا ليُلقي على جنبات المدى باختلاجاته
رغبة بعيونكِ
لكنَّ أفقًا حكيمًا أعاد إليه المسافة تلوَ المسافةِ
ثمَّ احتواه لحين من البرق
يحمل خطوَكِ قوسُ قزحْ
بانتظارك ..
كوخٌ من الورد والشوق يومض ليلاً
توا فيه حورٌ
تزفّ على مزهر النهر أنشودةً
تؤنس الزرقةُ الكامنةْ
في شوارد روح هنا واهنةْ
بانتظارك ..
طاف الحمام، ورام على سدرة الأفق حَبَّ الحصيد تسكَّع تحت
نجوم تطلُّ بترياقها
المؤتلقْ
بانتظارك .. هذا المدَى
مترفٌ بالنجوم
متحفٌ بالكرومْ
تغيم بأفيائها الخضْر تهدي الغيومَ إلى بيتها الأزرق الشرفات
تعيد إلى صرخة التائهين بريقَ اليقين.
سلامًا..
على وقتِكِ الحاضرِ الغائبِ
وسلامًا عليكِ عليَّ أضمُّكِ بين ذراعَيْ حنينٍ وطرفِ تلاقٍ
وبين حكايا الطافِ وغمْرِ اشتياق
سلامًا على كرمِكِ الخافقِ الظلِّ أسْلِمُهُ يديَ الهاتفةْ
وعلى روحِكِ الضامّة الورد في سلة الضوء
أشعل كلَّ أحاسيسيَ الخائفةْ ..
فانطفئ يا ظلام
أهلَّ عليَّ ضياءَ الغياب
أنا ؟! أنصفتُ شوقيَ حين غيابكِ عن مفردات الصباح
وعن أغنيات المساء
تخذتُ لنا أيكةً من كتاب اللقاء
يتفتّح في دمنا حبقٌ وبنفسج حرفٍ مغمورٍ
وجرارُ تشوّقنا تغدق الكائناتِ
ترانيمَ لا تصفع الواردين
ولا تسفح الهيمَ ذات رجاءٍ
بآنيةٍ من شراب
سلامًا ..
على ليلَكِ الروح أنذر باقةَ أنفاسيَ العابقةْ
لمجيءٍ به تتوسم أشجارُ روحي انتهاضًا
يهزّ الرغابَ العطاش
ويُسْكِنُ خضرتَها القلقةْ
سلامًا .. سلام
لمجيئك وردًا
يحرِّك هذا الحفيفَ من الضوء
في رعشات انتظار وخفْق صدى ..
فليمدَّ البنفسجُ أطيابَهُ
من يديك المدمّستين بماء البياض
وليصافحْ بصدري
حريرَ الغمامْ
وقتُك الغائبُ المشتهى
جوقةٌ في طيور الشفقْ
وأغان
ترشّ المدَى بالخزامْ

جئت كالحلم وكالحلم أمضي

سعود بن سليمان اليوسف

الرياض ـ السعودية

جاءني الصبحُ مُشْرِقَ القَسَماتِ
يتهادى في سَجْسَجِ النَّسَماتِ
وأتتني ذُكاءُ ترفلُ خَجْلى
في شعاع محمرَّةَ الوجناتِ
تتهادى حوليَ الطبيعةُ موجًا
من جمال معطَّرِ النَّبَضاتِ
وأنا مُرْتَمٍ بحضن خيالي
شاعرًا عاشقًا طبيعةَ ذاتي
بشعوري رسمتُ نَفْحَ ارتياحي
وبه قد زرعتُ نورَ حياتي
إن ذوى حوليَ الربيعُ كئيبًا
فبشعري ألبستُه البَسَماتِ
أقطف الشعرَ من دوالي فؤادي
قافزَ الوزن هامسَ النَّبَراتِ
فإذا ما استنشقْتَ عطرَ الهوى فيـ
ـه فهذا يا قارئي بَصَماتي
مرسِلٌ للغد المُؤمَّلِ طيرًا
غيرَ مُعطٍ للأمس أيَّ التفاتِ
والتغنّي بالنفس أقصى طموحي
وكَفانِيَ أنّ الطيورَ رُواتي
يُبحر الحلمُ من مرافئَ قلبي
لشفاهي لأرسمَ الضَّحِكاتِ
ذكرياتي غدِي، سيورق عمري
بخيال مجنِّح الخُطُواتِ
جئتُ كالحلم مُرهفًا وسأمضي
بعدُ كالحلم مترفًا بصِفاتي
لم يَرُعْني سوى يَراعيَ شيءٌ
فيَراعي أقلُّ منه دواتي
وشعوري إذا تضوّعَ أنهـ
ـرًا من البَوْحِ أجدبَتْ كَلِماتي





رسائل وأغنيات صغيرة

عبدالله السمطي

الرياض ـ السعودية

رسائل للشمس

... وسواحلُ الكلمات سَرْجُ أصابعي

ودمي صهيلُ الموج خلف مدادِ

فإذا كتبتُ فغيّبُ قلبي في يدي

يُعطي الصبا إشراقةَ الآمادِ

وإذا كتمتُ فللحقيقةِ موعدٌ

يخبو ويسطعُ في ضمير بلادي

وإذا شردْتُ فللنجومِ تأمّلٌ

وإذا غفوتُ فما لها من حادِ

ماذا سأفعلُ والشموسُ رسائلي

وجميعُ ما أعطيه حبرُ فؤادي؟

سقف الرؤى

بي رغبةٌ من ضحى تعلو وتنتشرُ

سقفُ الرؤى ماؤها إذ يعطشُ الضجرُ

وبي حدائقُ من غيب يؤرقني

حضورهُ ربما في الدمع تزدهرُ

هذي الحرائق من في الصدر أشعلها

هل يطفئُ البحرُ بي ما سوف يستعرُ

كلمات

يضيئني صوتُها في عتمة السفرِ

كأنه من دنى صيغتْ من القمرِ

يضيئني كلما في داخلي رصدتْ

غاياتُه سبلي واستوطنتْ قدري

من بحّة هطلتْ طار الغمامُ إلى

حقول قلبي وحطّ البرقُ في الثمرِ

ومن خرير الشفاه الحرفُ موّسقني

فمن رأى كلمات العشق في وترٍ؟

يا صوتها وأنا في آهتي ضجرٌ

هل ذابَ مغتربٌ قبلي من الضجرِ؟

ماذا أفعل بها؟

الشهقات التي سأزرعُها

حديقةً في جوار مخدعها:

الشهقات التي سأقطفها

حين أرى الورد تحت أدمعها

تلاوة

خبأتُ قلبي في الحدائق ربما

تتلو الزهورُ على الخدود جراحها

تعريف ليس للشهرة

دمي معشبٌ بالحنين إلى أي

شيء يعيد إلى بلادي

سيجرحني لو رآني أدل الـ

حرائق منكسرًا كالرمادِ

ويفرشُ أوردة في طريقي

لكي يطأ البرق خطر القتادِ

دمي أبجدية أمسي، حصار

غدي.. وبقاياي عند البعاد

تشكل من مائه النيل والرعـ

د والكلمات وفطر السهادِ

تهذيب ليلي

يا ليل يا مشجب الأيام هذبني

خريرُ عتمتك العالي وأجراني

جداولاً من صبا.. فالكون في بصري

بصيرة والمدى باب لعنواني

لذا.. تهيأ أمام الروح.. ضع شفةً

كموجة يقتفيها رملنا الداني

يا ليل.. يا من لنا تمشي على قمرٍ

خطاك، ضع نجمةً تحدو ببستاني

رؤيا ليست للتأويل

سحبٌ تطوّفُ حول قلبي صوتها

فكأنه المعنى الذي يتأولُ

أصغيتُ للمطر الذي إيقاعه

كالنبض في وترٍ يخبُّ ويهطلُ

في صوتها حلم البراري وارتعا

ش الدمع في وجنات ريح ترحلُ

درجٌ من الرؤيا يطل كنغمة

حينًا سأصعدُ ثم حينا أنزلُ

البحة السمراء صاعدة بذا

ـ كرتي فهل حبر الضحى يتأملُ

يا صوتها خشخش بجسمي دلني

كيف الحدائق في الجوانح تُغزلُ

العبارة أوسع

جرحي صغيرٌ والضحى يتوجعُ

أبكل مأساة أنا لي مطلعُ؟

صافحتُ صوتي من بعيد كي أرى

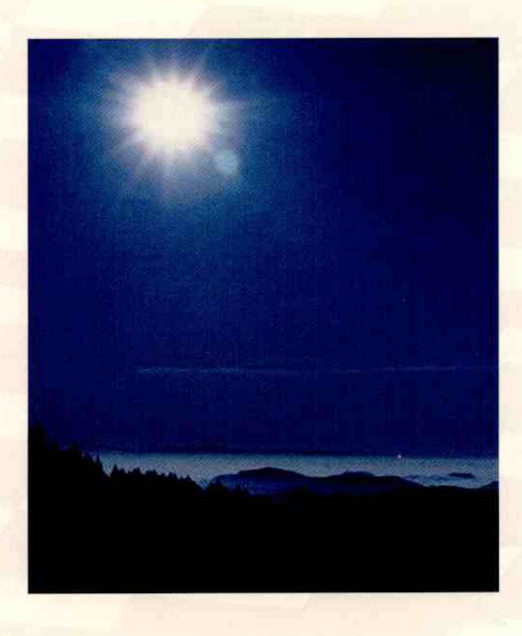
كيف الظلال وراء حبري تسطعُ

وكتبتُ بحرًا من بكاء داخلي

فإذا رأت روحي طلولي تدمعُ

جرحي صغير إنما سأقول: إن

الكون أضيقُ والعبارة أوسعُ





عدوان وصديقان

تيم أوبريان

ترجمة: كامل يوسف حسين

دبي ـ الإمارات

عدوان

ذات صباح، في أواخر يوليو، بينما كنا منطلقين في دورية بمنطقة جيتور، وهي منطقة للإنزال في حرب فيتنام، نشب شجار بين ديف جينسن ولي سترنك تبادلا خلاله الكلمات. وكان ذلك بسبب شيء لا قيمة له، هو مطواة مفقودة، ولكن على الرغم من ذلك فقد كان الشجار ضاريًا. ولبعض الوقت استمر سجالاً، لكن ديف جينسن كان أضخم وأقوى كثيرًا، وبالفعل لف ذراعًا حول عنق سترنك. وأجبره على الارتماء على الأرض، وواصل توجيه اللكمات إلى أنفه. راح يلطمه بقوة، ولم يتوقف عن ذلك. صدر صوت انكسار حادٍ عن أنف سترنك، كصوت مفرقعة نارية، ولكن حتى عندئذ واصل جينسن لطمه مرارًا وتكرارًا؛ موجهًا إليه لكمات سريعة ومتصلبة، أصابت هدفها. واقتضى الأمر تدخل ثلاثة منا لإبعاده. وعندما انتهى الشجار، اضطررنا إلى نقل سترنك بالمروحية إلى الخطوط الخلفية، حيث عولج أنفه، وبعد يومين عاود الالتحاق بصفوفنا وقد استقر على أنفه جبيرة معدنية وكثير من الشاش الطبي.

في أي ظروف أخرى، ربما كان الأمر من شأنه أن ينتهي عند هذا الحد، لكن تلك كانت فيتنام، والرجال يحملون البنادق، وقد بدأ القلق يساور ديف جينسن. وكان الأمر غالبًا مجرد أفكار تدور في رأسه، فلم تطلق تهديدات، ولم يكن هناك قسم على الانتقام، وإنما ساد توتر صامت بينهما جعل جينسن يتخذ احتياطات خاصة، فقد حرص في الدوريات على معرفة مكان وجود سترنك، وكان يحفر حفرة المناوشة الخاصة به عند الطرف البعيد للمد الخارجي، وحرص على التلفت خلفه، وتجنب المواقف التي يمكن أن تضمهما معًا بلا ثالث لهما. وبالفعل بعد أسبوع من هذا كله بدأ التوتر يثير مشكلة، ، فلم يكن بوسع جينسن الاسترخاء، وقال إن الأمر يشبه خوض حربين مختلفين، فما من مكان آمن، والأعداء في كل مكان، ولم تعد هناك مقدمة للاشتباكات ولا خطوط خلفية. وفي الليل كان يواجه صعوبات في النوم، فثمة شعور يجعله يجفل، ويلزم الحذر على الدوام، حيث تتناهى إليه ضجة غريبة في الظلام، ويتخيل قنبلة يدوية تسقط في حفرة المناوشة الخاصة به، أو دغدغة خنجر لأذنه، واختفى بالنسبة إليه الفاصل بين الأخيار والأشرار، ولم يعد السلام يعرف طريقًا إلى نفسه. وحتى في أوقات السلامة النسبية، وبينما كانت بقيتنا لا تكترث كثيرًا لما يجري، كان جينسن يجلس مستندًا إلى جدار حجري، وقد وضع سلاحه على ركبتيه، ومضى يرمق لي سترنك بعينين نزقتين، عصبيتين، ووصل الأمر إلى حد فقد معه سيطرته أخيرًا، ولا بد أن شيئًا قد انكسر في أعماقه، فذات أصيل بدأ في إطلاق نيران سلاحه في الهواء، صارخًا باسم سترنك، ولم يفعل شيئًا إلا إطلاق النار والصراخ، ولم يتوقف عن ذلك إلا بعد أن أطلق النيران من مشط ذخيرة بكامله، ارتمينا جميعًا على الأرض. ولم يجرؤ أحد على الدنو منه، وشرع في إعادة تلقيم سلاحه بالذخيرة، ولكنه عندئذ اقتعد الأرض، وأحاط رأسه بذراعيه، ولم يحر حراكًا. وعلى امتداد ساعتين أو ثلاث ساعات جلس هناك على هذا النحو فحسب.

لكن ذلك لم يكن الجزء الملغز في الأمر. لأنه في وقت

متأخر من تلك الليلة نفسها استعار مسدسًا، وأحكم قبضته على ماسورته، واستخدمه كالمطرقة ليكسر أنفه.

في وقت لاحق عبر الخط الخارجي للموقع إلى حفرة المناوشة الخاصة بسترنك. أطلعه على ما كان قد فعله، وسأله عما إذا كانا قد تعادلا.

أومأ سترنك برأسه موافقًا، وقال: يقينًا، لقد تعادلنا، لكن في الصباح لم يستطع سترنك الكف عن الضحك. قال: «الرجل مجنون. لقد سرقتُ مطواته اللعينة!».

صديقان

لم يصبح ديف جينسن ولي سترنك صديقين من فورهما، ولكنهما تعلما أن يثق أحدهما بالآخر. وعلى امتداد الشهر التالي غالبًا ما كانا يشكلان فريقًا في الكمائن، وغطى أحدهما الآخر خلال القيام بالدوريات، وتقاسما حفرة مناوشة واحدة، وتناوبا نوبات الحراسة ليلاً. وفي أواخر أغسطس/آب تحالفا على أنه إذا مني أحدهما بالخسران الوبيل - أي إذا أصيب بجرح يلزمه المقعد المتحرك باقي عمره - فإن الآخر سيجد على نحو تلقائي سبيلاً لإنهاء الأمر. وبقدر ما يمكنني قوله، فقد كانا جارين. وكتبا ما تحالفا عليه في ورقة، ووقعاها، وطلبا من اثنين من الشباب أن يكونا شاهدين على ما تضمنته. وبعد ذلك، في شهر أكتوبر، دهس لي سترنك على قذيفة هاون ملفوفة، فأطاحت بساقه اليمنى حتى الركبة، وأفلح في أن يخطو نصف خطوة مرتبكة، كأنها وثبة لأعلى، ثم مال جانبًا، وسقط متهاويًا. قال: «آه، اللعنة!». ولبعض الوقت واصل القول: «اللعنة! آه، اللعنة!» كما لو كان أحد أصابع قدمه قد ارتطم بشيء، ثم استبد به الخوف. حاول أن ينهض ويعدو، لكنه لم يكن قد بقي شيء ليعدو عليه. وسقط متهالكًا. كان ما بقي من ساقه اليمنى ينتفض ألمًا. كان هناك نثار من العظم، ومضى الدم يشخب في دفقات سريعة، مثلما ماء تضخه طلمبة. بدا مذهولاً، ومد يده إلى أسفل كأنما ليدلك ساقه التي أطيح بها، ثم غاب عن الوعي. ثبت رات كايلي ضاغطًا لوقف النزيف، وحقنه بالمورفين، وأمده بالبلازما.

لم يكن هناك الكثير مما يمكن أن يقوم به أحد، باستثناء انتظار القيام بإخلائه. وبعد أن قمنا بتأمين منطقة إنزال، مضى ديف جينسن وانحنى إلى جانب سترنك. وكانت بقية الساق قد كفت عن النبض ألمًا الآن. كان التساؤل قد ثار لبعض الوقت عما إذا كان سترنك لايزال على قيد الحياة، ولكنه عندئذ فتح عينيه، وتطلع إلى ديف جينسن. قال: «آه» يا ألله!».

أصدر أنينًا، حاول الانزلاق بعيدًا، وقال: «يا ألله، يا رجل، لا تقتلني!»

قال: جينسن: «استرح!».

بدا لي سترنك منزعجًا ومضطربًا. رقد ساكنًا لمدة ثانية، ثم أشار إلى ساقه: «حقًا، إنها ليست سيئة للغاية، ليس على نحو فظيع. حقًا، يمكنهم خياطتها في موضعها مجددًا، حقًا».

- صحيح، أراهن أنهم يمكنهم القيام بذلك.

- أتعتقد هذا؟

- بالتأكيد، أعتقد ذلك.

عبس سترنك في مواجهة السماء. غاب عن الوعي مجددًا، ثم أفاق، وقال: لا تقتلني!».

قال جينسن: «لن أفعل ذلك»

- إنني جاد.

- بالتأكيد.

ولكن عليك أن تعدني. أقسم لي.. أقسم أنك لن تقتلني.

أومأ جينسن موافقًا، وقال: أقسم! وبعد قليل حملنا سترنك إلى مروحية الإخلاء. مدّ جينسن يده، ولمس الساق السليمة. قال: «الآن، امض قدمًا!». في وقت لاحق ،سمعنا أن سترنك مات في موضع ما قرب تشولاي، الأمر الذي بدا أنه قد أراح ديف جينسن من عبء هائل أثقل كاهله.



الجـــــــدران

طارق عبدالرحمن شما

نيويورك ــ أمريكا

قطعة حمراء، هي كل ما تبقى من قالب كبير تأكل جزء منه بفعل الاستخدام وبقي أكثر من نصفه سليماً وإن كان مغطىً بالخدوش والغبار. التقطها عن الأرض وأخذ يتأملها بدهشة. ما الذي يأتي بقطعة طباشير إلى فناء السجن؟ من يحتاج إليها؟ ومن يمكن أن يستخدمها في هذا المكان؟ هل هناك تلاميذ مثلاً؟! أم أن هناك من يتعلمون باستخدام سبورة؟! التقطها وأخذ يقلبها في يده وينفض عنها الغبار، ثم بلل أصبعه بلعابه وأخذ يمسحها بعناية حتى بان لونها الأحمر المشرق، وبدا مظهرها مبهجاً في كآبة الصباح الشتائي البارد. عاد ينظر فيها ويقلبها بين يديه قبل أن يضعها بعناية في جيب قميصه العلوي. من يدري، لعلها تنفع يوماً في شيء ما.

وضع يديه في جيبيه وراح يمشي بخطوات متثاقلة وهو يغالب النعاس والكآبة، واتجه إلى إحدى البقع المشمسة حيث تجمع الآخرون بعيونهم الذابلة والمتعبة، وكلهم صامتون ينظرون إلى داخلهم ووجوههم خالية من أي تعابير. من يرغب بالكلام في الساعة الخامسة صباحاً بمعدة خاوية وذهن تغلفه غشاوة نوم لم يكتمل؟ وحين أسند ظهره إلى الجدار ولملم أطرافه في أشعة الشمس الشاحبة، أحس بلذة الدفء وهو يسري في أوصاله، وتذكر أوقاتاً أخرى باردة وهانئة. تذكر استيقاظه للمدرسة في أيام الشتاء، رائحة الصباح الطازجة والأشياء من حوله وقد علتها هالة من الجدة والنضارة بعد سبات الليل الطويل، شوارع المدينة الهادئة وقد بدأت تدب فيها أول أنفاس الحياة في يوم جديد، رائحة الخبز الساخن وطعم الكعك المغموس بالحليب تداعب حواسه التي لم تكد تستيقظ بعد. تذكر ساحة المدرسة في الصباح الباكر، والدقائق القليلة قبل طابور الصباح وتحية العلم، يمضونها في كرة القدم إن كان الجو ملائماً، وإذا منعهم البرد بحثوا عن بقعة مشمسة يلتمسون فيها الدفء. كان بعض المدرسين يرونهم أحياناً فيعجبون لحضورهم في الصباح الباكر ويسألونهم بسخرية فيما إذا كان ذلك لمحبتهم للعلم وإقبالهم عليه.وابتسم ابتسامة باهتة ورفع بصره فتوقفت عيناه عند قمة الجدران العالية.

❖❖❖❖

في وحدة السجن لا شيء حقيقيًا إلا الوقت. يتكثف الزمن ويتصلد حتى يصير كياناً مجسداً ومحسوساً، ينتشر فيملأ فراغ الصمت والعزلة ويزاحم ذرات الهواء.كان سر النجاة بالنسبة إليه أن يتمكن من مواجهة الوقت، أن يحاول تطويعه والتأقلم معه. وشيئاً فشيئاً أخذ يتعلم كيف يجعل منه شيئاً مفهوماً ومألوفاً. وفي سبيل ذلك كان يحاول تنظيم الوقت وتقسيمه إلى فترات واضحة محددة، مستخدماً كل ما يتاح له من نقاط علام. تنتهي الفترة الأولى مثلاً حين يصل العمود القائم في نهاية الساحة إلى طرف البوابة الرئيسة، وتنتهي الثانية مع تغيير أول نوبة حراسة، وهكذا إلى أن يغيب آخر جزء من الشمس الغاربة وراء حافة الجدار لتبدأ المرحلة

الأخيرة، فيسود الظلام ويخيم صمت لا تعكره إلا خطوات الحرس وهمهماتهم، وأصوات متفرقة ترتفع بالغناء في محاولة لمعاندة الصمت، ويستمر بعضها بإصرار ومكابرة يتناقص تدريجياً، إلى أن يتلاشى ويغيب في العتمة. إلا أن هذا الوقت لم يحن بعد، ومازال هناك الكثير من الوقت قبل الغداء، والكثير من الوقت بعده إلى أن يأتي الليل. نهار كامل من الصمت والخواء!

أخذ يحدق في الجدار المواجه له برسومه



المبهمة. وخطرت له قطعة الطباشير فأخرجها من جيبه وأخذ يتلمسها بأصابعه، وحاول أن يتذكر آخر مرة استعمل فيها قطعة طباشير. وعاودته أيام المدرسة بحلوها ومرها، رفاقه وصخبهم، الدراسة والتهرب منها، المعلمون والمعلمات وكل منهم عالم قائم بذاته. كانت الصور تتوارد حية في ذهنه، إلا أنها جميعاً بدت غريبة وبعيدة على نحو ما، وكأنها حدثت لشخص آخر غيره لشدة ما تقلبت به الأيام!

كان الجدار مغطىً بكتابات ورسوم من كل الأشكال والألوان، خطوط متناثرة في كل مكان، معظمها متشابكة يتداخل بعضها مع بعضها الآخر. كانت بعض الكتابات واضحة ومقروءة، وبعضها أشبه بخطوط تلاميذ يتهجون كلماتهم الأولى، بخطوطها المتعثرة المرتجفة وأخطائها الإملائية الساذجة. كانت هناك رسوم أيضاً، معظمها بدائية خرقاء، نساء وأشجار وحيوانات وأشكال غريبة لايعرف ماذا قصد لها أن تكون. كما كانت هناك أشعار ركيكة وأمثال وحكم، بل ان أحدهم كتب آية قرآنية في إحدى الزوايا. غير أن معظم الكتابات كانت أسماء وتواريخ، سجلات دونها بعضهم لأسمائهم ومدنهم وقراهم، وأفكارهم وآمالهم، وأهاليهم وأصدقائهم ونسائهم. «عدنان الحمود» كتبت بحروف كبيرة متعرجة، وتحتها رسم لقلب تتوسطه كلمة «أمل». ترى من هو «ضبع الليل» هذا، ومن أين أتى بهذا الاسم المضحك؟ تخيله رجلاً ضخماً قوي البنية شرس الملامح والصوت، مجرمًا خطيرًا عديم الرحمة. إلا أنه ربما كان على العكس من ذلك، رجلاً هزيلاً، صغير الجسم ضعيف البنية، وأراد التعويض عن شعوره بالنقص بهذا اللقب الرنان. أخذ يفكر بعدنان الحمود، وحاول أن يتخيل شكله ومظهره. ترى ماذا يفعل الآن؟ ربما يكون في سجن آخر، وربما قد يكون قد أعدم مثلاً. ولعله يكون



حراً طليقاً، قد عاد إلى بلده وأهله. ومن هي أمل هذه؟ زوجته أم خطيبته؟ أم الفتاة التي يحبها والتي انتظرته حتى عاد إليها من السجن؟ أو لم تنتظره وتزوجت غيره؟! ومن الممكن أنها لم تكن تبادله الحب، أو حتى لا تعرفه أصلاً، بينما يحبها هو بصمت. بل لعلها غير موجودة على الإطلاق، وما هي إلا من صنع خياله الذى ألهبته عزلة السجن. ترى من هذا الذي كتب الآية القرآنية، وكيف جاء إلى هنا، وما هو رأيه في الصور المرسومة على الجدران؟ أم أنها رسمت بعد رحيله؟

وأخذ يجول بعينيه وأفكاره في أرجاء المكان، وفجأة تكشفت أمامه عوالم غامضة غنية لم تكن تخطر له على بال. أحلام وآمال، وطموحات وأحزان، وتواريخ وذكريات تتداخل وتمتد عبر الجدران لتشكل وشائج خفية تتجاوز حدود الزمن وتربط بين كل من احتوته أرجاء هذا المكان. وأخذه العجب كيف لم يلاحظ كل ذلك من قبل. لقد كانت الجدران ماثلة أمامه صباح مساء، وكم من مرة نظر فيها إلى هذه الأشكال دون أن تعني له شيئاً، بل دون أن يراها أصلاً. كان قد اعتاد عليها حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من الجدران، لا تختلف في شيء عما يعلوها من خدوش وأوساخ. أما الآن فراح ينظر إليها وهو يفكر بماذا سيكتب.

❖❖❖❖

كان نومه عميقاً وهادئاً، كما لم ينم منذ زمن بعيد. وفي الليل رآهم جميعاً، مع أحلامهم وأفكارهم وآمالهم، وزوجاتهم وأطفالهم ونسائهم، جاؤوه عبر الجدران ليشاركوه وحدته ويملؤوا عليه فراغ الزنزانة الموحش. وحين اجتمعوا حوله وراحوا يحدثونه ويواسونه في وحدته، أحس بعزلته تتلاشى والبرد ينحسر من داخله، ورأى الجدران تتراجع وتتمحي لتنفتح من ورائها آفاق لا حدود لها، وعوالم مليئة بالدفء والضوء والحياة.

❖❖❖❖

كان يرى كل شيء يحدث من حوله وكأنه في حلم. كانت تمر به الأشياء وكأنها تقع في عالم آخر أو كأن ستاراً خفياً قد أطبق عليه من كل الجوانب وألقى بغشاوة كتيمة على حواسه.

كانوا يأخذونه من مكتب إلى آخر ومن إجراءات إلى غيرها وهو يتحرك بشكل آلي وكأن كل ذلك يجري لشخص آخر لا علاقة له به. وحين ختموا آخر الأوراق وقادوه في الممر الطويل المعتم غار قلبه في صدره، وأدرك حين سمع البوابة الحديدية وهي تغلق من ورائه أنه جاوز نقطة اللاعودة. وعندما وجد نفسه وحيداً في زنزانته خيم على روحه شعور العزلة المطلقة، ورأى نفسه وقد ألقي به فوق حافة العالم وقد أحاط به الفراغ من كل جانب. وأحس كمن ألقي به في قعر وادٍ سحيق وقد ارتفعت من حوله جدران شاهقة تفصله عن الدنيا بكل ما فيها.

كان يتطلع حواليه فترتد نظراته عن سقف واطئ وجدران عتيقة قاتمة متسخة بشتى أنواع الكتابات المتداخل بعضها مع بعض التي انتشرت على الجدران حتى غطت مساحة كبيرة منها. وكانت على تنوعها واختلافها مغطاة بغشاوة رقيقة من التقادم والإهمال كادت تحجب معالمها. هذا عدا بضعة خطوط حمراء بارزة بحداثتها ونضارة لونها. اقترب من الجدار وأخذ يتأملها. كانت جملاً قليلة متفرقة في عدة أماكن، إلا أنها مكتوبة بدقة وأناة، ربما لأن صاحبها أراد لها أن تسجل شيئاً قريباً إلى نفسه.

وأخذ يقلب نظره متأملاً الكتابات الأخرى المتناثرة على الجدران. كانت تسجل أسماء وتواريخ في أزمان مختلفة ولأشخاص مختلفين، وعواطف بسيطة



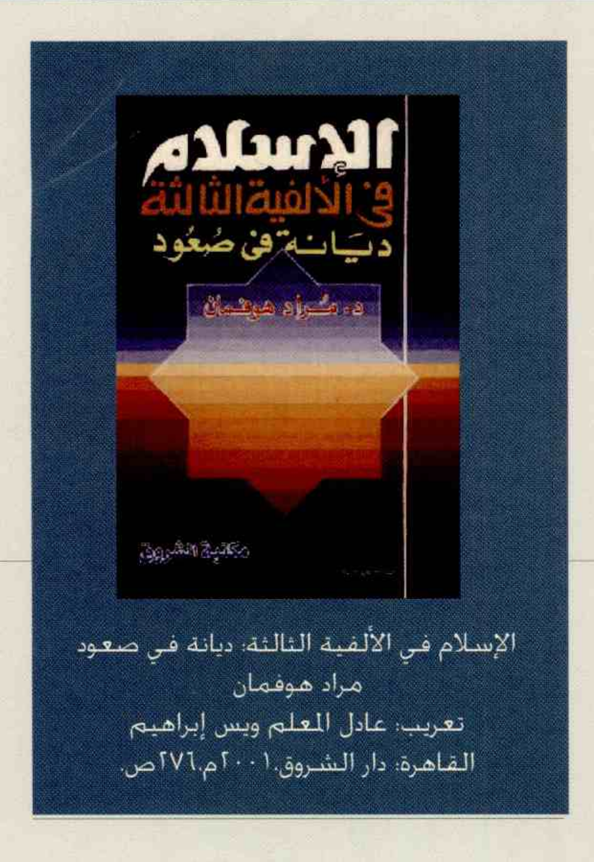
وساذجة، إلا أنها تعني لأصحابها الكثير. ترى ما الذي دفعهم إلى تسجيلها؟ ألمجرد البوح بما في أنفسهم؟ أم حتى يقرأها آخرون؟ وماذا تصوروا أن يعني ذلك لهم؟ وشيئاً فشيئاً أخذ يتشكل أمامه تاريخ غني متصل رأى نفسه جزءاً من حركته المستمرة، حلقة في سلسلة طويلة سبقه فيها بعضهم وسوف يتبعه آخرون غيرهم بوقائع يدونونها في أوقات مختلفة وبأشكال مختلفة، إلا أنه ينتظمها جميعاً خيط واحد خفي يشد بعضها إلى بعض ويجعل منها رباطاً قوياً من الإلفة والتواصل.كان صاحب الخطوط الحمراء الأخير في تلك السلسلة، إلا أنه فيما يبدو قال كل ما يريد قوله، أو أنه شاء أن يترك حيزاً صغيراً لمن يجيء بعده. ففي زاوية عند أسفل الحائط كانت هناك قطعة صغيرة من الطباشير الحمراء، هي ما تبقى مما استخدمه من أتى قبله. تناولها وأخذ يقلبها بين أصابعه. كانت صغيرة حقاً، إلا أن ما بقي منها يسمح بكتابة قدر لابأس به؛ وعلى الجدار بقيت مساحات تتسع للكثير.

وضع قطعة الطباشير بين السبابة والإبهام، وراح يفكر.

الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود

عبدالباقي أحمد خلف

الحسكة ـ سورية



الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود
مراد هوفمان
تعريب: عادل المعلم ويس إبراهيم
القاهرة: دار الشروق.٢٠٠١م،٢٧٦ص.

عنوان الكتاب باللغة الإنجليزية هو Islam in the third millenium - Rising religion و لم يُصنِّفه المؤلف مراد هوفمان بطريقة الأبواب والفصول، وإنما جعله موضوعات متفرقة تعدّ من أهم القضايا التي يتناولها الباحثون المهتمون بما بين الشرق والغرب من صلات وعقبات.

وقد سبقت «الفيصل» في عرض كتاب «رحلة إلى مكة» وهو من كتب المؤلف ونحن الآن بصدد عرض كتابه هذا الذي يُعدّ رائدًا في موضوعاته، مهمًا جدًا لدارسي العلاقة بين الشرق والغرب زاخرًا بالمعلومات التي حصل عليها المؤلف خلال رحلاته إلى الشرق وأنشطته العلمية ولقاءاته بأهل الفكر ورجال السياسة وخصوصًا أنه كان يعمل خبيرًا نوويًا في حلف الأطلنطي، كما أنه عمل سفيرًا لألمانيا في الجزائر ثم المغرب.

يحاول الكاتب أن يؤكد في المقدمة أن جميع الأنظمة المسيطرة على حياتنا ومجتمعاتنا تعاني الأزمات، ثم يذكر أن العالم كان في رعب هستيري وتخوف شديد من الألفية الجديدة، وكان هناك تأهب لما ستأتي به هذه الألفية من شرور ولكن سبقت هذه المخاوف بسنوات طويلة حالة غريبة انتابت المجتمعات الغربية وهي حالة اللامبالاة حيال الكوارث المتوقعة، هذه الحالة من اللامبالاة أرجعها المؤلف إلى شعور بالإحباط والانهزامية وليس إلى التفاؤل.

وفي الواقع كان هناك تخوف شديد ولا سيما في ليلة رأس السنة لعام ١٩٩٩م مع انتظار قدوم أول أيام عام ٢٠٠٠م، من احتمال وقوع حرب نووية بين الدول النووية أو ثقب الأوزون أو تكرار مأساة

تشرنوبل وزيادة حرارة الأرض.

هذا في الغرب أما في بلاد المسلمين فيذكر المؤلف أن المسلمين لم يستقبلوا الألفية الجديدة بالخوف أو تناول الخمور، ولكنهم استقبلوه بهدوء تام، ولم يكن كثير من المسلمين يهتم بتلك الليلة.

ثم يعوّل على عقيدة المسلمين في شخصيات التاريخ «وأن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها» كما ورد في الحديث الشريف.

ثم يذكر الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ويعارض بها مقولة لفرانسيس فوكوياما بأن نهاية التاريخ تلوح من خلال سيادة الحضارة الغربية وما تحمله من قيم ..

قرن اللاجئين

ويتساءل المؤلف قائلاً: أليس القرن المنصرم كان أكثر دموية في تاريخ البشرية بكل ما شهده العالم من حروب مدمرة، وانتشار أسلحة قادرة على إبادة الملايين من البشر، ومعسكرات الإبادة والتطهير العرقي؟!

بل إنه في نعيه القرن العشرين يسميه بقرن اللاجئين والمشرّدين. وكل هذا يشهده العالم بعد عصر التنوير في أوربا المتحضرة الشديدة الزهو بنفسها !!.

ويسأل بعده: هل تعاني المجتمعات الغربية مرضًا ما ؟

أما يتهددها خطر القوط الأخلاقي كما حدث للبلشفية من قبل؟

ثم يقرّر أن أي دارس معاصر لن ينكر تأثر العالم بما سيشهده الإسلام وما يؤثر فيه، فهل سيقوم العالم الإسلامي بتحديث نفسه أم سيخضع لأسلوب الحياة الأمريكي أم أن العالم الإسلامي سيستمر في رفضه الأسلوب الأمريكي؟ وهل سيستمر انتشار الإسلام في الغرب كما حدث في الثلث الأخير من هذا القرن العشرين؟ وهل سيتم ذلك بالوسائل السلمية؟

لقد ردت الأحداث فيما بعد على التساؤل الأخير حيث لم يتم ذلك بالوسائل السلمية متمثلاً في أحداث ١١سبتمبر أيلول وغزو العراق ..

اعتزال السياسة

ويشير الدكتور هوفمان إلى اعتزاله السياسة، وقف حياته لإقامة جسر من التفاهم بين الشرق والغرب ليساهم بذلك في إزالة مشاعر العداء التي يكنها كل طرف للآخر.

ويذكر أنه منذ اعتزاله عام ١٩٩٤م، وهو يتجول محاضرًا متنقلاً دون راحة في الشرق والغرب بين هلسنكي والرياض ولوس أنجلوس والخرطوم وألمانيا حيث قام بإلقاء ١٣٩ محاضرة في الفترة ما بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٩م، تدور كلها حول موضوعات إسلامية، كما حضر ٢٧ ندوة ومؤتمرًا وقد أشار إلى نقاط مهمة جدًا:

- كثافة المناقشات الإسلامية بين المسلمين حول موضوعات كبرى مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- اللغة الإنجليزية التي ينشر بها الآن عن الإسلام أكثر من العربية، كما يقول.

الغرب المحيّر

يحاول المؤلف أن يشخّص موضوعه، فيدرس الصلة بين الشرق والغرب، فيفترض وجود طالبين مسلمين يدرسان في الغرب: أحدهما مسلم بالهوية والانتماء فقط، لكن الغرب كان حلمًا ومثالاً له، فلا غرابة إذًا أن يتشرب هذه الحضارة التي عشقها، فغالبية المواطنين يلتزمون القوانين ويطبقون الدستور بشكل روتيني في الدولة، فدولة الدستور حقيقية وواقع، والحديث عن الرشوة قليل جدًا، والقوات المسلحة تدين بالولاء التام للحكومة المدنية المنتخبة، ولا يتعرض أتباع الأديان أو الأحزاب للسجن والتعذيب، ونادرًا ما تنقطع الكهرباء والمياه والهاتف،

فهناك إذا بدلاً من الشعارات الكاذبة إنجازات حقيقية.

كما يسود حرية الرأي وحرية التجمع والاعتقاد حتى حرية أداء الخدمة العسكرية وحتى الاعتراف بحقوق الشواذ، فالمبدأ السائد: كل ما يهواه المرء مسموح به.

ويمثل لذلك بنفسه حين هاجر من ألمانيا المقسمة المهزومة إلى أمريكا وعمره ١٩ عامًا حيث كان تأثير أمريكا أشبه بالمخدّر، كما يقول، ويذكر سبب ذلك التصور بأن الغرب كان متقدمًا تكنولوجيًا بدرجة عالية.

ومجمل ما سبق أن هذا الطالب الآتي من الشرق ينظر إلى الغرب بإيجابية شديدة ومن ثم يحق لهذا الغرب وحضارته أن يسودا العالم.

أما الطالب المسلم الملتزم دينه فينظر إلى الغرب نظرة مريبة قاسية، بل يلعنها بشكل مطلق، حيث يبدأ بتوجيه نقده قبل كل شيء إلى النزعة العقلانية الغربية، فتاريخ حضارة الغرب منذ عصر التنوير من القرن الثامن عشر لم يكن إنسانيًا، بل كان مملوءًا بالفظائع: مثل عمالة الأطفال - وتجارة العبيد - والتفرقة العنصرية - واستخدام أسلحة كيماوية ونووية - وإرهاب تمارسه الدولة تحت شعارات أيديولوجية، إلى جانب عمليات التطهير العرقي في وسط أوربا، كما في كرواتيا والبوسنة وصربيا.

ويرجع المؤلف أسباب ذلك إلى عملية استبعاد كل ما هو ديني من المجال العام وذكر لذلك مثالاً بسيطًا في امتناع المستشار الألماني في أثناء يمينه عن ذكر الله ويعدّ هذا الاستبعاد خطرًا كبيرًا ودليلاً على دخول النزعة المادية الفظة إلى فكر الإنسان الغربي ووجدانه، ويعدّ هذا الإنكار لله الذي هو عدم مبالاة بأمور الآخرة أكثر منه إلحادًا وتأليهًا للإنسان، وأعظم أثرًا على المدى الطويل وحاملاً لآثار وخيمة العاقبة، وأنها ستجلب الخراب بعينه، وإن طال الأمد..

ويؤكد في نهاية هذا الموضوع أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن المجتمع الغربي أصبح في بنائه مجتمعًا مدمنًا بشتى صوره الخمر والمخدرات والتلفاز، وألعاب الكمبيوتر والإنترنت، ورفاهية الأغنياء على حساب الفقراء ... كل هذا يؤدي إلى رفض المسلم للغرب رفضًا باتًا كما يقول ..

لكنه يخلص إلى نتيجة ضرورية هي أن (الانتقاء هو السبيل) فلا بد أن يستفيد الشرق من إنجازات الغرب الحقيقية، ويقاوم أمراضه الحضارية.

الشرق المثير للتساؤل

تحت هذا العنوان يفترض وجود طالبين أوربيين معتنقين الإسلام: أحدهما أدى الإسلام إلى تحول هائل في شخصه حتى أصبح مغرمًا بكل ما هو عربي أو إسلامي أو شرقي، وحاول أن يطبق الإسلام بدقة على تفاصيل حياته، وهو يتمنى أن يعيش في أحد المجتمعات الإسلامية لأسباب منها: العائلة المسلمة الكبيرة التي تربطها أواصر وثيقة تمثل اللبنة الأساسية الصلبة للمجتمع .. هذه العائلة التي يأكل أفرادها سويًا ويصلون معًا ويحتفلون معًا ويحزنون معًا .. ويذكر المؤلف بهذه المناسبة أنه رأى في البحرين ٨٠ شخصًا في عائلة واحدة.

ويشير إلى أن العائلة المسلمة دائمة التفكير في العجزة والشيوخ، ولا يمكن التنازل عنهم بسهولة، ويستشهد بتركيا الأقرب للغرب حيث يرفض الناس

الفظائع التي حدثت في الغرب لم تحدث في بلاد الإسلام ولا في تاريخه. فلن تجد عند المسلمين القتل المنظم كما حدث في أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أستراليا

النور يبعث من الشرق .. أما في الغرب فحتى الحب والعلاقات الإنسانية يحكمها السوق ! وليس الغرب وحده من يستطيع أن يقدم للشرق شيئًا. بل يمكن للشرق كذلك أن يقدّم للغرب الكثير!!

بشدة التعامل مع دور العجزة ..

ويبدي إعجابه الشديد بسلام المسلمين على بعضهم، وإن لم يعرفوا بعضهم حيث يتسم السلام بألفة شديدة دون لهجة رسمية .. ويؤكد عدم وجود دين نجح في دحض العنصرية بالدرجة التي حققها الإسلام، ويمثّل لذلك بمالكولم إكس رئيس جماعة أمة الإسلام Nationol Islam الذي عُرف عنه معاداته للسامية والبيض، ولكنه حينما يحج ينقلب موقفه رأسًا على عقب فيرى عالمية الإسلام متمثلة في موسم الحج الذي يجمع الأجناس والأعراق كافة.

ويشيد كثيرًا باحترام المسلمين الجميل بعضهم لبعض مقابل فقدانها في الغرب ضاربًا مثلاً من ألمانيا بأن التلميذ يجلس فاتحًا فمه وهو يلوك العلكة أمام أستاذه، والمرأة الحامل التي لا تقوى على الوقوف ولا يفكر أحد أن يقوم لها لتجلس مكانه .. ويبدو أنه يجهل أن الشرق بدأ يفقد هذا الاحترام بعد تقليده الغرب !!

ويذكر علوم الدين الإسلامي مشيرًا إلى عدم وجود سرية فيها وأن السوفييت لم يستطيعوا القضاء على الإسلام على الرغم من اعتقال العلماء وحرق المكتبات في آسيا الوسطى وإغلاق المساجد .. لأن عنصر الشفاهية يؤدي دورًا رئيسًا كوسيلة تعليم وإعلام. ويصف صبر المسلمين المتمثل في تجنب الخمور والمعاصي .. ويبدي إعجابه الشديد بهدوء الشرق المتمثل في صور الاسترخاء والهدوء في البيئة الإسلامية ويعلّل ذلك بعدم وجود الضغوط الحياتية المعتادة !!.

أما المسلم الغربي الناقد للشرق فيمثل له بمحمد أسد (ليوبولد فايس) وينقل عنه أنه ذكر أنه أسلم قبل أن يتعرف العالم الإسلامي ...

إلا أن ما نقل عنه في كتبه يخالف ما أورده هوفمان فهو يصرّح بأنه لم يسلم إلا بعد أن دار في البلاد الإسلامية عدة سنوات، والتقى كثيرًا من العلماء والملوك وبسطاء المسلمين، فحينما كان محمد أسد في القدس عام ١٩٢٢م في بيت رجل عربي اسمه (حاجي) كان من أشد ما يثير رغبته صلاة هذا الرجل التي صارت سببًا في إسلامه فيما بعد يقول في كتابه «الطريق إلى الإسلام» صفحة ١٠١: «بعد ذلك بسنوات أدركت أن حاجي بتفسيره البسيط قد فتح لي أول باب للدخول في دين الإسلام رغم أني لم أفكر يومئذٍ أن الإسلام سيصبح دينًا لي، فمنذ ذلك الوقت كنت أشعر بخضوع غير عادي كلما رأيتُ رجلاً يقف عاري القدمين على سجادة الصلاة أو على الأرض مكتوف الذراعين محنيّ الرأس..»».

القرابة والمحسوبية

وينعى المسلم الغربي على الشرق أمورًا: منها استيراد التكنولوجيا من الخارج، ومنها الازدواجية عند العائلة المسلمة فإنك تجد المناصب المهمة في الإدارة والشؤون الاقتصادية وحتى الثقافية بناء على علاقات القرابة والمحسوبية، ومن ثم يحتل كثيرًا من المناصب المهمة والحساسة أناسٌ غير مؤهلين تنقصهم الكفاءة، وبذلك تحرم هذه الدولة من كفاءات أبنائها مما يعيق ذلك عملية النمو والتطور، كما يشير إلى أن العالم العربي يزخر بمن يطالبون لأنفسهم بحقوق خاصة تفوق حقوق غيرهم بسبب ثروة أوجاه أو نسب.

ثم ينعى على ما في دول الخليج من اهتمام شديد بالحيوانات، كالخيول والصقور والنوق إلى حد استقدام



الحروب دمرت الأبنية وأبادت البشر

أطباء نفسيين للصقور - حسب قوله - كما يشير إلى الاهتمام الشديد بالمساجد وإهمال إقامة دور حضانة ومدارس وتكوين جمعيات .. ويستنكر كثيرًا توديع الأموال في الغرب على الرغم من نهي القرآن الكريم عن ذلك ؛لأنها معاملات ربوية..

التفسير التآمري

كما يركز في نقطة مهمة يسميها بالتفسير التآمري عند المسلمين، إذ يتم تعليل المشكلات التي تقع عليهم دائمًا بأن وراءها المنظمات الصهيونية والغرب، ويقول المؤلف: إن هذه الحالة النفسية منعت المسلمين من التفكير السليم في نقاط ضعفهم، وتشخيص أسباب عدم نجاحهم الحقيقية.

ثم يذكر أن العالم الإسلامي يخاف من كل جديد، ويبين أن هذا يظهر في أساليب التعليم ومناهجه القديمة التي يسود فيها أسلوب التلقين والحفظ والتسميع بدل التساؤل والحوار وإعمال العقل حتى أدى ذلك إلى ما يسمى بأمية المتعلمين! ويبين أن السبب وجود الأنظمة المستبدة.

ويذكر في هذا المجال أن العلماء قد أمروا بتدمير مرصد في إستانبول عام ١٥٨٠م وأنهم أوقفوا أولى المطابع العثمانية عام ١٧٤٥م.

كما يذكر وجود رقابة شديدة في العالم الإسلامي على كل شيء حتى خطبة الجمعة التي تأتي مكتوبة من الأوقاف في كثير من البلاد الإسلامية.

كما يشير إلى عدم الاهتمام بعلوم الطبيعة مع وجود علماء كبار في الماضي ويشير إلى روتين الدوائر والإهمال والرشاوى، كما يذكر أن الدول العربية لا تستطيع فرض احترامها على أنها شعوب إسلامية، فتقدم الخمر في شركات طيرانها ما عدا السعودية.

بعد هذا العرض والمقارنة بين الآراء يقول: لا نستطيع أن نميل إلى أحد الرأيين فلكل منهما أسبابه وظروفه الموضوعية، ولكنه خلُص إلى نتائج مهمة:

- ألاّ ننحاز إلى العالم الإسلامي ولا نرفضه تمامًا، ويؤكد بوصفه أوربيًا المقولة القديمة: إن النور يبعث من الشرق .. أما في الغرب فحتى الحب والعلاقات الإنسانية يحكمها السوق ! وليس الغرب وحده من يستطيع أن يقدم للشرق شيئًا، بل يمكن للشرق كذلك أن يقدّم للغرب الكثير!!

ويدعو هوفمان إلى أول خطوة للتفاهم بين الشرق والغرب وهي إلغاء العلاقات العاطفية التاريخية ... ولكنه يعرب عن أسفه الشديد لأن دعاة السلام هم في الغالب دعاة الحرب !!.

ويشيد بتسامح الإسلام مستشهدًا ببقاء أهل اليونان

على مسيحيتهم على الرغم من الحكم العثماني لهم نحو خمسة قرون، ووجود أهل الديانات في القاهرة ودمشق وغيرهما طوال فترة التاريخ الإسلامي دون أي مضايقات. أما العكس فيظهر في محاكم التفتيش في إسبانيا التي تعدّ صورة سوداء قاتمة في تاريخ أوربا ضد المسلمين واليهود الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية.

كما يشير إلى تعامل كثير من الدول الأوربية اليوم مع رعاياها المسلمين بطريقة تختلف عن تعاملها مع غير المسلمين.

ويذكر أن مواطني بيزنطة وفارس لجؤوا إلى المسلمين، واعتنقوا الإسلام بأعداد هائلة لأسباب منها:

- التسامح الديني.
- نظام الضرائب (الجزية) الذي كان أرحم من أنظمتهم السابقة التي كانت تحكمهم
- التصور الإسلامي للإله بالنسبة إلى الديانات الأخرى،

ثم يبين أن توسع الإسلام بالنار والسيف ما هي إلا أكذوبة يلجأ إليها الغرب دائمًا بسبب الخوف من الإسلام ويستدل على ذلك بأن دعاة الحروب الصليبية استعانوا لإشعال الكره بحملة متقنة لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي وحجب المعلومات الصحيحة، ونشر معلومات مغلوطة ومعاكسة تمامًا للحقائق.

يبدو أن حقوق الإنسان في الغرب وتطورها إلى منظمات ومؤسسات لم تأت نتيجة فراغ بل نتيجة انتهاكات لحق الإنسان وحرمته طوال التاريخ الغربي خصوصاً في مرحلة بناء الحضارة الغربية

ويستشهد بمقولة المستشرق والكاتب الفلسطيني إدوارد سعيد: «إن الصورة الغربية للشرق هي جزء لانعكاس رغبات وإسقاطات يكنها الغرب في نفسه ويشعر بها كالخوف الدائم».

وأخيرًا يؤكد أن الحروب الصليبية لم تنته إلى الآن، وإن لم يظهر الفرسان الصليبيون بدروعهم، بل في بدلة رجال الأعمال حسب قوله.

وسائل الإعلام تحت المراقبة

بدأ هذا الموضوع بمقولة للشاعر الألماني جوته: «إن هناك ناسًا إذا أرادوا شرًا بأحد فإنهم يشوهونه أولاً ثم يحولونه إلى وحش تجب محاربته».

خلاصة هذا الموضوع أن الإنسان في أوربا يمكنه أن يعلن أنه ملحد أو ماركسي أو على أي دين آخر، كما يمكنه أن يتزعم العادات اليهودية وطقوسها حتى لو تطابقت مع شعائر المسلمين دون أي اعتراض، أما أن تصدر عن مسلم فإنها توصف فورًا بأنها شاذة وغريبة ومخالفة للدستور، كما تنسب إلى جهل القرون الوسطى.

ويشير إلى ملابس المتشددين من اليهود، والفصل بين الجنسين، ومبادئ الطعام والذبائح وفق شريعتهم .. حتى يظن المرء أن الغرب يمارس حرية تسامح الأديان .. ولكن عندما يتعلق الأمر بالاسلام فإن الصورة تتغير تمامًا.

ويستنتج مما سبق أن وسائل الإعلام الغربية في تشويهها المستمر صورة الإسلام إنما تتعامل مع الإسلام على أنه أيديولوجية أكثر من كونه عقيدة ودينًا. وهذا في الحقيقة يدل على الخوف منه وليس مجرد الكراهية، ويوضح ذلك أكثر بأن الإسلام دين محارَب أكثر منه محارِب وحضارة محارَبة أكثر منها محاربة.

وفي ختام هذا الموضوع يقترح على المسلمين إذا أرادوا تحسين صورة الإسلام أن يعترفوا بأن العالم



المؤلف واهتمام بمأساة البوسنة والهرسك

الإسلامي يساهم كثيرًا في تشويه صورة الإسلام؛ لأن هذا العالم نفسه لا يسير على نهج الإسلام.

الحقوق الشقراء

تحت هذا العنوان يناقش الكاتب موضوعات معاصرة مهمّة يلوّح بها الغرب والمتغربون في العالم الإسلامي في وجه الإسلام بشكل دائم، وهذه الموضوعات هي:

- حقوق الإنسان.
- حقوق المرأة.
- الديمقراطية.

ويذهب المؤلف إلى أن هذه المجالات الثلاثة إذا ما تم تداركها، فإن هناك ما هو أهم من تطبيع العلاقات بين الشرق والغرب؛ لأنها تؤدي دورًا رئيسًا في مستقبل الإسلام في الغرب.

موقف الإسلام من حقوق الإنسان

يذكر أن الناس في الغرب يعتقدون أن حقوق الإنسان تطبق فقط في الغرب، ويشير إلى لائحة الماجنا كارتا البريطانية عام١٢١٥م، التي تتضمن الحقوق الإساسية للإنسان، والإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن عام ١٧٨٩م، وقد كانت هذه الأسس وغيرها ما قام واستند عليه إعلان حقوق الإنسان الشهيرة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م.

ولكن يبدو أن حقوق الإنسان في الغرب وتطورها إلى منظمات ومؤسسات لم تأت من فراغ بل نتيجة انتهاكات لحق الإنسان وحرمته طوال التاريخ الغربي وخاصة في مرحلة بناء الحضارة الغربية لذلك يؤكد الكاتب أن حقوق الإنسان في أساسها دعوة غربية واختراع غربي (الحاجة أمّ الاختراع) ويستدل على ذلك بما حدث في الحربين العالميتين وما شهدتا من استخدام للأسلحة الكيماوية والنووية ضد الإنسان. وارتكاب الفظائع في العهد الإستاليني إذ قتل الملايين، والتفرقة العنصرية وحروب التطهير العرقي في البوسنة وكوسوفا (وقد كان المؤلف يعمل وقتها عضوًا في حلف الأطلنطي) وهو يتناول قضية البوسنة في سائر كتبه وبألم شديد بسبب اتصاله المباشر بها في أثناء عمله، ويبين أن الغرب كان يتفرج ولم يتدخل إلا بعد أن تعرض هذا الشعب لجميع أنواع القتل والعنصرية والإبادة، وقد كان هذا التدخل سياسيًا، وليس إنسانيًا!! ذكره بتوسع في كتابه «الإسلام كبديل» صفحة ١٥٨.

أما في أمريكا فإنها دولة بنيت على نكران حقوق الإنسان المتمثل في إبادة الهنود الحمر بالوسائل الوحشية، وتجارة العبيد؛ لذلك كان من الطبيعي أن يتولد لدى الشخصيات والمؤسسات الإنسانية شعور بالحاجة إلى ما يعرف بحقوق الإنسان وأن يتحول ذلك إلى منظمة لها قوانينها العالمية.

أما البلاد الإسلامية فلم يرد ذكر لحقوق الإنسان؛

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن المجتمع الغربي أصبح في بنائه مجتمعًا مدمنًا بشتى صوره الخمر والمخدرات والتلفاز، وألعاب الكمبيوتر والإنترنت، ورفاهية الأغنياء على حساب الفقراء

لأن الفظائع التي حدثت في الغرب لم تحدث في بلاد الإسلام ولا في تاريخه، فلن تجد عند المسلمين القتل المنظم كما حدث في أمريكا الشمالية أو الجنوبية أو أستراليا، ولن تجد في العالم ما يشبه الرعب الاستاليني كما لن تجد مثل الثقافة العنصرية التي مارسها البيض ضد الزنوج في أمريكا أو في محاكم التفتيش في إسبانيا ضد المسلمين.

ويلخص نقاشه بمقولة «حديث حقوق الإنسان هو حديث القوة» أي أن القوة تؤدي دورًا أساسيًا في الحديث عن حقوق الإنسان؛ لأن هذه الحقوق تحولت إلى مطرقة يُلوَّح بها لتهديد المعارضين.

ويقرّر أن أفضل استراتيجية يتبعها المسلمون هي التعامل مع ظاهرة حقوق الإنسان من وجهة نظر فقهية، وعلى أساس الكتاب والسنة، ويذكر أنه لم يرد في اليهودية أو المسيحية أو الإسلام ذكر لحقوق الإنسان، بسبب أن الله وحده هو الخالق وواهب الحقوق، فالحقوق الإلهية ثابتة، أما الحقوق التي يضعها البشر فقابلة للنقد، ولقد أدّى ذلك إلى غياب رؤية إسلامية واضحة لحقوق الإنسان، ومن ثمَّ أدى غياب هذه الرؤية إلى اتهام الإسلام بعدم حمايته للفرد من تسلط الدولة. لكنه يرد على ذلك بأن الإسلام مارس حقوق الإنسان التقليدية ورسخها منذ مجيئه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة مشيرًا إلى أن حق الإنسان في الحياة منصوص عليه في الآية الكريمة ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾الأنعام: ١٥١. ويبين أن الإسلام طبق حق الإنسان في المشاركة السياسية بدليل أن الخلفاء الثلاثة الأوائل لم يكونوا من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويرى أن المسلمين يجب ألاّ يشعروا بأي حرج في وجود حماية إسلامية لحقوق الإنسان .. ويلتفت هنا إلى الغرب بشدة مقرّرًا أن الغرب أثبت سواء في الاتحاد السوفييتي سابقًا أو في الولايات المتحدة أن حقوق الإنسان ما هي إلا الورقة التي تضمنت هذه البنود.

موقف الإسلام من الديمقراطية

من المؤسف أن يبدأ المؤلف بتألم شديد هذا الموضوع بمقولة استهزائية لمحمد سعيد العشماوي إذ يقول: «أراد الله أن يصير الإسلام دينًا ولكن حوله الناس إلى سياسة» ولكن المؤلف ربما لا يعلم ما معنى أن يكون هذا الرجل رئيس محكمة أمن الدولة سابق في إحدى الدول العربية .. فرجل مثل مراد هوفمان يحمل الدكتوراه في القانون والسياسية من أمريكا لا يقبل بأي حال زعم أن الدين معزول عن السياسة بل يقول: لا يمثل الدين والسياسة أدنى تناقض بالنسبة إلى المسلم ص١٠٦، ويؤكد في الوقت نفسه أن الإسلام دين دنيا وآخرة على حد سواء ومن ثم دين سياسي إلى درجة كبيرة، ويذكر أن الإسلام استطاع بدمجه الدين بالدولة أن يقدم نموذجًا يختلف تمامًا عن مفهوم الغرب للدين.

وحينما يتعرض لتحليل علمانية الغرب يفسر عصر النهضة وحركات الإصلاح والتنوير في أوربا على أنها ردود فعل لسيطرة الكنيسة واستبدادها في مجال السياسة، ويستدل بمقولة لجيفري لانج: «إن تعبير علمانية الغرب تعبير خاطئ» ويوضح ذلك بأن الدولة والدين في جمهورية ألمانية الاتحادية يبدوان منفصلين، ولكن هناك أعياد وإجازات دينية تقرها الدولة وتحميها،

وهناك جمعيات دينية تحظى باعتراف الدولة، وهناك مدرسون حكوميون يدرسون مادة الدين في المدارس الحكومية، كما يتم أخذ القسم بالله أمام المحاكم ويتم توظيف رجال الدين ... وتجد على حوائط الفصول الدراسية بالمدارس صورة المسيح مصلوبًا .. والألماني لا يشعر عند آدائه واجبه الديني أنه يقوم بعمل جاهلي من القرون الوسطى، ولكن الأمر إذا تعلق بالإسلام فالأمر يتغير تمامًا، إذ يتم تشويه الإسلام وإلصاق النعوت السيئة به .. والسبب في ذلك حسب قوله. أن الإسلام لا يهدف إلا إلى دولة في هذا النطاق .. دولة يتآلف فيها الدين والسياسة، والدين والاقتصاد، والدين والمجتمع.

ويدعو المسلمين إلى أن يتبينوا أن أهم أهداف الديمقراطية ووظائفها إنما هي تأمين وجود رقابة منظمة على الحكومة لمنع أي ظلم أو تسلط أو سوء استخدام السلطة، وهذا هو جوهر الإسلام، ويتم تحقيق ديمقراطية إسلامية من خلال عدة لبنات:

اللبنة الأولى: بجعل القرآن الكريم المصدر الأعلى للدستور.

اللبنة الثانية: وضع جميع القوانين المستمدة من القرآن موضع اعتبار وقياس من قبل قانونيين مسلمين.

اللبنة الثالثة: قيام حياة نيابية إسلامية بناء على التوجيه القرآني بوجود الشورى ﴿وشاورهم في الأمر﴾ آل عمران: ١٥٩.

اللبنة الرابعة: وجوب الأخذ بالشورى، ويستدل هنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم، ترك رأيه الشخصي وأخذ برأي الأغلبية حين خرج من المدينة إلى أحد لمواجهة مشركي مكة.

اللبنة الخامسة: موافقة غالبية المسلمين على إجراء انتخابات عامة حرة لممثلي الشعب.

اللبنة السادسة: الاحتياج إلى التآلف والوحدة عند الاختلاف في الفروع؛ لأن أصول المسائل وضّحها القرآن.

اللبنة السابعة: ضرورة إصدار تشريعات للقضايا المستحدثة.

اللبنة الثامنة: اختيار رئيس الدولة عن طريق انتخابات نيابية بحيث يكون الأكثر ورعًا وتقوى وكفاءة.

اللبنة التاسعة: عدم وجود نظام ثابت لاختيار الخليفة، في إشارة منه إلى تنوع طريقة اختيار الخليفة في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي بين الشورى والتعيين وولاية العهد.

وبعد هذه الاقتراحات يبين أن اتهام المسلمين والإسلام بالعداء للديمقراطية يعدّ ضربًا من ضروب العنصرية، ويعتقد أن المسلم متهم بعدائه للديمقراطية في الغرب بحكم مولده.

حقوق المرأة

يتناول موضوع المرأة بمقولة للدكتور يوسف القرضاوي: «إن كثيرًا من الفقهاء شددوا على المرأة دون دليل» ويذكر أمثلة إيجابية لاحترام القرآن للمرأة كملكة سبأ وأم موسى وزوجة فرعون ومريم وأمها كما يشير إلى أن القرآن لم يحمّل حواء صفة الغواية كما فعلت أديان أخرى .. بل جعل الخطأ مشتركًا بين آدم وحواء كما جعل المسؤولية سواء ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾سورة التوبة: ٧١.

ويناقش موضوعات تتعلق بالمرأة كتعدد الزوجات والحجاب وسلطة الرجل ومسألة الإرث والشهادة وغيرها. ويخلص إلى أن تعدد الزوجات إنما يكون بشرط العدل اعتمادًا على الآية ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾النساء: ٣٠.

ويقول: إن الحروب الكثيرة وحالات أخرى كوجود الأرامل تجعل الحاجة إلى تعدد الزوجات ضرورية، ولا سيما وقد جاءت الآية السابقة بعد الحديث عن اليتامى

ويقرّ يتهكم بأن الغرب أيضًا يوجد فيه تعدد الزوجات، ولكن بطريقة غير شرعية؟!

وأما الحجاب فيقول: إن القوانين الأولية لا تمنع ممارسة الإنسان لدينه أبدًا، ولكن الغرب يحارب الحجاب لأنه يرى فيه خطرًا سياسيًا ..

وأخيرًا يذهب مع د. حسن الترابي إلى أن تحرير المرأة المسلمة من التفرقة والتمييز والعزلة يعدّ شرطًا أساسيًا للصحوة الإسلامية، وليس مجرد ظاهرة مصاحبة لها.

العناوين: «لماذا محمد؟»، «عيسى يفرّق - عيسى يوحّد»، «لاتفرقة على أساس اللون»، «ماذا يريدون منا؟» موضوعات يناقش فيها الخلاف بين الشرق والغرب من النواحي الدينية ويقترح على الغرب:

- الاعتراف بمحمد .. ألا تستدعي مجرد أصول المعاملة المهذبة عدم تجاهل رسول يؤمن به أكثر من مليار إنسان؟!

- إسقاط صفة الألوهية عن المسيح!

وختامًا

- إن من أهم نقاط الخطأ التي يقع فيها المستشرقون أو الغربيون الدارسون الإسلام هو الاعتماد على كتب ومراجع لمؤلفين لا يمثلون الفكر الإسلامي في شيء .. بل ربما كان كثير منهم ماركسيين سابقين أو علمانيين أو ملحدين لا يؤمنون بالدين أساسًا .. فيتم النقل من كتبهم أو الاعتماد على آرائهم على أنها صادر للفكر الإسلامي، وقد صرّح المؤلف بماركسية بعضهم.

- إهمال - ربما عن جهل - الرجوع إلى الكتب الإسلامية الأصيلة في موضوعات الحكم والقضاء والسياسة .. كالأحكام السلطانية للماوردي مثلاً ... ليتعرف إلى أهل الحل والعقد الذين هم صفوة المجتمع من علماء ومفكرين يتكون منهم مجلس الشورى، وليس بعض الرعاع، كما في الديمقراطية ... بدل أن يرجع إلى كتب لسياسيين يتناولون الإسلام بسلبية شديدة .. وهذه الآفة يقع فيها كثير من الغربيين الدارسين الإسلام .. فتتكون لديهم صورة خاطئة عن الإسلام ..

- مسألة المؤامرة ليست وهمًا بل هي حقيقة واقعة تمثلت في قضية فلسطين والوعود الكاذبة التي كان يمارسها الغرب، ومازال إلى اليوم .. وقد أكّد ذلك ليوبولدفايس (محمد أسد) في كتاباته، وعاصر قضية فلسطين في بداياتها وزار القدس، بل إن الغرب ما زال يمارس تلك المؤامرة بالكذب والخداع حيث تصوّر المستعمر وهو يخرّب ويقتل الأبرياء مدافعًا عن نفسه



كان القرن العشرون قرن المآسي والفواجع

والفلسطيني الذي يدافع عن حياته وكرامته إرهابيًا.

ولا شك أن هذا الكذب انكشف الكثير منه أمام موجة القنوات الفضائية التي قطعت شوطًا في بيان الحقائق ولو نسبيًا.

النفاخ في ذك

برع في علوم العربية المختلفة فأصبح حجةً في كل فن من فنونها، فما شئت من بصر باللغة، وعلم بالنحو، وفهم بالصرف، وتذوق للبلاغة، وإتقان للعروض، ورواية للشعر، ودراية بالأدب والنقد

للبلاغة، وإتقان للعروض، ورواية للشعر، ودراية بالأدب والنقد، ومَكِنَةٍ في الأصول، وتضلّع من القراءات القرآنية صحيحها وشاذّها، ومعرفة بالأحرف السبعة تاريخها وأسرارها، وخبرة بالتراث العربي مخطوطه ومطبوعه، وقدرة على تحليل النصوص والنفاذ إلى خباياها، ودقة في تحقيق المخطوطات واستدرار عطاياها.

ولو شئتُ أن أمضي فيما افْتَنَّ فيه الشيخ لمضيتُ، ولما وسعَتْني لهذه الكليمة.. فما كان النفاخ رجلاً كسائر الرجال.. ولكنه أمةٌ في رجل:

وقالوا الإمامُ قضى نحبَهُ
وصيحةُ من قد نعاهُ عَلَتْ
فقلتُ فما واحدٌ قد مضى
ولكنّهُ أمةٌ قد خَلَتْ

وقد عرفته الجامعة (جامعة دمشق) محاضرًا في غير ما فن من فنون العربية..

حاضر في الأدب الجاهلي فكان أصمعي عصره، ودرّس المكتبة العربية والمعجمات فكان جوهريَ دهره، وقرر مادة العروض فكان خليلَ وقته، وأقرأَ الكتابَ القديم فكان مبرّدَ زمانه، وتصدّى للنحو والصرف فكان سيبويهِ أوانه، وتناول الدراسات اللغوية فكان ابنَ جني عهده.

ملقّنٌ مُلهَمٌ فيما يحاوله
جمٌّ خواطرُهُ جَوّابُ آفاقِ

وكان من جميل صنع الله بي أن درست عليه هذه الموادّ جميعًا خلال سني الدراسة الجامعية العادية والعليا، فتقلَّبت في نُعْمى اختصاصاته، وتدرجت في معارج علومه، ورأيت منه كل عجيبة وغريبة، ورويتُ عنه كل شاذّة وفاذّة، فلا تعجب إن تمثلت فيه بما أنشده أبو العباس اليشكري في محاسن أبي عمر اللغوي المعروف بغلام ثعلب:

فلو أنني أقسمتُ ما كنت حانثًا
بأن لم ير الراؤون حَبرًا يُعادلُهْ
وهو الشَّخْتُ (٤) جسمًا والسَّمينُ فضيلةً
فأعجبْ بمهزولٍ سمينٍ فضائلُهْ
تضمّن من دون الحناجر زاخرًا
تغيبُ على من لجَّ فيه سواحلُهْ
إذا قلتُ شارفنا أواخر علمِهِ
تفجّر حتى قلتُ هذي أوائلُهْ (٥)

بناء الرجال

وكان له من وراء هذه الجامعة جامعة أخرى تضمه مع النخبة من صحبه ومريديه تلكم هي بيته الذي أصبح مثابة لطلاب العلم وقبلة للباحثين، يؤمونه من كل مكان، ويقصدونه في كل وقت وحين، فلم يكن - رحمه الله - يخصص يومًا لندوة أسبوعية أو شهرية، وإنما كانت ندوته تنعقد يوميًا، لا تكاد تطرق بابه إلا وجدت عنده

لم يكن - رحمه الله - يخصص يومًا لندوة أسبوعية أو شهرية، وإنما كانت ندوته تنعقد يوميًا، لا تكاد تطرق بابه إلا وجدت عنده ضيوفًا تعمر بهم الدار، ويلتئم بهم المجلس

ضيوفًا تعمر بهم الدار، ويلتئم بهم المجلس، ويدور الحديث في كل علم وفن ومعرفة، والشيخ يزينه ويتوّجه بعلمه الجمِّ، وتواضعه المحبّب، وصوته المجلجل، وحديثه المفعم بالحبّ والعطاء.

إن الكلام يزين ربَّ المجلس

ومن الوفاء لذلك المجلس وصاحبه أن نذكر أسماء بعض رواده الذين أفادوا منه، وأصبحوا ملء السمع والبصر، من مثل الأستاذ الدكتور محمود ربداوي، والأستاذ الدكتور رضوان الداية، والأستاذ الدكتور مسعود بوبو - رحمه الله - والأستاذ الدكتور وهب رومية، والأستاذ الدكتور عز الدين البدوي النجار، والأستاذ محسن الخرابة، والأستاذ الدكتور مصطفى الحدري، والأستاذة الدكتورة منى إلياس، والأستاذ مطيع الببيلي، والأستاذ الدكتور عدنان درويش، والأستاذ بسام الجابي، والأستاذ نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، والأستاذ الدكتور عبدالإله النبهان، والأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالله، والأستاذ الدكتور أحمد راتب حموش، والأستاذ الدكتور طاهر الحمصي، والأستاذ الدكتور محمد الدالي، والأخ الدكتور يحيى مير علم، والدكتور عبدالكريم حسين، والدكتور نبيل أبو عمشة.. وغيرهم كثير.

ترنو إليه الحدّاثُ غاديةً
ولا تملُّ الحديث من عجبهْ
يزدحمُ الناس كلَّ شارقة
ببابه مُشرِعين في أدبهْ

والحقُ أن الشيخ - رحمه الله - بنى رجالاً، وخلّف جيلاً من الباحثين يدينون له بالكثير، حتى لقد أصبح شكره لازمةً لا تكاد تخلو منها رسالة جامعية، أو كتاب محقق، أو بحث علمي لغوي في جامعة دمشق، بل لقد تعدى أثر ذلك إلى جامعات أخرى، وإلى مواطن أخرى:

يبني الرجال وغيرُهُ يبني القرى
شتّان بينَ قرًى وبينَ رجالِ

وإذا ذكرنا مجلس الأستاذ راتب فلا بد أن نذكر علمًا كبيرًا وعالمًا وزيرًا كان يؤمُّهُ، وقد عرفناه فيه قبل أن نعرفه أستاذًا في كلية الآداب، ومشرفًا على رسائل الماجستير والدكتوراه، ومديرًا للموسوعة العربية الكبرى، ورئيسًا لمجمع اللغة العربية بدمشق. إنه أستاذنا الدكتور شاكر الفحام صِنْوُ النفاخ وقرينُهُ، وأخو الصدق الذي ما انفكَّ يشدُّ من أزره ويدفع عنه، ويحوطه بعين عنايته في الحلِّ والسفر والإقامة والغربة، والسرّاء والضرّاء، آسيًا ومؤاسيًا، وراعيًا ومنافحًا.

ما أعرفُ نفسي دخلتُ المجمع مرةً إلا رأيتهما معًا، وإن أنسَ لا أنسَ موقفين شهدتهما لهذين العالمين المتحابَّين يدلاّن على العروة الوثقى بينهما:

الأول: دخولهما معًا قاعة المحاضرة على طلبة الدراسات العليا، في أول عام تفتتح فيه الدراسات العليا في جامعة دمشق، إذ أسند تدريس مادة الدراسات اللغوية إلى الأستاذ الدكتور شاكر فكان يصحب معه الأستاذ راتب ليقرئا الطلاب فصولاً من كتاب الخصائص لابن جني.

والثاني: رِباط الأستاذ راتب بجوار غرفة العناية المركزة التي عولج فيها الدكتور شاكر على أثر أزمة قلبية ألمّت به، فلم يبرحها إلا معه. فأيّ محبة هذه؟! وأيُّ وفاءٍ هذا؟! إنه العلمُ الرّحِمُ بين أهله.

آثاره

ويأخذ بعض الناس على الأستاذ النفاخ قلة ما خلفه من آثار، وندرة ما صنعهُ من أعمال، وما أحسن ما قيل في ذلك (٦):

بغاثُ الطير أكثرُها فِراخًا
وأمُّ الصَّقرِ مقلاتٌ نزورُ

فأعمال النفاخ بلغت الغاية دقة وإتقانًا، وفصاحة وبيانًا، بدءًا من دراسته لابن الدمينة وتحقيقه ديوانه،

ومرورًا بصنعه فهارس شواهد سيبويه، واختياراته في الأدب الجاهلي، وانتهاءً بتحقيقه قوافي الأخفش. ودع عنك ما حبَّره من مقالات غدت نموذجًا فريدًا ومثالاً يحتذى في البحث العلمي، والتحقيق المستقصي، والنقد المحكم، والاطلاع الواسع (٧).

ومن اطّلع على مكتبة الشيخ رأى عجبًا فيما سطّره على هوامش كتبه من استدراكات وتحقيقات ونقدات لم يكد يخلو منها كتاب قرأ فيه، أو اطلع عليه، أو عرض له، وكان ـ رحمه الله ـ كثيرًا ما يقول لنا: إنه ما يكاد يفتح كتابًا حتى تقع عينه على مواطن الخطأ والتصحيف والتحريف فيه، وكأنه موكّلٌ بعثرات المحققين والناشرين، والمؤلفين والباحثين، والسوأة والسوآء لمن يقرأ الشيخ عمله على سبيل التتبع والنقد والتعقب والتقويم، إنك عند ذلك لم تجد بياضًا في الكتاب، لا في الهامش ولا في الأعلى ولا في الأسفل، فخط الشيخ يُحدِقُ بالكتاب من كل جانب، بل هو يخالط السطور والأحرف ويدخل فيما بينها معلقًا ومدققًا ومخرجًا ومحيلاً.. ومقومًا ومعقبًا ومدللاً ومستشهدًا. وإذا رأيت ثَمَّ رأيتَ علمًا غزيراً وفهمًا عظيمًا.

وقد يُحوجه الأمر إلى إضافة أوراق يودعها الكتاب الذي يتعقبه ليستكمل مسألة يحققها، أو تخريجًا يتتبَّعُهُ، أو إحالة يستوفيها. ولهذا كان يبقي على حجم الكتاب كما أخرجته المطبعة لا يقصُّ منه جانبًا، ولا ينقص منه هامشًا. وإن أنس لا أنسَ أسفه وحزنه على كتاب تطوَّع أحد أصحابنا بتجليده، فأعمل المجلدُّ مقصّه فيه، فجاء على غير ما يحبّ الشيخ ويرضى. وإن تعجب فعجب أمر القصاصات التي يجعلها الأستاذ بين صفحات الكتاب ليستدل على مواطن فيه. إذ لا يكاد يخلو منها سفر من أسفار المكتبة.

والحق أن من وراء هذا كله أعمالاً جليلة، كان الأستاذ قد أنجزها أو كاد، ثم حالت حوائل دون إخراجها للناس، على رأسها عمله في القراءات القرآنية والأحرف السبعة، ذلك العمل الذي أكل سني عمره، وكان يعدّه لنيل درجة الدكتوراه، ثم لما بلغ فيه الغاية استنكف أن يتقدم به لنيل الدرجة، وقد حدثني الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين أنه قدم دمشق فزار الأستاذ النفاخ، وأخبره أن أستاذه الدكتور شوقي ضيف ـ وكان المشرف على رسالته ـ يطلب إليه أن يكتب ولو ورقة واحدة يلخص فيها نتائج بحثه ليمنحه عليها درجة الدكتوراه، فما كان جواب الأستاذ إلا أن أبى مترفّعًا ـ وأكاد أقول مستنكرًا ـ لأنه كان يرى نفسه فوق تلك الدرجة، بل فوق كثير ممن كان يمنحها.

ومن أعماله الأخرى التي توفّر عليها زمنًا طويلاً، وأخذت منه كل مأخذ ولم يخرجها، تحقيقه معاني القرآن للأخفش، ومعرفة القراء الكبار للذهبي، ورسالة الإدغام الكبير المنسوبة إلى أبي عمرو بن العلاء(٨)، وكان الأستاذ يعتزم أن يشارك بها في تكريم شيخه أديب العربية الكبير محمود محمد شاكر، رحمه الله. ومن هذه البابة أيضًا مراجعته تحقيق كتاب «الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، وهو تحقيق كان قد نهض به الأستاذ الدكتور أمجد طرابلسي ثم رغب إلى الأستاذ أن يراجعه، فأعمل الأستاذ فيه فكره وعلمه وقلمه، وامتدت المراجعة نحوًا من خمسة عشر عامًا شهدتها عامًا عامًا، والشيخ يعيد التحقيق من جديد، يبدي ويعيد في مسائل، ويتوقف عند مسائل، ويرجئ النظر في مسائل على عادته في إتقان العمل وتجويده وتحكيكه وتثقيفه، وطلب وجه الكمال فيه، وأنّى يُدرك الكمال وهو لله وحده سبحانه. وتحسن الإشارة هنا إلى أن شيخنا النفاخ راجع الكثير مما أخرجه المجمع من كتب التراث المحققة، أذكر من ذلك على سبيل التمثيل كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور السيد محمد يوسف، وكان

الأستاذ يُشركني والأخ الدكتور يحيى مير علم بمعارضته بأصوله، ومن ذلك أيضًا كتاب الأزهية في حروف المعاني للهروي بتحقيق الأستاذ عبدالمعين الملوحي، وكتاب شرح أرجوزة أبي نواس لابن جني بتحقيق العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري، وكتابا الإتباع والإبدال لأبي الطيب اللغوي بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي، ورسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا بتحقيقي مع الدكتور يحيى مير علم.

من ذلك كله يتبدّى أن ما أنجزه الرجل كثير كثير، ولكنه موزّع في بطون الكتب، وحواشي التحقيق، وعقول الطلبة، إذ لم يكن - رحمه الله - يردُّ طالب علم، أو سائل حاجة، أو ملتمس عون في أي شأن من شؤون العلم. وما أكثر ما كان يُقصَد، وما أعظم ما كان يرفِد:

يسقط الطير حيث ينتثر الحَـ
ـبُّ وتغشى منازلُ الكرماءِ

«ومن قصد البحر استقلّ السواقيا».

صفحة مطوية

ويقودني حديث ما أنجزه من أعمال إلى نشر صفحة مطوية من تاريخه العلمي، تلك هي مرحلة عمله في مركز الدراسات والبحوث العلمية، حيث خطط لمشروع علمي رصين، وأسس بنيانه على قواعد متينة، ثم تخيَّرني مع الأخ الدكتور يحيى مير علم للعمل معه، ذلك المشروع هو إحصاء جذور العربية في خمسة من أمّات المعجمات هي تهذيب الأزهري ومحكم ابن سيده وجمهرة ابن دريد ولسان ابن منظور وقاموس الفيروز آبادي، وقد بدأ الأستاذ، ثم أتممنا العمل بإشرافه، وكان لتوجيهاته وملاحظاته أثر كبير في استدراك ما فات غيرنا ممن قام بأعمال إحصائية شبيهة.

وشرع معنا أيضًا بعمل آخر يتصل بعلم التعمية واستخراج المعمى (الشيفرة وكسر التشفير) إذ استقدم من صديقه الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين مجموعًا مهمًا في هذا العلم، وقام بنسخه بخطه، وأشرف على تحقيقنا رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا، ورسالة اللثغة للكندي، وكتب توصيفًا دقيقًا لمخارج الحروف وصفاتها من منظور تراثي.

وبهذا يكون نشاط النفاخ قد توزع على أماكن أربعة: جامعة دمشق، ومجمع اللغة العربية، ومركز الدراسات والبحوث العلمية، وبيته.

وما من شكٍّ في أن هذا الأخير - أعني البيت - لم يكن يقل أهمية عن الأماكن الأخرى، بل هو يجمع بينها، وينظم ما انفرط من حلقاتها. قلت له مرة، وقد بلغني أنه وَجَد عليَّ على أثر تكليفي بتدريس مادة العروض في جامعة دمشق: «لأنْ أكونَ تلميذًا صغيرًا في بيتك أحبُّ إليَّ من أن أكون أستاذًا كبيرًا في الجامعة» فقد كان بيته بحق جامعة لطلاب العلم، ومجمعًا لرواد المعرفة، ومركزًا للعطاء والإبداع.. إنه بيتٌ دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ.

سأشكرُ ما أوليتَ من حسنِ نعمةٍ
ومثلي بشكرِ المنعمين خليقُ

ولا أودُّ أن أدع القلم قبل أن أتمنى على ابن الشيخ الأستاذ - عبدالله أحمد راتب النفاخ - وطلابه ومحبيه أمنيتين:

الأولى: أن يسارعوا إلى تراث الشيخ فينشروه، سواء ما كان منه أعمالاً منجزة - تحقيقًا وتأليفًا - أو ما كان هوامش علمية انطوت عليها أسفار مكتبته، ففي هذا نشر للعلم، ووفاءٌ لأصحابه، ونفع للناس.

والثانية: أن يبادروا إلى تكريم الشيخ فيسهموا في نشر كتاب يحمل اسمه، وينشر فضله، ويدرس آثاره، ويعلي ذكره، ففي هذا إحياء لذكراه، ووفاء بحقه، وردٌّ لبعض جميله على أهل هذا اللسان العربي. وأرجو أن تتحول هذه الأماني إلى حقائق ملموسة، وألا تكون مجرد أمانٍ نعيش بها زمنًا رغدًا، بعد أن صار الشيخ

النفاخ ـ أحسن الله إليه ـ «ميراثًا نتوارثه، وأدبًا نتدارسه، وحنانًا نأوي إليه» كما قال أديب العربية محمود شاكر في شيخه الرافعي، عليهما رحمة الله.

من شعر النفاخ

ولعل خير ما أختم به هذه الكلمة أبيات كان الشيخ النفاخ ينشدها في بعض مجالسه الخاصة، وهي من نظمه، وفيها دلالة على مبلغ فصاحته، وجزالة عبارته، وأصالة انتمائه، وصدق عاطفته، وقد كتبتها من فِلَقٍ فيه:

جحّاف يا ابنَ الأكرمي

نَ من الغطارفةِ الأماجدْ

لازالَ ذكرُكَ عاليًا

ينثو المكارمَ والمحامدْ

لمّا تطاولَ دوبَلٌ

واختالَ تيهًا شِبهَ ماردْ

أرسلتَها في مسمع الـ

أيامِ صَيحاتٍ رَواعِدْ

وشَدَخْتَ أنفَ الشركِ مُصْـ

طَلِمًا لكلِّ عَمٍ مُعانِدْ

أكرِمْ بها من فَتكَةٍ

تمَّتْ بها فتكاتُ خالِدْ (٩)

وأما أنت يا أبا عبدالله فسلام عليك في الأولين الذين عشتَ معهم بقلبك وفكرك، وسلام عليك في الآخرين الذين عشت معهم بعطائك وعلمك، وسلام عليك في الملأ الأعلى يوم الدين.

أسأل الله أن يجزيك عن العربية وأهلها خير ما جزى عالمًا عن قومه ولغته، وشيخًا عن طلابه وتلامذته، ومجاهدًا عن دينه وأمته، وأن يجعل ما قدمت للغة القرآن ذخرًا لك وزلفى عند ربك يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الهوامش والمراجع

١- الأستاذ أحمد راتب النفاخ، ولد في دمشق عام ١٩٢٧م وتوفي فيها عام ١٩٩٢م، من أجلّ أساتذة جامعة دمشق. درَّس في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب

٢- بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٥م وبين عامي ١٩٦٢ و ١٩٧٩م. وانتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٦م. وتفرغ للعمل به منذ عام ١٩٧٩م إلى وفاته.
أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

٣- رواه أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري ٣/١٩.

٤- الشَّخْتُ: بفتح الخاء وسكونها الدقيق من الأصل، لا من الهزال والدقيق الضامر لا عن هزال. والسمين: نقيض المهزول، والفضيلة: المزية والدرجة الرفيعة في الفضل(اللسان: شخت).

٥- تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٨٧٣، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨/٢٣٣، وإنباه الرواة ٣/١٧٤.

٦- تمثل بهذا البيت الأستاذ عبدالهادي هاشم - رحمه الله - في كلمته التي استقبل بها شيخنا النفاخ عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق. انظر مجلة المجمع مج٥٣، ج١/١٩٧٨م ص ٢١٥.

٧- من ذلك على سبيل التمثيل مقالاته الثلاث التي حملت عنوان نظرات في نظرات، ونشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٩، ج٣/١٩٨٤م، ومج ٦٠، ج٢، ج٣/١٩٨٥م.

٨- كان من سوالف الأقضية أن الشيخ كلفني والأخ الدكتور يحيى ميرعلم بجلب مصورة لهذه المخطوطة من مكتبة شهيد علي في تركيا فجلبناها في رحلتنا إلى إستنبول عام ١٩٨١م وجلبنا له أيضا مصورة عن تعليقة أبي علي الفارسي على كتاب سيبويه وكان يعتزم تحقيقها مع الدكتور شاكر الفحام أمتع الله به.

٩- انظر خبر وقعة الجحاف والبشر في ديوان الأخطل عند قصيدته التي مطلعها:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً   إلى الله منها المشتكى والمعوّل



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٧) رمضان ١٤٢٤هـ/ أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: سلوى أحمد حسن. مكة المكرمة. السعودية.
الفائز الثاني: عدنان عبدالجليل منصور: صنعاء. اليمن.
الفائز الثالث: محمد كامل عبدالرحمن محمد: فاقوس. مصر.
الفائز الرابع: ناصر جبر الصالح. عمان. الأردن.
الفائز الخامس: مجد مروان مراد. دمشق. سورية.
الفائز السادس: عبدالقادر جنان. الدار البيضاء. المغرب.
الفائز السابع: ولاء عواد حمد الذبياني. جدة. السعودية.
الفائز الثامن: عبدالعزيز محمد عبدالرحمن. زفتي. مصر.

حل مسابقة العدد (٣٢٧)

١- يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيّده يبقى وإن مات قائله؟
قائل البيت هو: دعبل بن علي الخزاعي.

٢- الفورمالديهايد: غاز عديم اللون نافذ الرائحة.

٣- تريستان تزارا: شاعر روماني باللغة الفرنسية، مؤسس الحركة الدادية Dada.

٤- الصومالو: وحدة النقد في الصومال.

٥- الوحدة الدولية: مقدار من الفيتامينات... إلخ. يحدث أثرًا بيولوجيًا معينًا.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٠)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي
- ☐ جميل بثينة
- ☐ كُثيّر عزة.

(٢) الهليكون:
- ☐ آلة موسيقية
- ☐ عنصر غازي خفيف عديم اللون.

(٣) مينيرفا:
- ☐ إلهة الحكمة عند الرومان
- ☐ فن الرسم على الجص الجاف.

(٤) الطاعون:
- ☐ رواية شهيرة كتبها ألبير كامو
- ☐ إحدى أهم مسرحيات شكسبير الدرامية.

(٥) ابن البيطار:
- ☐ وزير وشاعر أندلسي. صاحب: «الإحاطة في أخبار غرناطة».
- ☐ عالم نبات عربي. أشهر مصنفاته: «الأدوية المنفردة».

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

- اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني
- إصلاح البيت العربي
- صنعاء عاصمة للثقافة العربية
- رحيل المفكر أحمد صدقي الدجاني والمخرج كمال الشيخ
- خاتمة المطاف: أسس تسمية العملات في اللغات الإنسانية


Hassam

اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني

أكد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، أهمية النتائج التي خرج بها المشاركون في اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري الذي عقد في مكة المكرمة في الفترة من ٤ ـ ٨ من ذي القعدة الماضي (٢٧ ـ ٣١ ديسمبر / كانون أول ٢٠٠٣م).

وأوضح سموه في أمام الجلسة الاعتيادية لمجلس الوزراء التي ترأسها، الأثر الكبير لهذا الحوار القائم على الموضوعية والالتزام، واحترام الرأي.

وقال سموه خلال لقائه بالمشاركين في الحوار: إن الحوار يرتكز على ثوابت الدين والوطن والصبر والعمل.

وكانت فعاليات اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني الذي نظمه مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني قد عقدت تحت عنوان «الغلو والاعتدال.. رؤية منهجية شاملة»، وشارك في اللقاء نحو ستين عالماً ومفكرًا، إلى جانب عشرمن المشاركات، وخمسة عشر باحثًا في المجالات السياسية والثقافية والإعلامية، وقد تركزت البحوث في خمسة محاور هي: المحور الشرعي، والمحور الالجتماعي، والمحور التربوي، والمحور السياسي والاقتصادي، والمحور الإعلامي. وجاءت بحوث المشاركين على النحو الآتي:

في المحور الشرعي: قدم الدكتور عبدالرحمن اللويحق ورقة عن «مظاهر الغلو المعاصر»، بينما كان عنوان ورقة الدكتور عبدالله الطريقي «الصلة بين الحاكم والمحكوم وحقوق المواطنة وواجباتها وعلاقة ذلك بالغلو»

أما في المحور الاجتماعي، فقدم الدكتور طارق الحبيب «التربية الدينية في المجتمع»، بينما تناول الدكتور عبدالعزيز الشثري «التنشئة الاجتماعية في البيئة السعودية»، وفي المحور التربوي تناول الدكتور إبراهيم الدعيلج «دور التعليم في بناء الشخصية المتزنة»، وقدم الدكتور عبدالعزيز بن عمر «الأنشطة اللاصفية هل هي محققة للغلو أم للاعتدال؟»، وفي المحور السياسي والاقتصادي قدم الدكتور إحسان بوحليقة ورقة بعنوان «العامل الاقتصادي وأثره في الغلو»، وقدم الدكتور مشاري النعيم ورقة بعنوان «المشاركة السياسية والتطرف»، وللدكتور صالح المانع ورقة بعنوان«قضايا المسلمين على الساحة الدولية: كيف نفهمها ونتعاطى معها؟»، أما في المحور الإعلامي فقدم الدكتور علي بن شويل القرني ورقة بعنوان «الخطاب الإعلامي السعودي.. دراسة تحليلية لتعددية الرؤى الاجتماعية»، وقدم الأستاذ زين العابدين الركابي ورقة عنوانها«هل هناك منهجية إعلامية واضحة لمعالجة ظاهرة الغلو؟»، وقدم الدكتور أحمد الحربي ورقة بعنوان «حرية الرأي والتعبير في وسائل الإعلام وأثرها في فكر الغلو والتطرف».



الأمير عبد الله بن عبد العزيز

إصلاح البيت العربي في الجنادرية

اشتمل المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية ١٩» الذي أقيم مؤخرًا في الرياض على عدد كبير من الفعاليات، وكان« إصلاح البيت العربي» الموضوع الرئيس للنشاط الثقافي، وقد جاء في عدد من المحاور. وضمت قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الأنتركونتيننتال بالرياض الندوات التي عقدت في هذا السياق.

وأدار الندوة الخاصة بالمحور السياسي صاحب السمو الأمير



الأمير سعود الفيصل

تركي بن محمد بن سعود الكبير وكيل وزارة الخارجية المساعد للشؤون السياسية، رئيس الإدارة العامة للمنظمات الدولية. وشارك في الندوة الأستاذ عدنان عمران وزير الإعلام السوري السابق، والأستاذ عرفان نظام الدين.

وافتتح سموه الندوة، مؤكدًا أن النظر في الوسائل لحل مشكلات البيت العربي من الأمور الواجبة، وأن من أهم المبادرات في هذا الشأن مبادرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني التي عبرت عن محاولة صادقة للإصلاح. ثم ألقى سموه كلمة صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية الذي اعتذر عن الحضور لارتباطاته السابقة، وقد احتوت كلمة سموه على جملة من القضايا المحورية في شأن إصلاح البيت العربي.

وقال سموه: «لقد آن الأوان لأن نمتلك الشجاعة الكافية لنقرر أن الإصلاح الذاتي وتطوير المشاركة السياسية هما المنطلقان الأساسيان لتجاوز الأزمة الهيكلية التي تتعرض لها دولنا العربية وهما المدخلان العمليان لبناء النهضة العربية الشاملة والتعامل بموضوعية وواقعية مع المستجدات والمتغيرات المتلاحقة على الساحة الدولية على الصعد السياسية والاقتصادية والتقنية والمعلوماتية».

وتحدث سموه عن مبادرة إصلاح الوضع العربي التي تقدم بها سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مؤملاً بحثها وتبنيها خلال مؤتمر القمة العربية القادمة في تونس، وتؤكد مبادرة الأمير عبدالله لإصلاح الوضع العربي ضرورة تحلي العمل العربي المشترك بالجدية والمصداقية، وذلك عبر وضع آليات محددة وبرامج واضحة ملزمة تضمن الالتزام الأكبر بأسس العمل العربي المشترك والتنفيذ الصادق والأمين لمقررات القمة العربية.

وتناول سموه العوامل المؤثرة المفضية إلى الضعف الممتد في المكون السياسي والنظري والعملي الذي تعانيه الأمة العربية التي تنحصر في ثلاث مجموعات أساسية: تتعلق الأولى بالجغرافيا التاريخية للعالم العربي ذاته، وتتعلق المجموعة الثانية بوجود روابط قوية تتجاوز الانتماء السياسي المباشر وتفوقه أهمية من الناحيتين النظرية والتطبيقية، وترتبط المجموعة الثالثة بالطابع الخارجي والمستورد لمؤسسات الحكم وأجهزة الدولة، وهي الظاهرة التي بدأت تمارس تأثيرها منذ تصاعد النفوذ الأجنبي داخل بنية الدولة الإسلامية في العهد العباسي التي استمرت إلى مطلع العصر الحديث.

وشارك في المحور الثقافي والإعلامي معالي الدكتور محمود بن محمد سفر وزير الأوقاف السابق، والكاتب العربي فؤاد مطر «رئيس تحرير مجلة التضامن»، والدكتور أحمد صدقي الدجاني نيابة عنه ابنه، وأدار الندوة الأستاذ حمد القاضي عضو مجلس الشورى السعودي، وقد عالج المتحدثون عدة قضايا منها المراجعة الدورية للمنظومة التعليمية، والدعوة إلى معالجة الازدواجية القائمة بين التعليم العام والتعليم الديني، والعناية بالنشء، واستهداف عقول الشباب والاهتمام بهم، والاستعانة بالبحوث العلمية في سيكولوجية النفس البشرية وخصائصها.

وفي المحور الاجتماعي شارك فيه كل من: معالي الدكتور علي النملة وزير العمل والشؤون الاجتماعية، والدكتور خليل مدني، والدكتور سعيد محارب، وأدار الندوة الدكتور عبدالله محمد الفوزان، وتناول المتحدثون معالجة الفقر والجوانب المنهجية والأمور الفنية، وجدلية الآثار الاجتماعية والثقافية المترتبة على نتائج التنمية في الوطن العربي، والعنف والعدائيات واستقرار المجتمع، وجدلية الهوية والانتماء في إطار العولمة.

وفي المحور الاقتصادي شارك الدكتور حسين مرهج العماش، والدكتور عبدالعزيز العويشق، والدكتور ماجد عبدالله المنيف، وأدار الندوة الدكتور إحسان علي بوحليقة، وتحدث المشاركون عن مستقبل العمل العربي المشترك في عصر العولمة، ومحاولات العمل الاقتصادي العربي المشترك خلال نصف القرن الماضي، كما تناولوا أسباب ضعف العمل الاقتصادي المشترك.



صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م

تستعد وزارة الثقافة والسياحة اليمنية لإعلان صنعاء عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٤م، من خلال تأسيس البنية التحتية لمنشآت ثقافية، وترتيب بعض الفعاليات الثقافية والفنية والأدبية.

وقال خالد الرويشان وزير الثقافة والسياحة في تصريح صحفي «إن الدول العربية الشقيقة تبدي تفاعلاً كبيرًا وحماسة للمشاركة في فعاليات صنعاء ومهرجانات الشعر والقصة والفكر».

وأضاف أن حفل الافتتاح لإعلان صنعاء عاصمة للثقافة العربية سيقام خلال الأسبوع الثاني من شهر فبراير/شباط عام ٢٠٠٤م في مدينة صنعاء. وقال الرويشان: إن هناك برنامجًا مصريًا وأسابيع ثقافية عربية تحتضنها صنعاء فضلاً عن مؤتمر لوزراء الثقافة العرب ينعقد في أكتوبر/تشرين الأول القادم، مشيرًا إلى أن الوزارة تخطط لزيارة نحو ٣٠٠ شخصية عربية مهمة في مجالات الفكر والفنون والآداب على الأقل من غير الوفود العربية.

وأوضح الوزير اليمني أن الاستعدادات تقوم على محورين: الأول يتعلق بإقامة البنية التحتية، وتشمل مركزًا وطنيًا للمخطوطات، ومراسم وقاعة للفن التشكيلي، وقاعة للمسرح في الهواء الطلق، وأخرى مغلقة، وهناك تقنية الصوت والضوء للتوثيق الغنائي.

وقال: إن المدينة الثقافية الصغيرة ستشمل قاعة مسرح صغير وآخر للفولكلور والأزياء اليمنية التقليدية، إضافة إلى مركز خاص بالمعمار اليمني المتنوع.

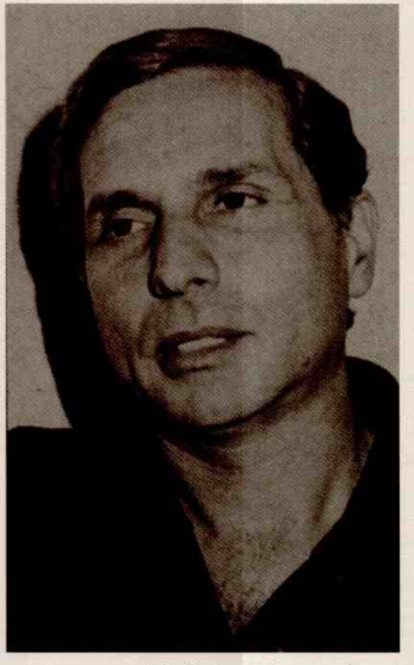
أما المحور الثاني فيقوم على النشاط الإبداعي والثقافي، ويتضمن مهرجاناً للشعر وآخر للقصة، وثالثاً للفكر مثل مهرجان الشوكاني، وهناك تجمع كبير للروائيين العرب، إضافة إلى أسابيع ثقافية يمنية بحيث تقام على مدار شهر بفعاليات ودراسات وعروض إبداعية.

وذكر وزير الثقافة اليمني أن هناك عددًا من البرامج التي تشارك فيها الوفود الأجنبية ضمن برنامج الفعاليات الثقافية لصنعاء ٢٠٠٤م، وهي برنامج ألماني وفرنسي، وإيطالي، وياباني، بالإضافة إلى المشاركات من عدة دول عربية.

رحيل المفكر أحمد صدقي الدجاني

شيعت القاهرة في الثلاثين من ديسمبر/كانون الأول من العام الماضي جثمان الكاتب والباحث والمفكر الفلسطيني الدكتور أحمد صدقي الدجاني عن عمر يناهز ٦٨عامًا بعد صراع مع المرض دام نحو شهر.

ولد الدجاني عام ١٩٣٦م في مدينة يافا التي أصبحت جزءًا من مدينة تل أبيب بعد نكبة فلسطين، وتلقى تعليمه الابتدائي في يافا قبل أن تهاجر أسرته إلى سورية وتحديدًا إلى اللاذقية حيث تلقى تعليمه الثانوي، ثم اتجه إلى دمشق وحصل من جامعتها على ليسانس في قسم التاريخ عام ١٩٥٨م بالإضافة إلى علوم القرآن والفقه والسيرة. وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة، وأقام في مصر منذ عام ١٩٦٨م حيث جعلها وطنه الثاني.



أحمد صدقي الدجاني في شبابه

والمفكر الراحل باحث متخصص في الدراسات التاريخية والمستقبلية والفكر السياسي، وله في هذه المجالات أكثر من ٥٠ مؤلفًا من أهمها «السنوسية» ١٩٦٧م، و«هذه الليلة الطويلة» مسرحية ١٩٧٢م، و«العرب وتحديات المستقبل» ١٩٧٦م، و«نظرات في تاريخ فلسطين» ١٩٧٨م، و«مستقبل الصراع العربي الصهيوني» ١٩٨٨م،

و«الانتفاضة الفلسطينية وإدارة الصراع» ١٩٩١م، وغيرها. وله عدد كبير

من المقالات المنتظمة في عدد كبير من الدوريات العربية بالإضافة إلى حضوره المتميز في كثير من المؤتمرات والملتقيات العربية والإسلامية والعالمية كان آخرها مشاركته في مهرجان الجنادرية قبل وفاته بأيام قليلة.

وبجانب الإسهامات الفكرية كان للمفكر الراحل إسهامات في مجالات أخرى، إذ يعد الدجاني أحد مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م وشغل فيها عدة مناصب، وقد استقال من هيئات المنظمة احتجاجًا على اتفاقات أوسلو، وأسهم في تأسيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان في أواسط الثمانينيات وكان نائبًا لرئيس مجلس أمنائها، كما كان عضوًا في منتدى الفكر العربي، ومؤسسة الفكر العربي، ومؤسسة آل البيت في الأردن، والمجلس الملكي للبحوث والحضارة الإسلامية في الأردن، وهو عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو في الأكاديمية الملكية المغربية التي تضم نخبة من مفكري الوطن العربي، كما عمل أستاذًا للتاريخ الحديث في عدد من الجامعات العربية، وأشرف على عشرات الرسائل الجامعية.

وقد أدّى المفكر الراحل دورًا كبيرًا في تأسيس المؤتمر القومي العربي في بداية التسعينيات، وانتخب عضوًا في أمانته العامة على مدى ١٣ عامًا، كما أسهم أيضًا في تأسيس المؤتمر القومي الإسلامي عام ١٩٩٤م، وكان أول منسق عام لهذا المؤتمر.

وقد نعاه المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي في بيان مشترك، ووصف البيان الدكتور الدجاني بأنه «كان عروبيًا قوميًا وحدويًا في فلسطين، وكان فلسطينيًا وطنيًا استقلاليًا في المحافل العربية والإسلامية والدولية»، كما نعاه الأمين العام لاتحاد الصحافيين العرب إبراهيم نافع في بيان قائلاً: «إن الثقافة والفكر والصحافة العربية فقدت رائدًا مستنيرًا، وكاتبًا مرموقًا ساهم طوال حياته في إثراء الفكر العربي والدفاع عن الثقافة العربية وحرية الرأي والتعبير».

إتمام كتاب الأعلام

يعّد كتاب خيرالدين الزركلي «الأعلام» من أشهر مؤلفاته على الاطلاق، وقد ارتبط هذا الكتاب باسم صاحبه حتى طغى على باقي مؤلفاته الشعرية والتاريخية والمسرحية.

والمعروف أن هذا الصنف من الكتابة يحتاج إلى رعاية دائمة وملاحقة ومتابعة مستمرة، فهو لا يكتمل أبدًا، وكان الزركلي قد أصدر هذا العمل في أربع طبعات، وظل يتعهده بالرعاية والمتابعة منذ صدور طبعته الأولى في عام ١٩٢٧م حتى وفاته عام ١٩٧٦م، إذ وجدت تحت وسادته وهو على سرير المرض في المستشفى بعض قصاصات الورق التي تحوي الجديد من الأعلام.

ولكن هذا العمل لم يجد من يتابعه بعد وفاة صاحبه باستثناء بعض المحاولات القليلة مثل محاولة القاضي إسماعيل الأكوع الذي حاول في مقالة له نشرت في مجلة العرب عام سنة ١٣٩٤هـ تصحيح الهفوات التي وقعت في الكتاب، ومحاولة الباحث أحمد العلاونة في كتابه «ذيل الأعلام»، وكتاب «الأعلام بتصحيح كتاب الأعلام» لمحمد عبدالله الرشيد، ثم كانت أكبر المحاولات لإكمال هذه الموسوعة ما قام به في مدينة الرياض عبدالعزيز الرفاعي في كتابه «فوات الأعلام»، ولكن الموت عاجله قبل الفراغ من إتمام هذا الكتاب، فقامت دار الرفاعي بنشره على ما هو عليه لما فيه من الفائدة.

وقد تصدى لإتمام هذا العمل مؤخرًا المؤلفان عزيز أباظة ومحمد رياض المالح، اللذان قاما بجمع المادة وإخراجها على المنهج نفسه الذي اتبعه الزركلي في موسوعته، وقد صدر الكتاب حديثًا بعنوان «إتمام الأعلام» عن «دار صادر» في بيروت بعد وفاة أحد المؤلفين وهو محمد رياض المالح الذي رحل عن هذه الدنيا قبل ما يقرب من عامين.

والمعروف أن هذا النوع من الكتابة يحتاج إلى مؤسسات بحثية ترعاه وتجمع مادته وتضعها بين يدي الباحثين الذين يقومون بصياغتها، وهو أسلوب متبع في الغرب في مثل هذا النوع من الكتابات، ومن حسناته أن المادة تخضع لأكثر من رأي مما يخفف من مغبة النزعات الشخصية.



رحيل المخرج كمال الشيخ

شيّعت مصر في بداية يناير/كانون الثاني الماضي جثمان المخرج السينمائي كمال الشيخ الذي غيبه الموت في أحد مشافي القاهرة عن عمر يناهز ٨٥ عامًا بعد معاناة من التهاب حاد في الأعصاب. وقد شارك في التشييع حشد هائل من السينمائيين والفنانين المصريين. ويعد كمال الشيخ من رواد الإخراج السينمائي في مصر والعالم العربي، واشتهر بأفلام الإثارة التي تنتمي إليها أغلب أفلامه حتى لقب - دون رضاه - بـ «هتشكوك العرب».

ولد المخرج الراحل عام ١٩١٩م، وبدأ مسيرته الإخراجية بالعمل مساعدًا بقسم الانتاج في إستديو مصر حينما كان يرأس هذا القسم المخرج الراحل نيازي مصطفى، ومارس الإخراج عمليًا في بداية عام ١٩٥٢م بأعمال تسجيلية، وكانت أول أفلامه الروائية «المنزل رقم ١٣»، وبلغ عدد الأفلام الروائية التي أخرجها نحو ٣٤ فلمًا كان آخرها «قاهر الزمان» عام ١٩٨٥م، ثم اتجه إلى الأفلام ذات البعد السياسي بعد هزيمة ١٩٦٧م، مثل «الرجل الذي فقد ظله» و«ميرامار» و«بئر الحرمان» و«غروب وشروق» و«على من نطلق الرصاص» و«الصعود إلى الهاوية».

وكرمته الدولة بمنحه جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ١٩٩٣م، كما رشحته نقابة المهن السينمائية العام الحالي لنيل جائزة مبارك في الفنون.

إصدارات جديدة عن الطائف

صدر عن لجنة المطبوعات في اللجنة العامة للتنشيط السياحي في محافظة الطائف عدد كبير من الكتب التي تخطت الأربعين كتابًا حتى اليوم، تناولت تاريخ الطائف وآثارها وجغرافيتها وآدابها وعاداتها وتقاليدها وحرفها وصناعتها وفنونها ومظاهرها الحضارية، وخاصة في العهد السعودي الزاهر، وقد صدر حديثًا عدد من الكتب، منها: «سمات الطائف الحضارية في عهد خادم الحرمين الشريفين» للدكتور يوسف بن علي بن رابع الثقفي، و«الطائف .. العاصمة الصيفية للمملكة العربية السعودية» للدكتور أنجلو بسك، ترجمة وتحقيق الدكتور يوسف بن علي بن رابع الثقفي، و«المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة» للدكتور ناصر بن علي الحارثي، و«عصارة القلم في ذكر الله وجوامع الحكم» للشيخ محمد الطيب بن محمد اليوسف، و«ديوان المجرور الطائفي» للأستاذ الشريف محمد بن منصور آل عبدالله، و«ثراء الآثار في محافظة الطائف» تأليف وتصوير الأستاذ حماد السالمي. رئيس لجنة المطبوعات، (طبعة ثالثة)، و«الطائف القديمة أو بقايا الأمس» تصوير الأستاذ حماد السالمي، (طبعة ثانية).

بيت الكاتب، حي السلامة (تصوير حماد السالمي)



جائزة مالك حداد

فاز بجائزة مالك حداد التي أسستها الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي وترعاها بالتعاون مع رابطة كتّاب (الاختلاف) لهذا العام إنعام بيوض عن عملها «السمك لا يبالي» وعيسى شريّط عن عمله «لاروكلا»، وتم توزيع الجائزة في حفل حضره جمع غفير من الأدباء والمثقفين الجزائريين والعرب، وقد جاء توزيع الجائزة هذا العام متزامناً مع استضافة الجزائر المؤتمر الثاني والعشرين للكتّاب العرب.

وتعد جائزة مالك حداد من أهم الجوائز الأدبية في الجزائر التي تدعم كتّاب العربية، وتبلغ قيمتها ٤٠ مليون دينار (نحو ٤ آلاف دولار)، وهي واحدة من ثلاث جوائز أدبية تمنحها ثلاث جمعيات ثقافية بأسماء رواد الثقافة الجزائرية باللغتين العربية والفرنسية: الجائزة الأولى هي جائزة مفدي زكريا للشعر التي تشرف عليها «الجاحظية» برئاسة الروائي الطاهر وطار، والثانية هي جائزة محمد ديب للرواية الفرنسية التي أعلن عنها هذه السنة.

وكان الكاتبان إبراهيم سعدي وياسمينة صالح قد فازا بهذه الجائزة مناصفة في دورتها الأولى، وقد تم نشر أعمالهما في دار الآداب في بيروت، كما ترجمت أعمالهما إلى اللغة الفرنسية بمناسبة سنة الجزائر في فرنسا.

أحلام مستغانمي



موسوعتان سوريتان

أصدرت وزارة الثقافة السورية موسوعة من أربعة أجزاء تبحث في معاني الكلمات العامية التي تستخدم في سورية وأصولها.

وذكرت وكالة الأنباء السورية «سانا» أن: «موسوعة العامية السورية في التفصيح والتأصيل والمولد والدخيل تبحث في معاني الكلمات العامية الدارجة في سورية وخصوصًا في منطقة الساحل»، وأضافت: «أن المؤلف ياسين عبدالرحمن عمل على تثبيت لفظ الكلمات، وتوضيح معناها أو دلالتها في أذهان العامة، كما حقق في أصل الكلمات، وهل هي تحريف أو تصحيف للفظة عربية فصيحة، أم أنها لغة سامية كالسريانية أو غيرها»

من جهة أخرى، أصدر الباحث السوري فواز الأزكي المدرس في جامعة تشرين باللاذقية الجزء الأول من موسوعة جيولوجية هي الأولى من نوعها باللغة العربية في هذا المجال، ورتبت أجزاء الموسوعة البالغة ٢٨ جزءًا، حسب الأبجدية العربية، واحتوى الجزء الأول على ٥٢٤ مصطلحًا جيولوجيًا يبدأ بحرف الألف، وقد زود كل مصطلح بشرح وافٍ مدعم بالصور والخرائط والأشكال، بالإضافة إلى ترجمة جميع المصطلحات إلى اللغة الإنجليزية، واشتملت الموسوعة أيضًا على صور ملونة لجميع الفلزات والصخور والأشكال التي يؤدي لونها دورًا مهمًا في التعرف إليها بشكل أدق.

وتقع الموسوعة في ٥ مجلدات، وستصدر تباعًا في ٥ أعوام بواقع مجلد كل عام، وقد تمت كتابة الموسوعة بلغة سهلة وميسرة، تفيد الباحثين والطلاب في مجال الجيولوجيا والجيوفيزياء والجيوغرافيا، والبيولوجيا، والزراعة، والبيئة والهندسة المدنية، والاستشعار عن بعد.

الآثار واللصوص

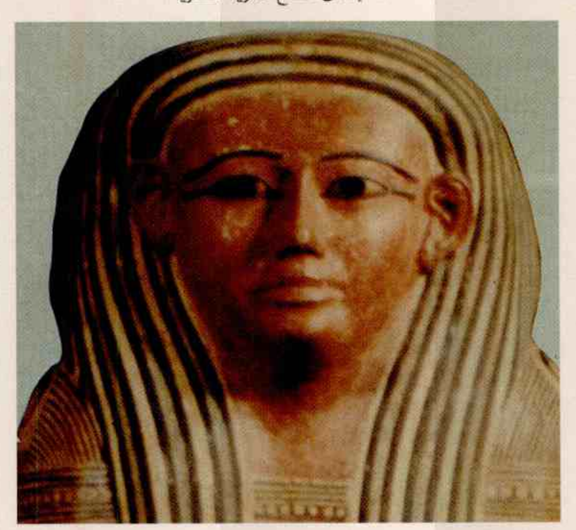
قامت وزارة الثقافة المصرية مؤخرًا بتشكيل لجنة لحصر جميع القطع الأثرية التي هُربت خارج البلاد تمهيدًا لاتخاذ الإجراءات القانونية الكفيلة باسترداد ما يتم حصره من آثار مسروقة منتشرة في عدد من دول العالم. وقال الدكتور زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار: إن اللجنة ستقوم بالتنسيق الدولي لملاحقة مافيا الآثار، كما تم تشكيل وحدة تضم خبراء في ٢٦ منفذًا من المنافذ البرية والبحرية والجوية لمنع تسلل أي قطع جديدة خارج مصر. وأضاف حواس أن اللجنة المشكلة ستفرغ قريبًا من حصر كل القطع المسروقة التي خرجت من مصر بصورة غير مشروعة بعد عام ١٩٧٢م، وأكد أن الوزارة قامت بجهود جبارة في الفترة الماضية أسفرت عن استعادة كثير من القطع المسروقة.

وعلى الصعيد نفسه شددت السلطات اليمنية إجراءات المراقبة في المطارات والموانئ وغيرها بهدف الحد من ظاهرة تهريب الآثار اليمنية إلى الخارج التي تنامت في السنوات الأخيرة بصورة كبيرة.

وكانت السلطات اليمنية قد أحبطت محاولة تهريب عدد كبير من القطع الأثرية إلى خارج اليمن كانت في حوزة بعض الدبلوماسيين لم تحدد السلطات هوياتهم، كما قامت بضبط نحو ٣٥٠٠ قطعة أثرية في المنافذ الحدودية في أثناء محاولة تهريبها من قبل عناصر مختلفة، خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٣م.

وكانت الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات اليمنية قد وجهت خطابًا إلى وزارة الداخلية في صنعاء تخطرها بتزايد أنشطة عصابات التهريب التي تشارك فيها شبكات ومنظمات خارجية.

إحدى القطع الأثرية المصرية



جمعية للناشرين السعوديين

تم مؤخرًا انتخاب أول مجلس إدارة لجمعية الناشرين السعوديين يتكون من ١٣ عضوًا، وقد تم اختيار أحمد فهد الحمدان رئيسًا لمجلس الإدارة، والدكتور إبراهيم بن حمد القعيد نائبًا له، والأستاذ عبدالله بن حسن الصميعي أمين سر، والأستاذ عمر باجخيف أمينًا للصندوق.

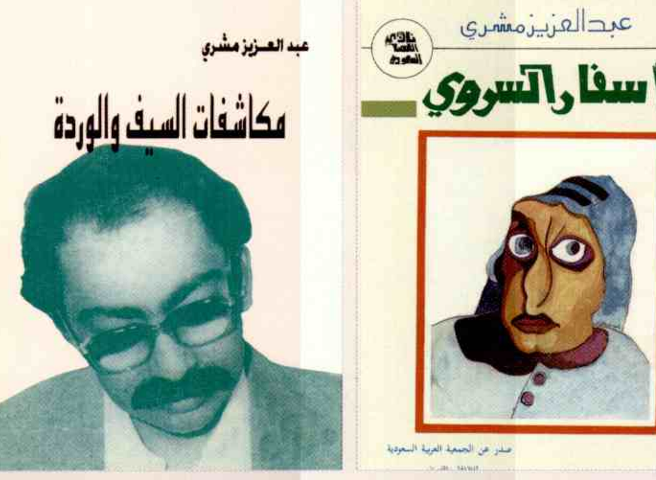
ويتكون مجلس الجمعية الجديد من: أحمد فهد الحمدان (مكتبة الرشد)، وإبراهيم بن حمد القعيد (دار النشر الدولي)، ود. عبدالإله بن محمد المؤيد (مكتبة المؤيد)، ومحمد بن عبدالرحمن العبيكان (مكتبة العبيكان)، ومحمد بن ناصر الرشيد (دار طيبة)، ومحمد بن علي الوزير (دار كنوز المعرفة)، وسالم بن صالح الملق (دار الأندلس)، وعبدالله بن حسن الصميعي (دار الصميعي)، وعبدالعزيز بن إبراهيم الشبانات (دار عالم الكتب)، وماضي بن حمد الماضي (دار الوطن العربي)، وعمر بن سالم باجخيف (دار المنهاج)، وفهد بن محمد باخضير (شركة تهامة للإعلان)، وخالد بن عبدالله الشقري (مكتبة الشقري).

الأعمال الكاملة لعبدالعزيز مشري

صدر حديثًا المجلد الثاني من أعمال الكاتب السعودي الراحل عبدالعزيز مشري بجهد من أصدقاء الإبداع أصدقاء عبدالعزيز مشري، ويضم هذا المجلد كتاب «مكاشفات

السيف والوردة»، وأربع روايات أخرى هي «الغيوم ومنابت الشجر» و«ريح الكادي» و«الحصون» و«صالحة»، وقد جاء في كلمة الأصدقاء التي كتبها علي الدميني وأحمد مشري: «في هذه الوقفة التي نطمح إليها بأن تكون وقفة وفاء وإسهام في تكريس ضوء الكتابة ومعناها، التي عاشها (المعنى) وانفعل بها موقفًا وإبداعًا، وفي هذه الوقفة، لا ننزع كلامًا من بئر الفراغ، ولكننا نقلب في أعماقنا، عوالم روايات عبدالعزيز مشري السبع التي نشر منها - حيًا - ست روايات، وترك لنا يومه السابع «المغزول»، في مسودته الأولى مكتوبًا بخط يده، ووعده بالاستمرار».

والمعروف أن أصدقاء عبدالعزيز مشري كان قد سبق لهم أن أصدروا من قبل كتابًا توثيقيًا عن الكاتب الراحل بعنوان (ابن السروي وذاكرة القرى) اشتمل على حوار مطول معه بالإضافة إلى عدد كبير من القراءات النقدية التي كتبها نقاد ومتابعون لإبداع مشري من داخل المملكة وخارجها، كذلك قاموا بإعادة طباعة مجموعاته القصصية القصيرة وإصدارها في مجلد ضخم، ويستعد الأصدقاء حاليًا لإصدار الجزء الثالث من أعمال الروائي الراحل الذي سيضم روايتيه المنشورتين «الوسمية» و«في عشق حتى»، بالإضافة إلى روايته الأخيرة «المغزول» التي لم تنشر من قبل.





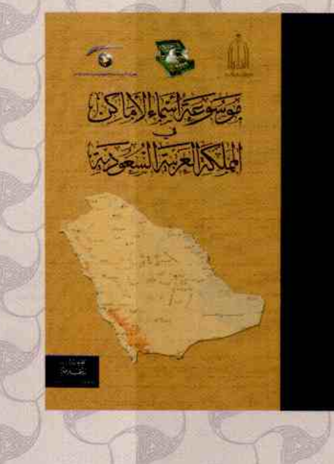
العراق يتجاهل السياب

تجاهلت وزارة الثقافة العراقية الجديدة مرور ذكرى وفاة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب التي كانت في الرابع والعشرين من ديسمبر/كانون الأول الماضي، ولم تتعد مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة بعض المقالات التي نشرت في الصحف المحلية وحفلاً تأبينيًا أقامته مدينة الشاعر (البصرة) زار فيه عدد من الأدباء منزل الشاعر الواقع في قرية (جيكور) التابعة لقضاء (أبي الخصيب)، وطالبوا خلال الزيارة باستمرار الصيانة التي توقفت عقب احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية.

وكان السياب قد توفي في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٦٤م في الكويت ونقل جثمانه إلى مدينة البصرة، بعد أن ترك ما يزيد على ٢٤ مؤلفًا من دواوين شعرية وترجمات إبداعية وفكرية.

وعزا بعض المراقبين هذا التجاهل إلى ضيق أفق من قبل وزارة الثقافة العراقية التي نظرت إلى السياب من منظار أيديولوجي، إذ كان الشاعر الراحل قد ارتبط بالحزب الشيوعي في بداية الأربعينيات من القرن الماضي ثم ابتعد عنه متبنيًا الفكر القومي، مما حدا بالشيوعيين إلى مقاطعة الشاعر، واستنادًا إلى ذلك - بحسب بعض الأدباء - «تجاهلت وزارة الثقافة الاحتفال برحيله»، ومن هذه النظرة الأيديولوجية نفسها كانت مؤسسات النظام العراقي السابق تهتم بالشاعر وبذكراه وآثاره الفنية.

من جانبها، أعلنت وزارة الثقافة العراقية على لسان وزيرها مفيد الجزائري أن الوزارة قررت تنظيم احتفال لجميع الفنانين والمثقفين والشعراء العراقيين الذين أبدعوا خلال الفترات الماضية من تاريخ العراق، وقال الوزير العراقي: «إن وزارتنا مقبلة على الاحتفاء بذكرى وجوه الثقافة والفن والإبداع والعلم العراقيين وستسعى إلى الاحتفال مرة واحدة على الأقل في كل شهر بأحد كبار ممثلي الثقافة العراقية».



موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م؛ (٦مج).

تشتمل هذه الموسوعة على جميع الأسماء الواردة في الخرائط الطبوغرافية الأساسية للمملكة العربية السعودية، إضافة إلى أسماء الأماكن التي لم تغط في تلك الخرائط، إذ تصل إلى ما يربو على ٧٣ ألف اسم مع بيان كتابتها بالحروف اللاتينية، وقد قام بإعدادها نخبة من ذوي الاختصاص الذين توافرت لديهم خبرة طويلة في هذا المجال لمشاركتهم في الأعمال الحقلية.

وتتكون الموسوعة من ستة أجزاء يضم الجزء الأول في قسم منه معلومات عن جيولوجية المملكة وجغرافيتها، كما يضم مع الأجزاء الأربعة الأخرى أسماء الأماكن، ويحوي الجزء السادس خرائط جغرافية وطبوغرافية للمملكة ومناطقها الإدارية.استغرق العمل في إعداد هذه الموسوعة نحو عشر سنوات،وقد مرت بالمراحل الآتية:

أولاً: تصنيف الأسماء وتشمل: أسماء بحرية، وجبلية، ورملية، وزراعية، وسكنية، ومنشآت، وطرقاً، ومجاري مياه، ومجمع مياه، ومستويات، ومنخفضات، ومناطق، وموارد مياه.

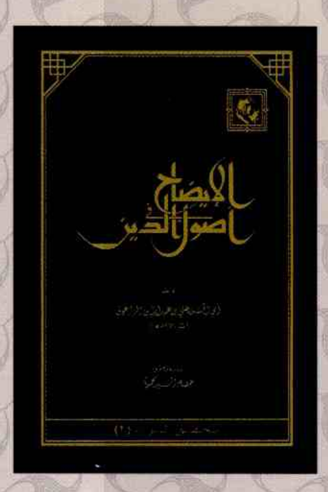
ثانيًا: تصميم نموذج قائمة الأسماء، فقد صمم نموذج خاص لقوائم الأسماء يحوي اسم الموقع بالحروف العربية واللاتينية وتصنيف الاسم، إضافة إلى الإحداثيات الجغرافية، وكذلك رقم الخريطة، واسم المنطقة الإدارية التي يقع فيها الاسم.

ثالثًا: تحديد نطاق الإشراف الإداري للمناطق الإدارية، إذ حدد نطاق الإشراف الإداري لكل منطقة إدارية على الخرائط حسب ما توافر من معلومات.

رابعًا: نقل الأسماء من الخرائط وإعداد قوائم الأسماء.

خامسًا: إدخال المعلومات في الحاسب.

سادسًا: أضيفت بعض الأسماء الجغرافية المهمة التى تغطي مساحات كبيرة أو أسماء أقاليم لم يرد ذكرها في الموسوعة؛ وذلك لعدم توضيحها في الخرائط لصعوبة تكرارها، مثل: جبال الحجاز، والربع الخالي، والقصيم، وسدير، والمحمل، والوشم، وغيرها.



الزاغوني، أبو الحسن علي بن عبدالله/ الإيضاح في أصول الدين، تحقيق: عصام السيد محمود ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٧٠١ص (تحقيق التراث؛ ٢).

الزاغوني: هو علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيدالله بن سهل بن السري الشهير بابن الزاغوني البغدادي، الفقيه المحدث المتكلم، أحد أعيان المذهب الحنبلي ولد سنة خمس وخمسين وأربعمئة من الهجرة.

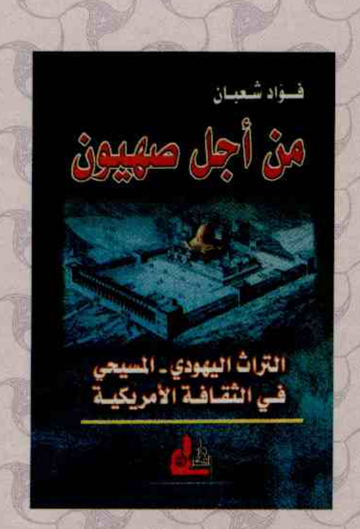
يقول عنه تلميذه ابن الجوزي «كان متفننًا في علوم شتى، مصنفًا في الأصول والفروع، أنشأ الخطب والوعظ، وصحبته زمانًا فسمعت منه الحديث، وعلمت عنه الفقه والوعظ، وله تصانيف كثيرة منها: في الفقه، مثل: الإقناع، والواضح، والخلاف الكبير، والمفردات في مجلدين وهي عامة مسائله، ومناسك الحج، ومسائل في القرآن، وفي الفرائض له التلخيص، وجزء في عويص المسائل الحسابية.

أما في أصول الدين فله هذا الكتاب، وله أسماء الموتى في قبورهم، وله مصنف في حياة الأنبياء بعد الموت، وفي التاريخ له تاريخ على السنين من ولاية المسترشد إلى حين وفاته، وله ديوان خطب من إنشائه، ومجالس من الوعظ، وله كتاب في الوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ في القرآن.

وقد توفي يوم الأحد في السادس عشر من المحرم سنة سبع وعشرين وخمسمئة، وله اثنتان وسبعون سنة، ودفن بمقبرة أحمد بباب حرب.

وقد قسم المحقق هذا الكتاب إلى قسمين: قسم الدراسة، وقسم التحقيق.

ينقسم قسم الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول، وخاتمة، وجاء المدخل عن ابن الزاغوني حياته وعصره. أما الفصل الأول فقد جعله في الأسماء والصفات، والفصل الثاني في صفة الكلام لله تعالى، والفصل الثالث في القضاء والقدر، أما قسم التحقيق فيشتمل على مقدمة، ثم نص الكتاب، وقد قسمت المقدمة في تحقيق اسم الكتاب، ونسبته، ووصف المخطوطات، وقد قسم ابن الزاغوني كتابه إلى مقدمة، وسبعة أبواب هي: القول في الصفات، والقول في القرآن، والقول في القدرة، والكلام في الرؤية، والقول في الوعيد، والقول في النبوات، والقول في الإمامة.



شعبان، فؤاد/ من أجل صهيون: التراث اليهودي ـ المسيحي في الثقافة الأمريكية ـ دمشق: دارالفكر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٤٨ص.

يتضمن هذا الكتاب أربعة فصول رئيسة وفصلاً خامسًا للملاحق:

يشتمل الأول على ثلاثة فصول هي: كريستوفر كولومبس واكتشافه الأراضي المقدسة، والأرضية التاريخية للتراث اليهودي ـ المسيحي، والجدال حول تهويد المسيحية.

الباب الثاني، وفيه ستة فصول: الأول تمهيد تاريخي عن التراث اليهودي ـ المسيحي في أمريكا، والثاني: الحجاج الطهوريون الذين وصلوا أمريكا، والثالث «رؤيا صهيون» الأمريكية: استغراق أمريكا بصورتها الذاتية كمدينة على الجبل أو القدس الجديدة، والفصل الرابع عن الشعار الوطني للولايات المتحدة وعلاقته بموضوع البحث، والفصل الخامس بعنوان «نجمة الشرق، ونجمة الغرب».

والفصل السادس عن الممارسات العبودية التي قادت إلى استعباد المستوطنين الأفارقة في العالم الجديد.

ويوضح الباب الثالث دور الدين في أمريكا من خلال علاقة التراث اليهودي المسيحي بـ ١١ سبتمبر، ودور الدين في الحياة السياسية، واليمين المسيحي، وبعض قادته.

ويبين الباب الرابع التوقعات الأمريكية لآخر الزمان، تطرق من خلاله المؤلف إلى ما يسمى بـ«الألفية» التي تعني في الفكر المسيحي الغربي فترة الألف التي تأتي في الزمان ويحكم فيها المسيح مملكته الأرضية عند مجيئه الثاني، وقد حدث بعض الخلط بين المفهومين نتيجة رواج الأفكار الألفية وبصورة خاصة عندما ادعى بعض دعاة نهاية الزمان، أن هذه المملكة الألفية تتوافق زمنيًا مع الألف التقويمي، وقد أدى ذلك إلى ما يسمى «بالحمى الألفية» التي انتشرت في الأوساط الدينية اليمينية في أمريكا في العقود الأخيرة من الألفية الثانية، كما

تطرق المؤلف إلى ظاهرة رواج التوقعات والنبوءات التي تشير إلى اقتراب نهاية العالم ونزول مملكة الله، وتناول المؤلف القراءات الأصولية المسيحية للنصوص المقدسة التي تقول بعودة اليهود إلى أرض وعدهم بها الله، وتسوغ تأسيس دولة سياسية في هذه الأرض.

ويتناول الفصل الرابع ما يسمى بخطة الله للدهر، إذ يأخذ النبوئيون مجموعة من أساطير وكتب العهدين القديم والجديد، ويشكلون منها صورة عامة للأحداث التي سوف تقع عند اقتراب آخر الزمان، ويدّعون بأنها الفصل الأخير من خطة الله للكون، ويعدد الفصل الخامس عناوين، ومؤلفي الكتب، ومواقع الإنترنت التي تعالج نهاية الزمان والنبوءات.





تود، إيمانويل/ ما بعد الإمبراطورية: دراسة في تفكك النظام الأمريكي، ترجمة: محمد زكريا إسماعيل- بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣، ٢٢٣ص.

يرى المؤلف أن «الإمبراطورية الأمريكية تعاني تصدعًا داخليًا خطيرًا ينذر بأفولها وزوالها، وتدرك الولايات المتحدة هذا الخطر، وتعيش بسببه صداعًا سياسيًا، وتشن حروبًا مسرحية صغيرة على الإرهاب، وأفغانستان، والعراق بقصد التعمية والتمويه على حقيقة ضعفها وقرب انهيار نظامها».

يتنبأ الكتاب بسقوط وشيك للإمبراطورية الأمريكية. وهو في ذلك يدق ناقوس الخطر في اتجاهين: فمن جهة يحذر الولايات المتحدة من قرب تحلل هيمنتها وإمبراطوريتها، وينبه من جهة أخرى من يعنيهم الأمر إلى العمل على تسريع هذا السقوط.

فالمؤلف تنبأ من قبل بانهيار الإمبراطورية السوفييتية قبل وقوعه، ويحذر الولايات المتحدة من مصير مشابه، ويبين هشاشة نظامها وضعفه، ويرى أن ركودها الاقتصادي المطّرد، وتراجع قدراتها الاقتصادية والعسكرية والأيديولوجية لا يسمحان لها بالسيطرة فعليًا على عالم أصبح شديد الاتساع، وينبئان بانهيار حلمها الإمبراطوري، ويبين أن الولايات المتحدة ستخسر معركتها الأخيرة في الهيمنة على العالم؛ لأنها فقدت قدرتها على السيطرة على محاور العالم الاقتصادية (أوربا، روسيا، اليابان، الصين) وإذا أصرت على أن تثبت قوتها الهائلة، فلن تفلح أكثر من أن تكشف للعالم عجزها، وتسرع سقوط إمبراطوريتها.



العليان، عبدالله علي/ الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م، ١٤٤ص.

عندما اختار المؤلف هذه الدراسة كان متهيبًا من هذا الاختيار لعدة أسباب، منها أن الاستشراق تعرض لكثير من النقد والسهام، من الكثير من الكتاب والباحثين الذين لهم مكانتهم العلمية، وسمعتهم العالمية، ومن هؤلاء: المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد في كتابه المعروف «الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء» الذي هز سمعة المعرفة الاستشراقية تاريخًا، وشخصيات، وأحداثًا، وفند بالأسلوب العلمي الكثير من الأغراض والأهداف السلبية لنشاطه ومنهجيته.

ويرى الباحث من خلال بحثه المتخصص في دور المستشرقين في كشف التاريخ العربي، أن التعميم والمبالغة في نقد كل أعمال المستشرقين وربطهم بالاستعمار والتنصير والتبشير لا

يستقيمان مع العدل والموضوعية، فضلاً عن المنهجية والعلمية في الطرح والمناقشة، وعلينا أن نفرق بين الاستشراق الإيديولوجي غير المنصف، والاستشراق العلمي الذي قدم الكثير من الأعمال الجليلة لتراثنا وتاريخنا، وروائع حضارتنا.

وقد ناقش المؤلف جهود المستشرقين في بابين: الأول: تمهيد بثلاثة فصول عن مفهوم الاستشراق، ونشأته وتطوره، ودوافعه وأهدافه، ويركز الباب الثاني في جهود المستشرقين في كشف التاريخ العربي مثل دراسة المخطوطات، والدراسات الأدبية، والتاريخية، والعلمية، والآثار.



مجموعة باحثين/ العولمة وتداعياتها على الوطن العربي- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٣هـ، (سلسلة كتب المستقبل العربي؛٢٤).

لاتزال العولمة تطرح أسئلتها وتحدياتها بحدة على العالم، وهذه التحديات على المجتمعات والدول التي ليست في عداد قواها، والتي تجد نفسها ضعيفة الممانعة لأحكامها القهرية، مثل مجتمعات ودول الجنوب، ومنها الوطن العربي، فالثابت أن العولمة تكرس انتصار المجتمعات الرأسمالية المتروبولية المتقدمة، في المنافسة الاقتصادية والعلمية والتقانية العالمية، وتفتح أمامها مجددًا فرصًا أوفر لمزيد من إحراز النجاحات على صعيد تعظيم الثروة والتفوق واحتكارهما.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من الدراسات والبحوث لعدد من الباحثين والأكاديميين العرب، تتوزع على ثلاثة فصول رئيسة: يهتم الأول بالمفهوم والآليات والحركة، وتضمن بحثي: «جدلية العولمة بين الاختيار والرفض» لعبدالجليل كاظم الوالي، و«عولمة السياسة والعولمة السياسية» لعبدالخالق عبدالله، والثاني يبرز تحديات العولمة ويضم البحوث الآتية: «العرب والعولمة: مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل» لمهيوب غالب أحمد، و«العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي» لحمدي عبدالرحمن حسن، و«الدولة والعولمة في الوطن العربي في ضوء مفهوم الدولة الوطنية» لمحمد عبدالشفيع عيسى، و«العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي» لمحمد إبراهيم منصور.

ويبين الفصل الثالث أثر العولمة في الإعلام والثقافة، وتضمن البحوث الآتية:«وسائل الإعلام والعولمة» للصادق رابح، و«إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك» للسيد أحمد مصطفى عمر، و«العولمة والإعلام العربي: فرضيات ونتائج» لحميد جاعد الدليمي. و«العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث» لجلال أمين، و«العولمة والخيارات المستقلة» لأحمد ثابت.



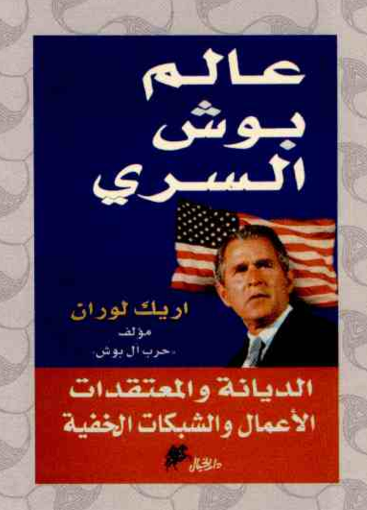
الخيري، ناصر بن جوهر بن مبارك/ قلائد النحرين في تاريخ البحرين، تقديم ودراسة: عبدالرحمن بن عبدالله الشقير- البحرين: مؤسسة الأيام للنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٩٠ص.

يعدّ هذا الكتاب الحلقة الثالثة من سلسلة الكتابات التاريخية الحديثة عن البحرين، وأولها كان كتاب «التحفة النبهانية» لمحمد بن خليفة النبهاني، وثانيها «عقد اللال في تاريخ أوال» لمحمد علي التاجر، وثالثها هذا الكتاب، ولكل كتاب من هذه الكتب حكاية تروى.

وكتاب «قلائد النحرين» خرج من البحرين بعد الانتهاء من تأليفه عندما أودع مؤلفه النسخة المخطوطة لدى السيد علي بن خليفة الفاضل، والسيد علي أودعها لدى صديقه الشاعر خالد الفرج، والفرج نقلها معه إلى القطيف ثم إلى الكويت. ثم فقدت بعد ذلك وانقطع خبرها.. وبعد قرابة ثمانين عامًا عثر الباحث السعودي عبدالرحمن الشقير على هذا الكتاب المفقود، الذي تبنت مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع طبعه أول مرة كما هو بخط مؤلفه.

وقد تضمن هذا الكتاب مقدمة أوضح فيها المؤلف سبب تأليفه هذا الكتاب، وهو الواجب الوطني تجاه تاريخ بلاده، وقد قسم كتابه قسمين: جعل الأول في تاريخ البحرين بالمصطلح القديم، ويشمل: القطيف، والأحساء، والجزائر (أوال) وقطر، ويتضمن تاريخ البحرين من أقدم العصور إلى العصر الحديث، والقسم الثاني جعله خاصًا بتاريخ (أوال) أو البحرين بالمصطلح الحديث، ويتضمن تاريخها من انفصالها عن مجموع البحرين في النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، كما أضاف المؤلف إلى كتابه ملخصًا عن ثلاث إمارات عربية هي: آل سعود، وآل صباح، وآل بوسعيد.

لوران، أريك/ عالم بوش السري: الديانة والمعتقدات الأعمال والشبكات الخفية، ترجمة: سوزان قازان ـ بيروت: دار الخيال للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ٢٢٤ص.



لم يعرف تاريخ الرئاسة الأمريكية رئيسًا كجورج بوش الابن وصل إلى البيت الأبيض بعد حملة انتخابية مثيرة للجدل. وأمسك مع ذلك بسلطة لا حدود لها، وأظهر غطرسة ما بعدها غطرسة، غير أن مسيرته تبقى مكتنفة بالأسرار، ومشحونة بتحالفات مقلقة، ومناورات مالية مخيفة، في هذا التحقيق الذي أجراه أريك لوران مؤلف كتاب «حرب آل بوش» تتوالى الاعترافات وتطرح الأسئلة الجريئة: من يحكم أميركا فعلاً؟ هل هم الأيديولوجيون أم رجال المال أم المتعصبون من رجال الدين؟.

وكثيرون هم الرؤساء الأمركيون الذين أكدوا تعلقهم بجذورهم الدينية، واستشهدوا في خطاباتهم باقتباسات من الكتاب المقدس، إلا أن الدين لم يفرض يومًا وجوده في الحياة السياسية الأمريكية قبل أن يطأ جورج بوش الابن عتبة البيت الأبيض.

ويكشف المؤلف في هذا الكتاب الكثير من التحالفات التي أقامها بوش في أثناء حكمه لولاية تكساس حتى وصوله إلى سدة الحكم في البيت الأبيض.

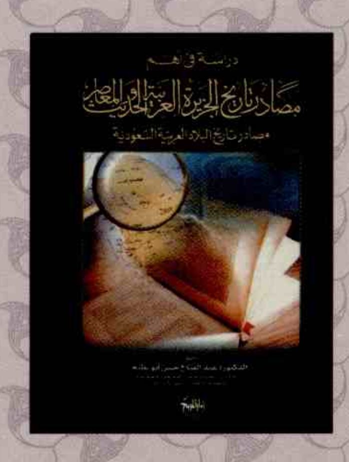
أما المؤلف فهو صحافي متميز واختصاصي في السياسة الخارجية، صدرت له عدة كتب منها: «حرب الخليج»، و«الملف السري»، و«عاصفة الصحراء»، و«حرب آل بوش».

مجموعة باحثين/ الرواية بوصفها الأكثر حضورًا ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٤١٦ص.

هذا الكتاب هو أبحاث ندوة أقيمت على هامش المؤتمر السابع عشر لرؤساء الأندية الأدبية الذين استضافهم نادي القصيم الأدبي في الفترة من ١٤٢٣/١٢/٣٠هـ ـ ١٤٢٤/١/٤هـ، وشارك فيه نخبة من الباحثين والأكاديميين. وقد توزعت البحوث على النحو الآتي: «الرواية وسؤال الحضور الأقوى» للدكتور صالح زياد، و«هل نحن في عصر الرواية؟» للدكتور مصطفى



بكري السيد، و«الرواية المحلية: رؤية في مرحلة النشأة» للدكتور عبدالعزيز السبيل، و«اتجاهات الرواية السعودية في الحقبة الأخيرة» للدكتور محمد صالح الشنطي، و«الرواية السعودية ومنهجية الخطاب النقدي» للدكتور سلطان بن سعد القحطاني، و«الأبنية المتداخلة بين العصفورية وأبو شلاخ البرمائي» للدكتور حسن النعمي، و«اهتزاز القيم في الخطاب الروائي العربي» للدكتور حسن بن فهد الهويمل و«الرواية بين العامية والفصحى» للدكتور محمد بن مريسي الحارثي، و«مفهوم الحق والحرية في السرديات» للدكتور محمود حسن زيني، و«رواية السيرة الذاتية» للدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري، و«سير ذاتية الرواية العربية السعودية» للدكتور صالح بن معيض الغامدي، وورقة نقدية بعنوان «الحكائية المباشرة في سرديات إبراهيم الناصر الحميدان الروائية» للأستاذ عبدالحفيظ الشمري، و«البناء المختلف في الرواية السعودية» للدكتور علي بن سرحان القرشي و«إستراتيجية الفضاء في الرواية السعودية» للدكتور جريدي بن سليم المنصوري، و«المدينة في الرواية السعودية» للأستاذ حسن بن حجاب الحازمي، و«المكان في الرواية السعودية» للأستاذ محمد الدبيسي.

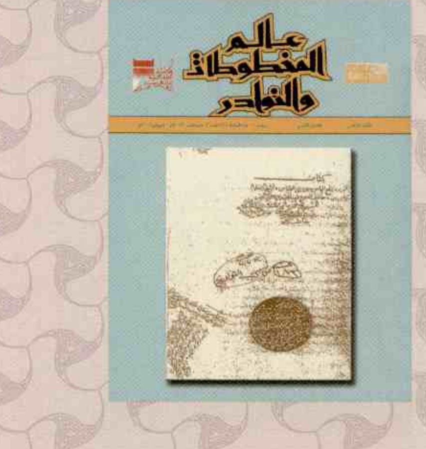


أبو علية، عبدالفتاح حسن/ دراسة في أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر: مصادر تاريخ البلاد العربية السعودية ـ الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٥٢٢ص.

تعدّ هذه الدراسة من أبرز الدراسات التي تناولت مصادر تاريخ البلاد العربية السعودية، فهي تحتوي على مادة علمية غزيرة، قسمت إلى عدة فصول تناولت مصادر التاريخ السعودي في الوثائق والتقارير الرسمية والمؤلفات العربية والمؤلفات الأجنبية والصحف والمجلات العلمية والعربية والأجنبية وما يلحق بها من دوريات.

وقد قام الباحث برحلات علمية لدور محفوظات ومكتبات عالمية مثل: دار الوثائق القومية بالقاهرة، ودار الكتب الوطنية بالقاهرة، ومكتبة جامعة الدول العربية بالقاهرة، وأرشيف الولايات المتحدة الأمريكية بواشنطن، ومكتبة الكونجرس الأمريكي، ومكتبة الشرق الأوسط بمعهد هوبكنز بواشنطن، ومكتبة جامعة هارفرد بكمبردج بولايات ماساشوتس، ومكتبة جامعة شيكاغو، ومكتبة جامعة ستانفورد، إضافة إلى أرشيف سجلات حكومة الهند بلندن، وأرشيف السجلات البريطانية العامة بلندن، ومكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، ومكتبة المتحف البريطاني، وأرشيف إستانبول قسم رئاسة الوزراء، ومكتبة جامعة إستانبول.

واحتوى الكتاب على أحد عشر فصلاً رئيسًا، يقدم الأول تعريفًا عن الوثائق وأهميتها التاريخية، والثاني عن محفوظات دار الوثائق القومية في القاهرة، ويتناول الثالث مراكز الوثائق العربية ذات الصلة، والرابع يتناول محفوظات مركز الوثائق بمعهد الإدارة العامة بالرياض، والفصل الخامس عن الأرشيف العثماني، والسادس عن الوثائق البريطانية، ويتطرق الفصل السابع إلى الأرشيف الوطني للولايات المتحدة الأمريكية، ويورد الفصل الثامن معلومات عن الوثائق الفرنسية والوثائق الأخرى المنشورة، ويعدد الفصل التاسع المؤلفات التاريخية والرسائل العربية، بينما جاء الفصل العاشر عن المؤلفات التاريخية الأجنبية والرسائل الجامعية، وجاء الفصل الحادي عشر عن التقارير والدوريات مثل المجلات والصحف العربية والأجنبية.



عالم المخطوطات والنوادر (مج٨، ع٢، رجب ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ سبتمبر ٢٠٠٣م ـ فبراير ٢٠٠٤م).

ملحق محكّم نصف سنوي يصدر عن مجلة عالم الكتب بدعم وتعضيد من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

احتوى هذا العدد على مجموعة من الموضوعات، بدأها الدكتور يحيى محمود بن جنيد بتحقيق مخطوطة «رفع الباس عن بني العباس» تأليف: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، وقدم الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع تحقيقًا لرسالتي أبي عثمان عمرو بن بحرالجاحظ في ذم العلوم ومدحها، وحقق خالد بن محمد الجديع مقالة بعنوان «القامة الحصبية لابن الزبير الغساني» كما حقق لطف الله قاري مقالة في «مزاج دمشق للأسعد المحلي».

وفي باب الوثائق حققت وثيقتان هما: «دراسة للوثيقة رقم (١)» المعروفة بالعهد النبوي المحفوظة بمكتبة دير طور سيناء، لإبراهيم بن حمود المشيقح، و«وثائق عراقية عن الطباعة والنشر في البحرين ١٣١٠ ـ ١٣٣٠هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٩١١م» لظمياء محمد بن عباس السامرائي.

وعن أجهزة حفظ الوثائق قدم عبدالغفور عبدالفتاح قاري مواصفات عن «الأجهزة الخاصة بالوثائق والمحفوظات (الميكروفيلم والأقراص الضوئية).

وختم العدد، بمقال لفرج الله أحمد يوسف عن «مسكوكات الدولة العلوية بطبرستان».

العنوان: ص.ب:٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

هاتف: ٤٧٧٧٢٦٩ ـ ٤٧٦٥٤٢٢



الرابطة (ع٤٦١، شوال ١٤٢٤هـ ـ نوفمبر ٢٠٠٣م)

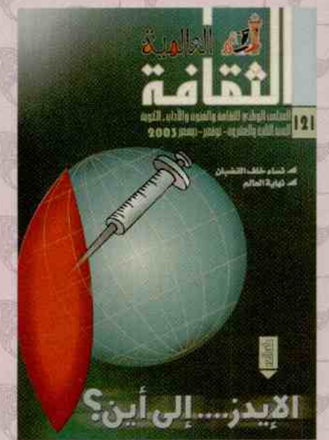
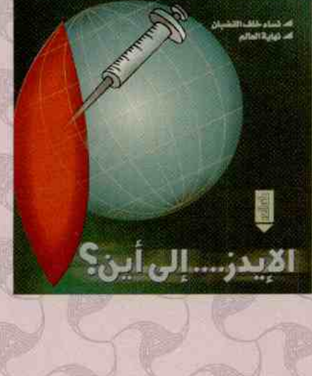
مجلة فصلية علمية فكرية ثقافية، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، تعنى بقضايا العالم الإسلامي.

حفل هذا العدد بمقالات وبحوث، أبرزها بحوث من مؤتمر الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران المنعقد في شهر المحرم سنة١٤٢٤هـ، بالمملكة الأردنية الهاشمية، فكان أول موضوعاتها عن الصحة النفسية كتبه عبدالرزاق أبو البصل، والثاني عن الصحة الإنجابية كتبه مصطفى القضاه، والثالث عن سلامة اللحوم كتبه محمد عبده الرزاز، والرابع عن المقابر من منظور الصحة العامة لفخري خليل أبو صفية، وكتبت سهيلة زين العابدين عن المخططات اليهودية للسيطرة على العالم.

ويضم العدد تقريرًا عن البيان الختامي للدورة التاسعة عشرة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، وفيه تقرير عن أكاديمية الأمير سلمان بن عبدالعزيز في بيهاتش بالبوسنة.

وفي العدد ترجمة للشيخ عبدالله بن يوسف الوابل أحد العلماء البارزين في مجال الدعوة، وفي الجزء الثقافي عرض لكتاب عن صورة الإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية.

وفي الجزء الخاص بالدراسات والبحوث الشرعية، مقال عن مواقف الإصلاح

لعبدالعزيز عبدالله الحميدي، وآخر عن السيرة النبوية الشريفة، ومقالان في موضوع التجديد لعكرمة سعيد صبري، ومحمد سكحال

وختم العدد بمقالات من الصحافة العالمية عن انهيار المشروع الصهيوني، أعدّه وترجمه نزار عبدالباقي.

العنوان: مجلة الرابطة ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة / هاتف وناسوخ ٥٦٠١٠٧٧.

الثقافة العالمية (ع١٢١ نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٣م)

مجلة ثقافية تترجم الجديد في الثقافة العالمية، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

اشتمل هذا العدد على مجموعة متنوعة من المقالات المترجمة، منها مقال بعنوان «نهاية العالم» لهيلين جيوليموت، ترجمه: محمد الدنيا، ومقال في الأسواق الثقافية بقلم: دونالد ساسون، ترجمه: محمد الأسعد، ومقال عن فن التُمري الغنائي بقلم: لاليتادو بيررون، ترجمه: د. إسحق عبيد.

وجاء ملف العدد بعنوان «الإيدز.. إلى أين» شارك فيه كل من: باربارا بوكسر بمقال عن توفير الأمن الإنساني، ترجمه جعفر أبو ناصر، وكتب نيكولاس إبير شتادت عن مستقبل الإيدز، ترجمه جعفر أبو ناصر، ومقال عن الإيدز كعمل تجاري بقلم: سيدني روزين، ترجمه: محمد حاج باكير.

ومن الموضوعات مقال بعنوان «الأزمة الإفريقية» لجيوفاني أريغي، ترجمه: د. عدنان جرجس، و« الثورة الزراعية الذكية» لأندي كوجلان، ترجمه: إيهاب عبد الرحيم، و«نساء خلف القضبان» بقلم: ماري لافن، وترجمه: محمد أحمد السيد حرفوش، وآخر المقالات بعنوان «صائدو المجرات» لرون كوين، ترجمه: عبدالمنعم السلمون.

العنوان: الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مجلة الثقافة العالمية

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠




نزوى (ع٣٦ - شعبان ١٤٢٤هـ - أكتوبر ٢٠٠٣م)

مجلة فصلية ثقافية تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان.

بدأ هذا العدد بافتتاحية سيف الرحبي: فارس من العصر الجاهلي ينتحب على ظهر حصان، وفي باب الدراسات جاءت البحوث الآتية: «العلاقات الدولية لعمان وشواهد من الماضي» لعبدالملك بن عبدالله الهنائي، و«موقع أدونيس في حركة الشعر العربي» لمحمد جمال باروت، و«تحولات المقدس لأركون» لكامل يوسف حسين، و«هدى بركات: من تاريخ متداع إلى تاريخ لا وجود له» لفيصل دراج، و«جيل التسعينيات وروايات البنات في مصر» لخيري دومة، و«أشياء غير معروفة عن التجربة الأفغانية لجمال الدين الأفغاني» لحسن الشامي، و«واقع الثقافة في فلسطين» للمتوكل طه، و«الصورة والنوع والمتخيل الثقافي.. قراءة لنموذجين لفريد الزاهي ونور الدين أفاية.» لشرف الدين

ماجدولين، و«حول الأدب السوداني» لأحمد الشريف، و«الترجمة الفلسفية إلى العربية» لحسين الهندامي.

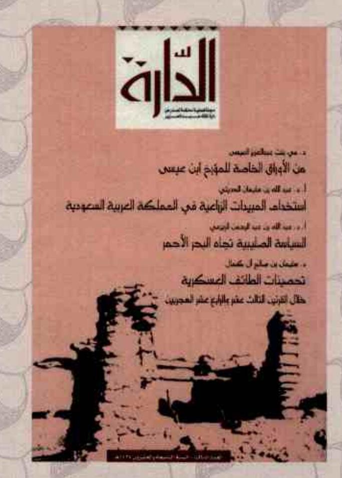
وضم العدد حوارًا مع الفنانة التشكيلية الفرنسية سيلفيان نيون، أجراه الهواري الغزالي، ونقرأ في العدد باب السينما واللقاءات، إضافة إلى النصوص الإبداعية والمتابعات.

وفي باب الشعر ترجم خالد الريسوني لخوسيه بيرو، ونقرأ لكل من: جعفر العلاق، ونزيه أبو عفش، وجهاد هديب، ومحمود قرني، وقصائد لمارجريت أتوود ترجمها عبدالله السمطي، وباسم المرعبي، ورياض العبيد، وابتسام أشروي، وزهران القاسمي، ويحيى الناعبي، وطالب المعمري.

وفي النصوص الأدبية ترجم محمد المزيودي مجموعة قصصية للكاتب الهندي «خوشوانت سينغ»، وكتب كل من: أحمد الرحبي، وعبدالعزيز الفارسي، وبشرى خلفان، وحسين العبري، ومحمود الريماوي، وغالية قباني، وسليمان المعمري، وجوخة الحارثي، وفاطمة الكعبي، وعبدالستار خليف، وعادل الكلباني، وأحمد بن محمد.

العنوان:ص.ب ٨٥٥ ـ الرمز البريدي ١١٧
الوادي الكبير- مسقط - سلطنة عمان
هاتف ٦٠١٦٠٨ (٩٦٨..)

الدارة (س٢٩، ع٣، ١٤٢٤هـ)



مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز تعنى بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

تضمن هذا العدد موضوعات متنوعة، بدأها الدكتور عبدالله بن سليمان الحديثي بدراسة بعنوان «استخدام المبيدات الزراعية في المملكة العربية السعودية».

وبيّن الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي السياسة الصليبية تجاه البحر الأحمر (من عام ٤٩٢ ـ ٥٨٤ / ٩٢٩ـ ١٠/١١٨٨م)، وتناول الدكتور سليمان بن صالح آل كمال تحصينات الطائف العسكرية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، فقد وصف الباحث سور الطائف والقلعة والثكنة العسكرية، وبعض الحاميات العسكرية في الجبال المحيطة بها، وقد اعتمد المنهج التاريخي من خلال كتب الرحالين والمؤرخين.

أما في مجال الوثائق، فقد قدمت المؤرخة الدكتوره موضي بنت عبدالعزيز العيسى مجموعة من الأوراق الخاصة بالمؤرخ ابن عيسى، وتتناول هذه الأوراق كثيراً من النواحي الاجتماعية في منطقة أشيقر.

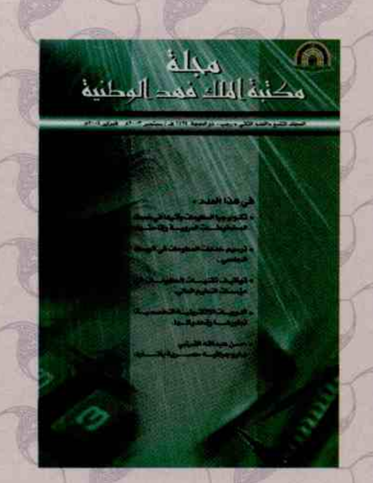
وضم العدد مقالاً مترجماً لموسى بن عبدالله مباركي عن كتابة السيدة كورنليا دالنبرج عن حياة العرب في البحرين، ومحاضرة للشيخ محمد بن عبدالله السبيل بعنوان: «ذكريات في المسجد الحرام».

وفي باب المراجعات، قدم الدكتور سليمان بن عبدالله العقيل مراجعة لكتاب «الرعاية

الاجتماعية في عهد الملك عبدالعزيز» للدكتور راشد بن سعد الباز. وختم العدد بملخصات الكتب.

العنوان: ص.ب: ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٠١١٩٩٩ ـ ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧



مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج٩، ع٢، رجب ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ/سبتمبر ٢٠٠٣م ـ فبراير ٢٠٠٤م)

نصف سنوية محكمة.

جاءت بحوث هذا العدد متنوعة في إطار ما تهتم المجلة بنشره في مجال المكتبات والمعلومات ومصادر تاريخ المملكة. بدأت بالدراسات، فكتب هاشم فرحات عن «تكنولوجيا المعلومات وأثرها في ضبط المخطوطات العربية وإتاحتها: مراجعة علمية للإنتاج الفكري»، وشرح سالم بن محمد السالم «ترسيم خدمات المعلومات في الوسط الجامعي»، وجاءت دراسة راشد بن سعيد الزهراني بعنوان «توظيف تقنيات المعلومات في مؤسسات التعليم العالي: نحو خطة لإنشاء شبكة مكتبات إلكترونية في كليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية»، وقدمت نعيمة حسن جبر رزقي «رؤية مستقبلية لدور اختصاصيي المعلومات في إدارة المعرفة»، وعدّد ربحي مصطفى عليان «مراكز مصادر التعلم»، وشرح عبدالله محمد الشايع «السلوكيات المعلوماتية للأطباء واستخدامهم مصادر المعلومات: مراجعة الأدب المنشور»، وتناولت حسانة محيي الدين «اقتصاد المعرفة في مجتمع المعلومات»، وكانت آخر بحوث العدد عن «الدوريات الإلكترونية التخصصية؛ تطورها وتحدياتها الاجتماعية والاقتصادية» لحشمت قاسم.

وفي باب الببليوجرافيات، قدم أمين سليمان سيدو ببليوجرافية حصرية بآثار الشاعر حسن عبدالله القرشي المطبوعة وما كتب عنه، وأحمد بن عبدالرحمن المقحم عن «الكتب المترجمة في المملكة العربية السعودية خلال عام ٢٠٠٠م والمودعة في مكتبة الملك فهد الوطنية».

وكتب في باب مراجعات كل من: أحمد العلاونة عن «بلدة البرود: موقعًا وتاريخًا وسكانًا» تأليف الشيخ حمد الجاسر، وماجد بكار عن «أهداف العمران في المملكة العربية السعودية»، وهو أول كتاب يطبع في الرياض، وسهيل نجيب مشوح عن «حقوق الملكية الفكرية من المنظور الإسلامي» تأليف الدكتور بركات محمد مراد.

وألقى وليد نذير عتمة أضواء على كتب حديثة، وتتبع عبدالله محمد حسين العبدالمحسن «البحوث الجارية» في آخر موضوعات العدد من الدورية.

العنوان: ص.ب: ٧٥٧٢ ـ الرياض: ١١٤٧٢

هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨

ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١



أسس تسمية العملات في اللغات الإنسانية

ماهر عيسى حبيب
صافيتا - سورية

على الرغم مما تشكِّلهُ العملةُ من أهمية كبيرة في حياتنا اليومية؛ فقد يكون من الطريف البديع أنها لا تمتلك هذه الميزة بالنسبة إلى اللغة وفي ذلك مفارقة أيّما مفارقة!

فبينما تكون العملة أساسًا في حياتنا، نلهثُ من أجل إرسائه، إذ نرى الألفاظ الدالة عليها تعدّ فرعًا في اللغة الإنسانية، إذ هي في الغالب فرعية ارتبطت أو تطورت عن دلالات أخرى تتعلق باللون، أو بالقطع والتجزيء أو بالعدد، أو بأسماء المعادن، كما نجدُ أن بعض هذه العملات يُكنى عنها بأسماء أخرى غير أسمائها الحقيقية.

وينطبق ذلك على معظم أسماء العملات المشرقية التي تناولناها، وبعض العملات الغربية التي أسعفتنا المراجع في الوقوف على دلالتها الأصلية، بينما تخرجُ أسماء عُملات غربية أخرى عن هذه القاعدة؛ فترتبط بمعنى المُلك! ولكن لا نستطيع الجزم بأن ذلك فرقٌ جوهري بين أسماء العملات المشرقية وأسماء نظيراتها الغربية، والسببُ في ذلك يعود إلى قلة الألفاظِ الغربية التي استطعنا الوقوف على دلالاتها الثانية، التي - ربما - لا ترتبط بمَعان أخرى غير دلالتها على العملة.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا؛ فمن أسماء العملات التي اشتُقَّ لفظ اسمها من الدلالة على اللون كلمة الأقجة وهي عملة تركية، ضُربت أول مرة في عهد السلطان أورخان العُثماني.. والكلمة تركية معناها مائل إلى البياض، وجاءت في مُعجم الـ (Redhouse p164) بمعنى: ما هو أبيض، أو شاحب، ذابل أو متلاش مُضمَحل..

ومن أسماء العملات التي تدلُّ في أصل معناها على القطع أو التجزيء كلمة ألتيك أو (ألتيق)؛ وهي أيضًا اسم عملة تركية يُطلق على قطعة ذات ستة قروش، وأصل معنى الكلمة في التركية العثمانية: مُقسم أو مكون من ستة أجزاء.

ومما ينطوي ضمن هذه الفئة لفظة بارَة الفارسية الأصل، فهي عملةٌ تركيةٌ ترجع أقدمُ إشارة إليها إلى عام ١٥٨٢م، وضُربت أولاً من الفضة بقيمة قدرها أربع أقجات، وأصبحت البارةُ في نظام العملة المجيدي الذي اتُبع عام ١٨٤٤م قطعة صغيرة من العملة النحاسية تُضرب في إستانبول ومصر. ومعنى البارة في الأصل الفارسي: المَرّة، الكرّة، القطعة، ومن معانيها في المعجم الفارسي الكبير (٤٦٩/١): «قطعة.. جزء، سهم، حصة، نصيب..».

ونجد من العملات التي ينطبق عليها معنى القطع أيضًا كلمة روبل، وهي اسم العملة الروسية التي صدرت أولاً في عهد بطرس الأكبر، فاللفظة مُشتقة من (روبيتي) بمعنى يقطع.

وأمّا أسماء العملات التي ترجع في أصل معناها إلى عدد فمنها لفظة بشليك، وهي عُملة تركية ضُربت إبان الإصلاح النقدي الذي وضعه السلطان سُليمان الثاني (١٦٨٧ - ١٦٩١م) وأساسها غروش، وتأتي في التركية العثمانية بمعنى خُماسي، أو أي شيء متعلق بالرقم خمسة؛ كما أوردها مُعجم الـ Redhouse (p.367).

وينطبق ذلك على لفظة تومان الدالة على اسم العملة في إيران؛ فلهذه المفردة في الفارسية عدة مَعان طبقًا لاستعمالات كثيرة، فقد استُعمل هذا اللفظ أول الأمر استعمالاً عامّاً بمعنى كثير جدًا، ثم أصبح اسم عدد بمعنى عشرة آلاف.. وتُستعمل كلمة تومان أحيانًا بمعنى قبيلة.. ولذلك نرى القلقشندي (صبح الأعشى ٤٢٤/٤) استخدمها للدلالة على عدد الجند في مملكة فارس قال: «.. وعدة جيشهم المُنزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانًا، أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانًا وما يزيد عليها..»

ومما ينطوي ضمن الفئة التي يدل لفظ اسمها في لغتها الأصلية على معنى العدد لفظة الدينار الدالة على نقد روماني قديم يشتمل على عشر وحدات، إذ تعود في أصلها اللاتيني denarium إلى معنى عشريّ.

في حين نجدُ أن أسماء طائفة أخرى من العملات ترتبط دلالتها بمعنى المَعدن؛ ومن ذلك لفظة الروبية الدالة على اسم العملة الهندية؛ إذ إنّ لفظ روبية مُشتق في السنسكريتية من معنى فضة.

وكذلك لفظة الصادي؛ وهي وحدة نقد تركية، ومن معانيها في التركية العثمانية: نُحاسي أو مصنوع من نُحاس لين.

ويدلُّنا مُعجم The American Heritage Dictionary (p 805) أن أصل لفظة جنيه Guinea الدالة على اسم عُملة في كثير من البلدان العربية والأجنبية، يعود إلى الساحل الغيني الإفريقي مصدر الذهب حيثُ صُنع الجنيه هناك أول مرة، مما يُوحي باحتمال ارتباط هذه اللفظة بالذهب.

وثمة أسماء عُملات أخرى ترتبط بالوزن مثل لفظة ليرة المستخدمة في كثير من بلدان العالم في أيامنا هذه، إذ يُرجعها مُعجم The American Heritage Dictionary (p 1049) إلى Libra (ليبرة) اللاتينية حيثُ تدل على وحدة وزن.

علمًا بأن لفظتي: درهم ودينار تُستعملان في العربية للدلالة على الوزن أيضًا؛ يقول التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: «وبالجملة الدرهم في اللغة اسم لمضروب مُدور من الفضة، وفي الشرع يُطلق على وزن ذلك المضروب في الزكاة.. على قياس الدينار فإنه يُطلق لُغة على المضروب، وشرعًا على وزن ذلك المضروب..».

إلا أننا نجدُ أسماء عُملات أوربية لا تدخل ضمن أي من المجالات السابقة بل ترتبط في أصل دلالتها بمعنى المُلك؛ مثل لفظة ريال الدالة على العملة المعروفة، فنجد أن أصلها اللاتيني Royal, Regalis مُكون من reg rex ملك.

ومن ذلك لفظة دوكات ducat وهي عملة قديمة ذهبية أو فضية، وتندرج ضمن هذه الفئة إذا صح ما ذكره القلقشندي من أن هذه اللفظة تُطلق على الدينار، وذلك في قوله: «ويُعبَّرُ عنه أيضًا بالدوكات، وهذا الاسم في الحقيقة لا يُطلقُ عليه إلا إذا كان ضَرْب البُندقية من الفرنجة، وذلك أن الملك اسمه عندهم دوك..». علمًا بأن المصادر الأوربية الحديثة التي بين أيدينا لا تُشير إلى هذا الارتباط.

وبقي أن نذكر العُملات التي لها استخدامات كنائية مُستمدة في الأغلب من صورتها، أو من شكلها، لحاجة التفريق بينها وبين عُملات أخرى مشابهة لها، وذلك من مثل لفظة الشلن Shilling وهو ضرب من مُعاملات الإنكليز يساوي نصف العشر من ليرتهم، وضُرب أول مرة من الفضة عام ١٥٠٤م في عهد شارل الثاني ثم ضُربَ في عهد جورج الرابع نوع من الشلنات سُمّيَ شلن الأسد إذْ كان يحمل صورة أسد متوج فوق رسم التاج البريطاني.

ومن ذلك أيضًا الفرنك الفرنسي، وهو عملة فرنسية ضُرب أول مرة من الذهب في عهد جون الثاني (١٢٦٠م) الذي سجّل اسمه باللاتينية حول صورته وهو يمتطي حصانه؛ ولذلك سُمّي «فرنك أبو حِصان» لتمييزه من نقد مُماثل ضربه شارل الخامس.

المراجع

- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طربيا العيسى، دار العرب للبُستاني، القاهرة ١٩٨٨ - ١٩٨٩م.
- دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتاوي (وآخرون) راجعها محمد مهدي علاّم، ط٢، ١٩٣٤م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية - وزارة الثقافة (د.ت).
- كشاف اصطلاحات الفنون، النهانوي (محمد بن علي) كلكته عام ١٨٦٢م. أعيد طبعه في طهران، مكتبة خيام عام ١٩٤٧م.
- مُحيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان بيروت، نسخة طبق الأصل عن نسخة عام ١٨٧٠م.
- المعجم الفارسي الكبير، فارسي - عربي، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي القاهرة،١٩٩٢م.
- معجم المعربات الفارسية - منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، محمد التونجي، مكتبة لبنان بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٩٦٥م.
- The American Heritage Dictionary of the English Language – Third Edition, Houghton Mifflin Company, Boston, New York, 1992.
- A Turkish and English Lexicon sir James W. Red ~House, Librairie Du Lipan, Beirut 1996.